# قِداحُ النُّورِ

بقلــم

عبداللطيف حمزة الجريدان

الطبعة الأولى

١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

# كلمة وإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلامه على عباده الذين اصطفى محمد وآله الشرفا المنزلين شيعتهم الجنان والغرفا، وبعد...

فهذه مجموعة من المقالات كنت قد كتبتها لمجلة الفجر الصادق التي أنشأها وكلأها ورعاها المولى المبرور المغفور له خادم الشريعة الغراء الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي أعلى الله مقامه، تناولت فيها مواضيع متعددة في مناسبات مختلفة حسب ما كان يعهد إلي آنذاك. ثم أردفتها بمجموعة أخرى من المقالات التي كتبتها حديثاً وفي نفس المقاصد أيضاً وضممتها إليها لتكون الفائدة أعم والمنفعة أتم.

ولست أجد أولى أن أهدي إليه هذه الصفحات من روحه الطاهرة لأنها كانت إحدى حسناته وهو أحق بها طيب الله ثراه، راجياً من الله سبحانه القبول وأن ينفع بها وأن يجعلها ذخيرتي يوم ألقاه ويتقبلها بقبول حسن إنه أرحم الراحمين.

**عبداللطيف حمزة الجريدان**

الكويت ١٠ محرم ١٤٣٩هـ

# شاء اللّه أن يراني قتيلاً

هذه الفقرة المباركة ذكرها مهجة الزهراء أبو عبد اللّه الحسين صلوات اللّه وسلامه عليه حينما سأله أخوه محمد بن الحنفية عن سبب خروجه إلى العراق، ثم أردف روحي فداه حينما سأله أيضاً عن سبب إخراجه النسوة الفاطميات معه فقال «**شاء اللّه أن يراهن سبايا**».

وقد اشتبه على كثير من الناس فهم وإدراك هذه العبارة وغيرها من العبارات المماثلة الواردة عن أهل بيت العصمة صلوات اللّه عليهم حتى ظنوا أنها تفيد معنى الجبر وأن اللّه سبحانه ما دام هو الذي شاء أن يراه قتيلاً وأن يرى نساءه سبايا فأي فضل له عليه السلام في القتل ولهن في السبي وليس لهم جميعاً مشيئة ولا دخل فيما حصل لهم وجرى عليهم ولا يستطيعون أن يمتنعوا عن أسباب القتل والسبي وإنما هم أدوات محضة بيد خالقهم يصرفهم ويدبرهم كيف يشاء بلا قدرة ولا استطاعة على الامتناع وفعل خلاف مشيئة اللّه فيهم.

مع أني على يقين من أن هذه الفئة من الناس كثيراً ما يقرأون

قول أئمتهم عليهم السلام كما في قول الإمام الصادق عليه السلام «**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين**»[1].

وكما في قول الإمام الرضا عليه السلام: «**إن الله تعالى لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه**»[2]، ويدركون من كلامهم عليهم السلام بكل سهولة ويسر أن هناك مشيئة للّه ومشيئة للعبد، وإرادة للّه وإرادة للعبد، ولكنهم يلغون مشيئة العبد وإرادته في الأفعال الصادرة عنه ويحسبون أنها إنما مشيئة واحدة وإرادة واحدة هي مشيئة اللّه وإرادته إذا كانت هي الغالبة والظاهرة فيلتبس عليهم حقيقة المطلب.

ونحن نقول تبعاً لأئمتنا صلوات اللّه عليهم كما في قول الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام: «**إن للّه إرادتين ومشيئتين، إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى وهو يشاء ويأمر ولا يشاء، أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما على مشيئة اللّه، وأمر إبراهيم عليه السلام**

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٧٩.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٣٢.

**أن يذبح إسحاق ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله»**[1].

فانظر كيف صرح روحي فداه بأن لله سبحانه وتعالى مشيئتين: مشيئة حتم ومشيئة عزم، فأما الحتمية فهي التي حتم الله عز وجل على نفسه بعدله أن يعطي كل ذي حق حقه ويسوق إلى كل مخلوق رزقه وذلك بمقتضى الرحمة العامة الشاملة باسمه (الرحمن)، فلا يظلم ربك أحداً مؤمناً كان أو منافقاً أو كافراً، وإنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً فالكل يأتيه رزقه بما تقتضيه قابليته، فإبليس مثلاً أراد الكفر والعصيان والتمرد على الأوامر الإلهية بقابليته، فشاء الرحمن بإرادته الحتمية أن لا يسجد، ولو شاء بإرادته العزمية أن يسجد لسجد، ولكن لم يشأ، لأن السجدة وطاعة ربه خلاف قابليته وسجيته وطبعه، فلو شاء الله له السجود بمشيئته العزمية وهو -أي إبليس- لا يريد ذلك لكان الله سبحانه قد أجبره على الطاعة وليس من شأنه الجبر والظلم (وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف)، فإذا عرفنا أنه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بإرادته ومشيئته سبحانه، سواء كان ذلك الشيء محبوباً عنده مستوجباً لرضاه، أو

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٧٠.

مبغوضــاً لديه مستوجباً لسخطه ونقمتــه، علمنا أنه تعالى فياض مطلــق وعطاء محضــ ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾[١]، فأفاضـ على إبليس بإرادته الحتمية علــى ما اقتضــاه طبعه، ولم يشــأ بمشيئته العزميــة (اللطف) أن يسجــد، هــذا في حال المعصيــة وأما في حالة الطاعــة والانقياد فبمشيئتــه الحتميــة والعزمية معــاً فضلاً منه عز وجــل للمؤمنين والمستعديــن لقبول فضلــه ولطفــه ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[٢]، فأعمــال العباد كلها صادرة بمشيئته، فإن كانت سيئات فبمشيئته الحتمية المعبر عنها بالترك والخذلان فقــط، وإذا كانــت حسنات فبكلتــا المشيئتــين والإرادتين بمناسبة اسميــه (الرحمن والرحيم) والمعبر عنهما بالمدد من جهة المشيئة الحتمية الأولية، وباللطف من جهة المشيئة العزمية، وبعبارة أخرى نقول إن اللّه سبحانه يفيض على المؤمنين في صالح عملهم بعدله وفضلــه، وعلى الكافــر في سوء فعله وعملــه بعدله فقط. ويترتب على هذا كله أن اللّه تبارك وتعالى أمر بالطاعة ولم يشأها للكافر بمشيئته العزميــة لعدم قبوله واستعداده وشــاء بمشيئته الحتمية

(١) سورة الإسراء: آية ٢٠.

(٢) سورة الجمعة: آية ٤.

(بفيضه ومدده) المعصية له ولم يأمر بها، فالحكيم تبارك وتعالى يهدي من هو قابل للهداية وطالب لها بلطفه وكرمه، ويضل الظالمين الذين لا يريدون الهداية فيعاملهم بعدله وهذا الإضلال منه سبحانه الوارد في كثير من الآيات القرآنية هو المعبر عنه كما ذكرنا سالفاً (بالترك والخذلان) وهو مقتضى مشيئة الحتم الثانوية المختصة بالمعاصي والذنوب، ومن هنا نعلم أن جميع أعمال الإنسان وحركاته وسكناته نابعة وصادرة عن اختياره، ووفق اختياره تجري مشيئة الله سبحانه، وعدم إرادة الإنسان للعمل ظاهراً لا يوجب الجبر ولا يوجب عدم جريانه بالمشيئة فكل شيء قد تم اختياره من عالم الذر هناك عالم التكليف الأول الذي تميز بموجبه المؤمن من الكافر وأصحاب الجنة من أصحاب النار وإن بعدت الشقة وطال المدى ونسي ما اختار هناك فلا بد زن يأتي بكل ما اختاره في هذا العالم هنا للزوم التطابق بين عالم الغيب والشادة والظاهر والباطن وذلك تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1]، فالله سبحانه لا يظلم الإنسان ولا يجبره على أي شيء في أي مرحلة من مراحل وجوده وفي أي عالم من عوالم

(١) سورة الأعراف: آية ١٠١.

تكوينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾[1]، فإذا اختار طريق الخير تجتمع الإرادتان معاً الحتمية والعزمية التي هي محبته لمن أطاعوه على غير وجه الإجبار، فيكون العبد في الشر في غير رضاء الله وفي الخير في رضائه، ولكنه في الحالتين (الخير والشر) يكون بمشيئة الله، والشر بالحتمية فقط والخير بالإرادتين معاً، ولذلك يضاعف الله سبحانه للإنسان المؤمن المطيع الثواب لاجتماع الإرادتين والله يضاعف لمن يشاء، ويجازي السيئة بمثلها لأنها من جهة العبد، فتكون الحسنة والطاعة من الله بالعبد، وتكون السيئة والمعصية من العبد بالله، أي أن العبد يفعل الطاعة بأمر الله ومشيئته ورضاه ومحبته وتوفيقه ونعمته، ويفعل المعصية بقوة الله ونعمته السابغة وقضائه وخذلانه.

ومن هنا تعلم أن مشيئة الله تعالى واحدة لا تكثر فيها ولا تعدد قال تعالى ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾[2]، وإنما اختلف ظهورها حتى تعددت بمشيئة القابل وقابليته لها لاختلاف مركبها وتعدده، فتنوعت في ظهورها بالآثار بتنوع محلها ومتعلقها الذي تتعلق به، ونظيره أشعة الشمس الواقعة على الزجاجات مختلفة

(١) سورة النساء: آية ٤٠.

(٢) سورة القمر: آية ٥٠.

الألوان، فتنعكس عليها مختلفة وإن كانت الأشعة متفقة في نفسها، فالاختلاف بما من العبد وذلك قول الشاعر:

**كقطر الماء في الأصداف در　　　وفي بطن الأفاعي صار سماً**

فلا تظهر مشيئة الله إلا بعمل العبد كما قال مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام: «**إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد، فالروح بغير جسد لا تحس، والجسد بغير روح صورة لا حراك بها، فإذا اجتمعتا قويا وصلحا، كذلك العمل والقدر، فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق، وكان القدر شيئاً لا يحس، ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر، لم يمض ولم يتم، ولكنهما باجتماعهما قويا، ولله فيه العون لعباده الصالحين**»(١).

وما المحن والبلايا التي يتعرض لها الإنسان المؤمن في هذه الدنيا إلا باختياره وقبوله من عالم الذر كما أسلفنا القول وذلك لقربه من المبدأ الفياض ومصدر العطاء، فكلما ازداد قربه كلما اشتد بلاؤه وكثرت مصائبه ليزداد بذلك عند الله رفعة وينال بها درجات تنحط دونها درجات المقربين ولذلك كان أشد الناس بلاءاً

(١) فقه الرضا: ص٣٤٩.

واختباراً الأنبياء والمرسلون والأوصياء كما روي عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام البلاء وما يخص الله عز وجل به المؤمن فقال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله مَن أشدّ الناس بلاءاً في الدنيا؟ فقال صلى الله عليه وآله: «**النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويُبتلى المؤمن بعدُ على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صح إيمانه وحسُن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخُف إيمانه وضعف عمله قلّ بلاؤه**»(١).

فإذا عرفت هذا فاعلم أن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام هم أقرب الخلق إلى الله تعالى وظهوره في خلقه وتجليه لهم بحيث لا يوجد من يحتمل هذا المقام سواهم «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن**»، لأنهم صلوات الله عليهم متعلق مشيئة الله وقلوبهم أوعية لها، ونورهم قائم بالمشيئة قيام تحقق كما أن المشيئة قائمة بهم قيام ظهور، فلم تظهر مشيئة الله إلا بهم، ولأضرب لك مثالاً لغوياً يقرب هذا المعنى لإدراكك، فإذا قلنا مثلاً: زيد قائم، فإنه يستفاد من هذه الجملة أشياء أربعة: الأول ذات زيد والثاني صفته وهي القائم

(١) وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٦١-٢٨٠، شرح الزيارة الجامعة.

(أي اسـم الفاعل لفعل القيام). والثالث قامَ (فعل زيد)، والرابع المصدر (وهو القيام أثر فعل زيد)، فنسبة الفعل -قامَ- إلى ذات زيد مجاز لأن الذات لا تباشر الفعل وأجل من المباشرة بالبداهة، فتكون مراحل الفعل كالتالي:

**أولاً**: الذات توجد الفعل بنفسه.

**ثانياً**: تظهر الذات الفعل بواسطة صفته -وهي القائم-، فهذه الصفـة سبب وواسطة لظهور فعل الذات، ولذا تسمى هذه الصفة بالذات الظاهرة.

**ثالثاً**: هذه الصفة وهي القائم مركبة من أمرين: الفعل (قامَ)، وأثر الفعل (القيام) الذي هو المصدر.

**رابعاً**: فيكون المباشر حقيقة للفعل هـو القائم الذي هو مظهر الفعـل وصفتـه لا ذات زيـد، فالصفة إذن -القائـم- هي المباشر حقيقة، لأن الذات موجد الفعل بنفسه وهو حادث، والذات منزهة عن مباشرة الحوادث.

**خامساً**: وكما أن زيد يظهر أفعاله من صفاته -القائم وغيرها- كذلك الله عز وجل يظهر أفعاله من صفاته وبصفاته -وهم محمد وآل محمد-.

**سادساً:** ظهر أن فعل زيد يظهر مـن صفته وعنوانه -قائم- لا مـن ذاته، وقيـام الفعل بالصفة قيـام ظهـور، أي أن الفعل ظهر بواسطة الصفة، كقيام الكسر بالإنكسار، فتكون الصفة هي الآلة والواسطة لظهور الفعل.

**سابعاً:** وعلى العكس تكون الصفة قائمة بالفعل قياماً تحققياً، أي أنه لولا الفعل لما اتصف زيد بقائم.

**ثامناً:** وأما القيام (المصدر) فلأنه أثر الفعل، فإنه قام به (أي بالفعل) قياماً صدورياً.

**تاسعاً:** ومن ذلك كله يظهر أن القائـم (الصفة) له جهتان أو لحاظان: فبلحـاظ أنه اسم زيد وآيته وآلة ظهـور فعله، وواسطته وعنوانـه وحاكيه، يكون مقدمـاً على الفعل رتبـة، والفعل قائم به قيـام ظهور، وبلحاظ تركبه من الفعل وأثره، واتصاف زيد به بعد الفعل وأثره، يكون مؤخراً عن الفعل تحققاً ومساوق له وجوداً.

**عاشراً:** فـذات زيد، ولله المثل الأعلى، مثال الذات الأحدية جل وعلا، وقائم مثال عنوانية آل محمد وصفتيتهم لله تبارك وتعالى، وقام مثال فعله ومشيئته، والقيام مثال الحقيقة المحمدية.

وعلى هذا فتكون مشيئة الله تعالى مطابقة لمشيئتهم، ومشيئتهم

مطابقة لمشيئة الله لا فرق بينها وبينهم إلا أنهم عباد الله وخلقه فتقهم ورتقهم بيده سبحانه، تماماً كالحديدة المحماة بالنار، فإنها -أي الحديدة- لفرط قربها من النار وتوجهها إليها وذهولها عن نفسها، ظهر أثر النار -وهي الحرارة- فيها فصارت تحرق كما تحرق النار، بحيث لو سألك أحد ماذا أحرقك لقلت النار والحال أن النار لم تحرقك، ولكن الحديدة هي التي أحرقتك بفعل النار، ولكن لما تطابق الفعل تماثل الأثر.

وبعد هذا البيان تفهم قول مولانا الغريب أبي عبد الله الحسين عليه السلام «**شاء الله أن يراني قتيلاً**»، فلا يدل هذا الكلام على أنه لا مشيئة له صلوات الله عليه أو أنه مسلوب الإرادة أو أنه غير مخلى السرب أو لا يقدر على الفعل والترك، كلا، بل لأنه لا يرى لنفسه مشيئة تخالف مشيئة الله ولا إرادة تعاكس إرادة الله وذلك لفرط تمحضهم في التوجه إليه سبحانه وعدم النظر إلى أنفسهم وإنياتهم طرفة عين أبداً فكساهم بأنواره وأظهر عنهم أفعاله، فصارت مشيئتهم هي مشيئة الله وذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا شئنا شاء الله**» فتدبر، وقد اقتضت مشيئته سبحانه أن يظهر معصية من قتلوا الحسين عليه السلام وشقاوتهم وعداوتهم

وكفرهــم بالله بواسطة قتلهم له صلـوات الله وسلامه عليه، ولولا ذلـك لم تظهـر معصيتهم وعداوتهـم التامة وكفرهـم الماحض، ولكان لهم الحجة على الله سبحانه بتعذيبه لهم ونقمته عليهم قبل صدور ما يستوجب ذلك منهم، فكان عليه السلام هو الوسيلة والفرقان بين الحق والباطل ليميز الخبيث بقتلهم إياه من الطيب بنصرتهم له والتضحية دونه كأصحابه عليهم السلام.

# الحسن المجتبى عليه السلام

امضي لشأنكِ وافعلي ما يحلو لكِ وما عساكِ أن تصنعي فقد غادرك أولو الألباب باكرين مدبرين عنك غير مقبلين، آيسين أن يطمئنوا منك إلى خير أو يلجأوا معكِ إلى ركن وثيق، وكيف تريدين لمثلهم أن يأمنوك أو يأملوك وأنتِ التي ما عودتهم إلا البوار، وأريتهم من كيدك ومكركِ ما يستفز الطيبين الأخيار، واستوثقوا مما رأوا من كثرة صرعاكِ وأبناءك الذين غدرتهم بزينتكِ واستعبدتهم بهواكِ حتى أوردتهم المهالك وهويتِ بهم إلى واد سحيق من أودية جهنم التي أعدها الله لمن تمسك منك بحبل واستوثق فيك بعهد ولم يرم عنك بدلاً، أن المقبلَ إليكِ بعيدُ المسافة محروم السعادة لا يصل معك إلى غاية أبداً، ألستِ كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، مالي كلما حاولتُ ترويضَكِ تنفرين أو سعيتُ إلى تهذيبكِ تهربين أو جربتُ أن أخفض جناحك للأبرار تنسابين من بين فروج الأصابع كالماء المعين، ولا عجب فقد جبلتِ على الجموح والنفور كالخيل الشرود يصعب قيادها ويعسر ترويضها إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام «**وإنما هي نفسي**

**أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر وتثبت على جوانب المزلق**»، وقال عليه السلام: «**إليكِ عني يا دنيا، غرّي غيْري إليّ تعرضتِ أم إليّ تشوقتِ، هيهات هيهات فإني قد طلقتُك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير**»، فكيدي كيدك واسعي سعيكِ فوالله لا تقدرين من المتقين على شيء ولا تغنمين من الخير معهم على قليل ولا كثير وهل رأيكِ إلا فند وأيامكِ إلا عدد وسعيكِ إلا بدد.

هذا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ماذا صنع لكِ يا دنيا حتى جرّعته الغصص ألواناً وكابدته الآلام والأحزانا وأسقيته من صنوف النكث والهجران غدرانا، أوما علمتِ بأنه حجة الله وصفيه وخاصته وخالصته، أوما علمتِ بأن الله تبارك وتعالى خلق الشمس والقمر وخلق اللوح والقلم جميعاً من نوره الأزهر ووجوده الأبهر، اقرئي معي هذه الرواية المباركة لتستوثقي من صحة كلامي، فقد ورد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار، فقال العباس: كيف كان بدء خلقكم؟ قال** صلى الله عليه وآله: **يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً**

**ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً، ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة فالملائكة من نور علي، وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السموات والأرض، فالسموات والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السموات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ففتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة وحور العين، فالجنة وحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة وحور العين»**، وفي رواية أخرى **«وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم والحسن أفضل من اللوح والقلم»**. ذلك لأنه صلوات الله وسلامه عليه من أصحاب الكساء الخمسة الذين تسنموا هم والتسعة المعصومون من ذرية الحسين عليهم السلام

ذروة الوجـود وفاتحة الجود الإلهـي الذي تجلى الله تعالى به على خلقه، وإنما كانوا هم تجليه ومعانيه وأسماءه وصفاته فلهذا بدأت صفحـة الوجود بهم وبهم تختم وإليهـم يعود هذا الخلق كما يعود الشيء إلى أصله ومنتهاه وعليهم يكون حساب هذا الورى.

ولأجـل أن الله فتـق من نـوره الشمس والقمر عـبر عنه تبارك وتعـالى في آية النـور كما فـي تأويل قوله سبحانـه ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ فقـد ورد فـي تفسـير (البرهان القاطع) عـن جابر بن عبدالله الأنصاري عندما حدثه أمير المؤمنين عليه السلام عن انطباق آيـة النـور على أئمة الهـدى جميعهم وذكر أن المصبـاح في الآية المباركـة هو الحسن بن علي عليهمـا السلام -ذكرناه بالمضمون- للدلالة على أنه عليه السلام مصباح الوجود الذي أضاء به وكان من نور هذا المصباح أن خلق الله تعالى الشمس والقمر.

وأزيـدكِ أيتهـا الدنيا الغرور بياناً في سـر اسمه المقدس الذي أتحفـه به باريـه وميزه به عـن سائر الخلـق فلم يسـم أحد قبله بهذا الاسم أبـداً وكانت فاتحته فيه عليه السلام، واعلمي أن من أسرار هـذا الاسم المبارك المقدس أن الحسن عليه السلام لما كان من حملة العرش كما روي عنهم عليهم السلام «**أن الحملـة ثمانية، أربعة**

**من الأولين وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأربعة من الآخرين وهم محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام»**، وكان عليه السلام سبط محمد صلى الله عليه وآله وابن علي عليه السلام، وهو أول مقام التفصيل والتكرير، فوضع له عليه السلام بجمع هذه المعالي كلها ليكون مجرد اسمه الشريف دليلاً على نسبه وحسبه وفخره، وأنه أولى الخلق بأبيه أمير المؤمنين عليهما السلام، فجعل الحاء إشارة إلى أنه من حملة العرش، والسين للإشارة إلى أنه الرتبة الثانية من الولاية المطلقة، والولاية هي القمر وسيره ثلاثون يوماً، ولذا جعل اللام في علي عليه السلام وعددها (٣٠) في حساب أبجد، والسين في حسن عليه السلام عددها (٦٠) لأنها تكرير اللام، ولذا كان أنزل مرتبة من أبيه، قال عليه السلام «**وأبيهما أفضل**»، وظهور القابليات إنما يكون بالولي وهي ثلاثون مرتبة، فإذا كررت الثلاثين تكون السين وهي مرتبة الإمام الحسن عليه السلام، وجعل النون في اسمه الشريف للإشارة إلى أنه من محمد، فإن النون بينات الميم (لأن الزبر هو أول حرف والبينات هي باقي الحروف في حالة التهجي فإذا عرفت أن تهجأة حرف النون تكون هكذا (ن و ن) فتكون النون الأولى هي الزبر والحرفان الباقيان (و ن) هما بينات حرف النون، وقد علمت سابقاً أن النون عددها الحسابي (٦٠)، وكذلك

الحـال في حرف الميم من محمد فتكـون تهجأته (م ي م) فتكون الميـم الأولى هـي الزبر والحرفـان الباقيـان (ي م) هما البينات واللذان إذا جمعناهما بحساب أبجد كان عددهما (٦٠) لأن الياء عددهـا (١٠) والميم عددها (٥٠)، ولهذا قلنـا أن زبر النون في حسن هي بينـات الميم في محمد، وإنما ذكـر البينات دون الزبر لإشـارة إلى أن جهة الولايـة فيه أقوى لكونه ميراثاً من أبيه، وتلك النسبـة وهي الزبـر من جهة الأم وهــي الصفة، كمـا أن البينات صفــة للزبر، فـكان اسمه الشريف دالاً على أنـه من حملة العرش وابـن علـي الولي وسبط محمـد صلى الله عليه وآله، كما أن مـن أعاجيب اسمه الشريف مجيئه على وزن الفعل دون زيادة أو نقيصه بخلاف باقي المشتقات من هذا الفعل مثـل (حسين ومحسن وإحسان وحسّان) وغيرها بل طابق اسمه الشريف صورة الفعل (حَسُنَ) فكان حسن عليه السلام للدلالة على أنه تأكيد الفعل والرتبة الثانية لأبيه الولي أمير المؤمنين عليه السلام من جهـة، ولكونه لا عقب له من الأئمة الطاهرين فـلا شيء فيه زائد عـن ذاته المقدسة يقتضي الزيـادة في اسمه المبارك من المشتقات من جهة أخرى، ومثل هذا اشتقاق أسمائهم من أسماء اللّه تعالى وتكريمه جلت عظمته لهم صلوات اللّه عليهم بهـذا الاشتقاق ليعلـم مقدار كرامتهم عليـه وقربهم منه كما في

الرواية الواردة في كتاب معاني الأخبار عن جابر بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «**كان رسول الله** صلى الله عليه وآله **ذات يوم جالساً وعنده علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: والذي بعثني بالحق بشيراً ما على وجه الأرض خلق أحب إلي الله عز وجل ولا أكرم عليه منا، إن الله تبارك وتعالى شق لي اسماً من أسمائه، فهو محمود وأنا محمد، وشق لك يا علي اسماً من أسمائه، فهو العلي الأعلى وأنت علي، وشق لك يا حسن اسماً من أسمائه فهو المحسن وأنت الحسن، وشق لك يا حسين اسماً من أسمائه فهو ذو الإحسان وأنت حسين، وشق لكِ يا فاطمة اسماً من أسمائه فهو الفاطر وأنتِ فاطمة**»[1].

والمعلوم أن مبدأ الاشتقاق هو الفعل لا الذات البات فإنها بسيطة لا تدخل في شيء ولا يدخل فيها شيء ولا تخرج من شيء ولا يخرج منها شيء ولا اسم لها ولا رسم ولا ربط ولا نسبة حتى تكون مبدأ الاشتقاق، وتكون أسماؤهم مشتقة من ذات الله وهذا خطأ، لأنه لو فرض وضع الاسم للذات المقدسة للزم مناسبة القديم مع الممكن وهذا باطل إذ لا يناسب القديم إلا الوحدة المحضة

(١) معاني الأخبار: ص٥٥.

والغنـى المطلق غير المشـوب بشيء من الفقـر، ولا يناسب الممكن إلا الكـثرة المحضة، ولذا أجمع الحكماء واتفقوا على أن كل ممكن زوج تركيبي من المادة والصورة أو الوجود والماهية، وإذا ثبت ذلك ظهر لـك أن الموضوع له الأسماء هي الظهـورات الخاصة المتعلقة بالوجـودات لأن الاسم للظاهر وليس إلا بالظهور وليس الظهور إلا نفس الأثر، والظهور على قسمين ظهور عام وظهور خاص، فالعام هو المسمى بالاسم العـام والخاص المسمى بالاسم الخاص، فزيد مثلاً اسم للظهور العام الكلِي الساري في كل الظهورات والأحوال، فـإذا ظهر بالكتابة قلت كاتـب وإذا ظهر بالقيام قلـت قائم وإذا ظهـر بالقعود قلت قاعد، وهكـذا ساير الصفـات والأسماء، وكل ذلـك إنمـا حصل حـين الظهور والتعلـق فقبل الظهـور والتعلق لا يوجـد لا اسـم ولا رسم، والدلالـة التي هي مفاد الاسـم إنما هي حين الظهـور والتعلق كما هو المعلوم، فالقائـم حينئذ اسم لظهور زيـد بالقيـام وليس اسماً لذاتـه وإلا لم يكن القائـم صفة بل كان مسمـى والقيام صفة ولا شك أن القيام ليس صفة لزيد وإلا لصح التوصيـف بـه ولا يجوز أن تقول زيـد قيام وإنما يقـال زيد قائم، فالقائم هو مثال زيد وظهوره بالقيام لا ذات زيد، نعم لا فرق بينه وبين زيد في التعريف والتعرف والمعرفة، فمن عرف القائم عرف

زيداً ولا شك أن حقيقة القائم صفة زيد وظهوره لا ذاته، وكذلك الله ربنا جلت عظمته له الاسم الكلي الساري في جميع الظهورات والتجليات وهو لفظ الجلالة (الله) وليس هو علماً على الذات لأننا ذكرنا أن الذات لا اسم لها ولا رسم وإنما هو اسم للظهور الكلي العام، وله عز وجل ظهورات جزئية بحسب المتعلقات، فإذا تعلق منها بالخلق سمي خالقاً، وإذا تعلق بالرزق سمي رازقاً وإذا تعلق بالإحياء سمي محيياً وإذا تعلق بالإماته سمي مميتاً وإذا تعلق بالقهر سمي قاهراً وقهاراً وإذا تعلق منها بالإحسان سمي محسناً وما تعلق منها بالمغفرة سمي غفوراً وغفاراً وما تعلق منها بالرحمة سمي رحيماً، وهكذا في سائر الظهورات والتعلقات، وجميع هذه الظهورات سواء كان منها الظهور الكلي (الله) أو الظهورات الجزئية كلها مخلوقة له سبحانه وتعالى، وإنما يظهر لها بها في مقامها ورتبتها من الحدوث لا في مقام ذاته وإن كانت -أي الذات- هي المقصودة حين الإطلاق. ولما كان أئمتنا عليهم السلام أعلى المظاهر له سبحانه وأعظم الآيات وأكمل التجليات وأتم الأمثال، وكان ساير الخلق مظاهرهم ومظاهر المظاهر مظاهر، لأن الله سبحانه خلقهم في حجاب العظمة والقدس ولم يكن هناك خلق، فتحملوا عن الله سبحانه في العالم الأول جميع

المعـارف والظهورات ومراتب التوحيد فحكـوا المثال على الحقيقة كما قال تعالى في الحديث القدسي «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»، فصاروا هم المشتق منه وهم المشتق لأنهـم مبدأ الاشتقاق وأصله وفرعـه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، فهم المحمـود وهـم محمد وهـم الأعلى وهـم علي وهـم المحسن وهم الحسـن وهم قديمو الإحسان وهم الحسـين وهم فاطر السموات والأرض وهم فاطمـة، فأنهم أسمـاء الله الحسنـى وآلاؤه العليا وآياتـه العظمـى، وليس لله سبحانـه أسمـاء غيرهـم ولا ظهور سواهم ولا تجل عداهم سلام الله عليهم أجمعين تماماً كالصورة الشاخصة في المرآة فإنها صورة منفصلة عن صورة زيد المتصلة بـه لا منفصلة عن ذاته فالصورة المتصلة له والمنفصلة عنها كلها خلقـه وإحداثه غاية ما في الأمر أن ظهـوره العام واحد بسيط لا تكـثر فيه لتنزهه عن التعلـق ولا تفصيل فيه وأما ظهوره المنفصل الشاخص فـي المرآة فهو ظهور جزئي متعلق بالمـرآة حجماً ولوناً وصفاء وكدورة وبُعداً وقرباً فإذا كانت المرآة كبيرة ظهرت صورتك فيها كبيرة والعكس صحيح وإذا كانت صافية ظهرت صورتك فيها صافيـة والعكس صحيح وإذا كانت المـرآة حمراء ظهرت صورتك فيها باللون الأحمر وإذا كانت خضراء ظهرت صورتك فيها باللون الأخضر إلى غير ذلك من أنحاء الكثرات والتعلقات فتدبر.

وهو -أي الإمام الحسن عليه السلام- وإن كان أفضل من أخيه الحسين عليه السلام، إلا أنه ما اقتضت الحكمة أن يظهر بما ظهر به الحسين عليهما السلام وإلا اختل النظام، لأن مقام الحسن عليه السلام مقام النضج والتعفين لطبيعة العالم ومقام الروح الكلية -على اعتبار- فإنها الحاملة للحرارة والرطوبة، ومقام الحسين عليه السلام مقام الفصل والتمييز والتقطير في العالم الكلي وهو مقام النفس الكلية في العالم المتعلقة بالطبيعة الكلية، كما أن في الحسن الروح المتعلقة بالنفس فصار مظهر النفس الكلية الإلهية، ومن تعلق هذه الروح بالنفس صدر النور الأخضر، ولذا ورد التعبير عنه صلوات الله وسلامه عليه في تأويل الآيات القرآنية باللؤلؤ كما في قوله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ۝١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾[1]، فقد روى المالكي في فصوله المهمة عن أنس بن مالك في قوله مرج البحرين يلتقيان قال: علي وفاطمة عليهما السلام، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام.

(١) سورة الرحمن: آية ١٩-٢٢.

وإنما عبّر سبحان عن الحسن باللؤلؤ والحسين بالمرجان لسر لا يخلو من فائدة وحُسّن، وهو أن اللؤلؤ يتكون في البحر في صدف (محـارة) وليسـ بشجرة في البحـر كالمرجان، فيغلـق الصدف ويخـرج منـه اللؤلـؤ، والطيـب منه يميـل إلى الخضـرة بخلاف المرجـان، فإنه شجرة حمـراء في البحر نابتة فـي قعره يقطعها أو يقلعهـا الغواصـون، ولا تكون غالباً إلا في بحر عميق، وحيث أن إمامنا الحسن عليه السلام منفرد في الإمامة ليس في أولاده إمام حتى يكون كالشجرة، ولدى انتقاله إلى دار الآخرة تحول بدنه الشريف إلى الخضرة مـن تأثير السم، كما أن قصره في الجنة أخضر لما تجلى فيه الركن الأيسر الأعلى من العرش الساطع بالنور الأخضر النفس الكلية الإلهية فلذا عبر عنه باللؤلؤ.

ومثـل ذلك التعبـير عنه عليه السلام بالتـين في مقابـل التعبير عن أخيـه الحسـين عليه السلام بالزيتون فـي سورة التين، وإنمـا عبّر عنه بهذه الفاكهة المباركة لنكت وأسرار لا تخلو من فائدة، منها عظيم بركتهـا وكـثرة فوائدها وعموم عطائها بحيـث لا يوجد فيها قشر يرمـى عند الأكل ولكنها تؤكل كاملة مـع قشرها وبذورها الناعمة وكذلك كان إمامنا الحسن عليه السلام مظهراً لكرم الله وجوده وعطائه

حتى لقب بكريم أهل البيت عليهم السلام، فما قصده قاصد ولا التجأ إليه ملتجأ ولا التمس معروفه طالب حاجة ورجع خائباً أبداً بل يرجع عنه فائزاً غانماً فرحاً مسروراً. ومنها أيضاً كون هذه الثمرة لا عجم فيها وكذلك الإمام الحسن عليه السلام لا عقب له من الأئمة الطاهرين ولذا كانت هذه الثمرة من ثمار الجنة لأن طعام الجنة بلا عجم، ومنها موافقة لونها الأخضر وحتى لونها الأحمر أو المائل إلى السواد فإنه في الأصل أخضر موافقته للون بدنه الشريف الذي تحول إلى اللون الأخضر حين سقي السم وأخذ يقذف كبده الطاهرة قطعة قطعة لعن الله قاتله. ومنها أن شجرة التين تتحمل العطش ولذا يمكن زراعتها تحت الظروف القاسية كما أنها تتحمل حرارة الصيف وجفافه وبرودة الشتاء ورطوبته، وكذلك الإمام الحسن عليه السلام تحمل من الآلام والمصائب والمحن وبخاصة من أصحابه وبني عمومته الذين قلبوا له ظهر المجن بعد أن أغراهم معاوية بالمال، فأصبحوا له من بعد الصداقة معادين ومن بعد المحبة مبغضين فصبر على ذلك كله بأبي هو وأمي كما صبر جده وأبوه وأمه من قبل.

ومن الأسرار المتعلقة بوجوده المبارك صلوات الله وسلامه

عليه تأويـل صلاة العشاء به، وذلك لأنها تكـون عند تراكم ظلمة الليـل وحندسه وذهاب الحمرة المغربية فوافقت في التأويل زمان الحسـن المجتبى، فلقد صادف شدة ظلم بني أمية وغلبة غشمهم وظلمهـم وطغيانهم وتراكم الظلمـة تصديقاً لقوله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ حتـى كان مـا كان مـن طغيان جورهـم الفاحش معه وغشيان ظلمهم نور النهار الحسن بن علي عليهما السلام بصلحه مـع معاوية مـن إتمام الحكم وإكمال الحجة وحفـظ دماء الشيعة وقلة الأعوان من المصالح الكثيرة فجرى ما جرى(١).

ومن مقاماته العالية التي وإن كانت في باقي المعصومين عليهم السـلام على حد سواء إلا أنـه كان مصداقاً بارزاً من مصاديقها ومظهـراً كاملاً من مظاهرها لكونه من أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام، فقد لقبه جده المصطفى صلى الله عليه وآله «**بأن ابني هذا سيد وسيصلح الله بـه بـين فئتـين**»، وقال فـي حديث آخـر «**الحسن والحسـين سيـدا شبـاب أهل الجنـة**»، وورد في الزيـارة الجامعة عـن الإمام الهـادي عليه السلام (والسادة الـولاة)، ويعجبنـي هنا أن أذكـر مـا سطره شيخنـا الأوحـد الأحسائي أعـلا الله مقامه في

(١) الكلمات المحكمات: ص١٩٥.

شرح هذه الفقرة المباركة تيمناً بذكرهم صلوات الله عليهم، قال: السيد من ساد يسود سيادة والاسم السؤدد وهو المجد والشرف فهو سيد والأنثى سيدة والسيد الرئيس الكبير في قومه المطاع في عشيرته وإن لم يكن هاشمياً ولا علوياً، والسيد الذي يفوق في الخير والسيد المالك، ويطلق على الرب والشريف والحليم والكريم والفاضل والمتحمل أذى قومه والزوج كقوله تعالى ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ وعلى المقدم، وكونهم سادة يجري على كل واحد من هذه المعاني، فمعنى الشريف وذي المجد فإنهم بمكان من الشرف لا تصل إليه أوهام الخلائق كما يدل عليه قوله عليه السلام في هذه الزيارة فيما بعد «**طأطأ كل شريف لشرفكم**» أي خضع وخفض وانحط ولم يدرك غاية شرفكم والمجد هو الشرف الواسع والعلو والكمال والعز، وعلى معنى أن السيد هو الفائق في الخير فإنهم قد فاقوا كل شيء من الخلق في جميع كمالات الخير بما لا يتناهى لأحد ممن سواهم، بمعنى أنه لو كان نبي من أفضل أولي العزم غير محمد صلى الله عليه وآله زخّ في كمال من كمالاتهم فبقي يصعد أبد الآبدين ما حام حول حمى كمالهم ذلك ولم يتجاوز أثره، وعلى معنى أنه الرئيس في قومه المطاع في عشيرته فإن الله سبحانه قد أحلهم في مقام بين قومهم وعشيرتهم بل بين كل

الخلـق لا يكيف كنهه ولا يكتنه أصله فهـم مطاعون في كل الخلق إذا دعوا أجابتهم الحقائـق والرقائق والطرائق والأفئدة والقلوب والأرواح والنفوس والطبائع والألفاظ والأحوال والأعمال والأقوال والحـركات والخواطر والضمائـر والسرائر، فـكل شيء لهم وكل شـيء يطيعهـم، وعلـى أنه الـذي يفوق فـي الخير فإنهـم عليهم السلام فاقوا في كل خير كل الخلائق لأن كل الخلائق إنما خلقوا لهـم كما قال عليه السلام في هذه الزيـارة أيضاً: «حيث لا يلحقه لاحق ولا يفوقـه فائـق ولا يطمع في إدراكـه طامـع»، أي أن الله أحلهم محـلاً لا يطمع طامع من الخلق سواهـم في إدراكه وأن يفوقه ولا أن يلحقـه، وعلى أنـه المالك فظاهر فإن الله سبحانه قد خلق لهم الخلق وفوض إليهم أمرهم والحكم فيهم، وبمعنى الصاحب إنهم علة الموجـودات الإيجادية والمادية والصورية والغائية فكيف يجوز أن يفارقهم خلق ويبقـى والبقاء بهم فهم المصاحبون الخلق بهذا المعنى، وعلى معنى الحليـم والمتحمل أذى قومه فمن تتبع الأخبار وجـد حلمهم وتحملهـم الأذى وعدم انتقامهم وهـم يقدرون على نحو لا يمكن أن يقع من غيرهم» -ذكرناه بتصرف-[1].

ولقد كنت فيما مضى من الزمان حين ألمّ بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق

(١) شرح الزيارة الجامعة: ج١، ص٢٥٤.

سبطيه عليهما السلام «**الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا**»، أحسب أن معنى ريحانتي في الحديث الشريف مقتصر على النبات المعروف الطيب الرائحة وهو المعنى المتبادر إلى الأذهان عند إطلاقه، ولكني حين أرجعتُ النظر في هذه اللفظة كرة بعد أخرى، قلت في نفسي، أيعقل أن يكون قصارى ما يقصده النبي صلى الله عليه وآله منها وهو الذي أوتي جوامع الكلم وشابه لفظه لفظ القرآن الكريم من حيث أن ظاهره أنيق وباطنه عميق، هذا المعنى الظاهري المباشر، وأيقنت أن هناك معنى آخر أكثر عمقاً وأشد دلالة على مقام هذين الإمامين الهمامين يضاف إلى المعنى الظاهري لهذه الكلمة، وبالفعل وجدت أن لها في معاجم اللغة معنى آخر وهو (الرزق الواسع)، قال ابن منظور في معجم (لسان العرب) في الجزء الثالث من طبعة دار صادر ١٩٩٧، في قوله تعالى ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي رحمة ورزق وفي قول الله جل وعلا ﴿وَلَا تَأْيْـَسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ أي من رحمة الله، سماها روْحاً لأن الروح والراحة بها، قال الأزهري: وكذلك قوله في عيسى ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي رحمة منه تعالى ذكره، والعرب تقول: سبحانَ اللهِ وريحانَه، قال أهل اللغة: معناه: استرزاقه، وهو عند سيبويه من الأسماء الموضوعة موضع المصادر تقول: خرجت ابتغي ريحانَ الله، قال النمر بن تولب:

سـلامُ الإلــه وريحـانـهُ ورحـمـتُـه وسـمـاءُ دِرَرْ
غـمـامٌ يـنـزّل رزق العـبـاد فأحيا البلاد وطابَ الشجرْ

قـال: ومعنى قولـه وريحانه: ورزقـه، وفي الحديـث: الولد من ريحـان الله، والريحـان يطلـق علـى الرحمـة والـرزق والراحة، وبالرزق سمي الولد ريحاناً. - ذكرته بتصرف-[1].

فلمـا قرأت هـذا الكلام انزاح عني تعجبـي وانجلت عن فكري دهشتـي، وقلت وقد ملأ السرور قلبي وخالطتْ البهجة فؤادي نعم والله لقد كانا لرسول الله ﷺ رزقاً واسعاً ورحمة شاملة ومن أولى منهمـا أن يكون محط ذلك وهما مظهـرا الرحمة الإلهية والجود والعطـاء الربـاني الذي لا ينضـب أبداً كرامة لحبيبـه المصطفى ﷺ، وعرفـت سـر خلـق الجنان والحـور العين من نـور الحسين عليه السلام وسر خلق اللوح والقلم من نور الحسن عليه السلام، وقد كتب الله في اللـوح المحفوظ الخلود لأهل الجنة وأن نعيمهم دائم ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء الله وهو ما تفيده لفظة الريحان وهو الـرزق الدائم الواسع غير المنقطع، وتعـرف هذا المعنى من قولنا أيضـاً أن المقربـين في القرآن هم السابقون كمـا في قوله تبارك

(١) راجع الجزء المذكور حرف الراء: ص١٤١.

وتعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وهؤلاء المقربون هم المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام ومَنْ كان منهم أي من المقربين فهو تبع لهم ومن شيعتهم المعتقدين بإمامتهم وعصمتهم المخلوقين من أشعة أنوارهم عليهم السلام كما قال تعالى ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾، وإذ شرفنا الله باتباعهم فصرنا منهم أي من المقربين التابعين لهم صدق علينا قول ربنا ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، وكنا سعداء وصار لنا الرزق الدائم غير المنقطع وجنة نعيم نعيمها مقيم لا زوال له ولا اضمحلال وهي جنة الولاية لهم صلوات الله وسلامه عليهم كما ورد في تفسير القمي سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله جل وعلا ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فقال عليه السلام: «**تسأل هذه الأمة عما أنعم الله عليهم برسول الله ثم بأهل بيته**»، فمن كان على ولايتهم يدخل جنتهم ولا يدخلها إلا بشفاعتهم وعلى رأسهم الروح والريحان وهما الحسن والحسين عليهما السلام إذ هما سيدا شباب أهل الجنة فمن نور الحسين خلقُها وبنور الحسن بقاؤها وخلودها صلوات الله عليهم أجمعين، ولهذا نكّر نعميها سبحانه هنا ليدل على تجدده في كل حين من جهة، وعلى امتناع

إدراك مداه وكنهه وعظمته من جهة أخرى، ورد في كتاب الأمالي عـن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن هذه الآية فقال: قال لي جبرئيل ذلك علـي وشيعته هم السابقون إلى الجنــة المقربون من الله بكرامته، وذلك قوله تعالى ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ اللهم اجعلنا منهم بحقهم عندك وكرامتهم عليك يا أرحم الراحمين.

# الحسنات والسيئات العرضية

هيـا حدّق في الأفق طويلاً ودُم علـى ذلك ما استطعت سبيلا ، والّهُ عن كل الصخب والضوضاء والزحام، وتفرد في وقوفك فوق قلـل الجبال وخذ من طبعهـا قليلا ، كن مثلهـا شامخاً لا تحركك العواصف ولا تزيلـك القواصف، واستقم كما أمرت ما دمت حياً، خـذ من عزمها وقـوداً ومـن ثباتها مزيـداً، تملّك الجـو كالنسر فريـداً، يفرش أجنحته على الأجواء جميعـاً، ينساب إلى الأسافل فـي تؤدة ووقـار ثم لا يلبث أن ينطلق إلى الأعـالي بعيداً، لا ترقى إليـه الطير ذلـك أنه يفيض عليها في كل آن شيئـاً جديداً يعلمها السلامـة ألا تحيدا، وأن تؤثر الاستقامـة والصمودا ولا تلوي على الدنيـة جيدا، مسكنها السماء دوماً فهي مأوى الأقوياء وأما ذوات الضعف ومناط الذل فعيشهـا أبداً بين الحفر فاسع سعيك وابذل جهدك واشـرب صافياً من زلال كدّك، فإنمـا هي مناهل الرجاء مترعـة للشاربين، وأكـف الأمل ممـدودة لليائسـين، فانعم منها بنصيـب واركن فيها إلى نعيم مترف أعد للمؤمنين الأخيار، ولولا بعدك عـن الدار، ولولا أن شط بك المـزار، لرأيت معالمي واضحة لديـك حتى لتـكادك تلمسها بكلتا يديك تستشعـر منها إحساسي

وتدفق شوقي في عينيك تتبوؤ عرشك في قلبي وأنا لبيك، وكذلك علمنـــا الله أن من يختار الاستقامة ويثبت على الهدى فإن له جنة المـأوى خلقها لمن اتقى، وأما من قسط ومال وحاد وزاغ فإن له دار الخبال وسوء المآل، وجعل للتفريق بين الحزبين داراً للتكليف ليتبين فيهـا القوى من الضعيف والوضيع مـن الشريف، ولكن من هناك بعيـداً حيث الزمن الأول وفـي أثناء مسيرنا فـي رحلتنا الطويلة إلى مقرنـا المؤقت حيث هنا، فاللّه وحده يعلم كم من المشاق لقينا وكـم من المتاعب واجهنا وكم من العـوالم قطعنا، حتى لقد نسينا هنـاك كيف فعلنا وماذا لربنا قد أجبنـا، ولكننا يوماً سنعود وإلى وطننا الغـالي نرتمي في أحضانـه بالفرح والسعـود سنعود، إلى جنـات الخلـود سنعود، أو العيـاذ باللّه سيكون مساقنـا إلى النار وقودهـا الناس والحجـارة، محمّلين جميعاً بباقـات أعمالنا فمِن ورد وريحـان باقة الطيـب والهدى يشع سناها فـي جبين الموحّد، وأخرى بذل الخزي موسومة تعثّر في حالكات الدياجر.

أليـس اللّه قد أوقفنا هناك جميعـاً في مقام الخشية والخشوع وتوجـه إلينا بخطابه الربوبي السامـي، فتفرق الخلق وتميزوا ولم يكونـوا على درجة واحدة فـي قبولهم لولاية أمـير المومنين وأهل بيتـه الطيبين الطاهرين صلوات اللّه عليهم أجمعين، ولا متساوين

في ذلك عندما شملهم التكليف الذي هو سبب الإيجاد، إذ مدار التكليف كان على حسب قبولهم -أي الخلق- واستعدادهم، لا على مدار الجبر والإلجاء والإكراه لما يستوجبه ذلك من ظلم العباد ولزوم الترجيح بلا مرجح، والله سبحانه وتعالى منزه عن الظلم والجور وما ربك بظلام للعبيد، فجعل جلت عظمته مدار الاختلاف والتباين في درجات القبول هو الاختيار عن كمال الشعور لتتم الحجة بأبلغ صورة وتنقطع المعاذير، فخلق سبحانه جميع الموجودات والمخلوقات أولاً في عالم الذر بكمال الوعي والشعور والاختيار في حالة لم يكونوا محكومين فيها بحكم الكفر ولا الإيمان كما ذكر الله في كتابه العزيز ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾[1]، أي بسبب التكليف وارسال الرسل وإنزال الكتب، فكلفهم سبحانه في ذلك العالم بقوله «**ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وإمامكم والأئمة من ولده أولياءكم وأئمتكم**»؟ فانقسموا على ثلاثة أقسام:

- قسم أقروا بالإخلاص والمعرفة والبصيرة وقبلوا ذلك بكمال التسليم والخضوع والانقياد.

(١) سورة يونس: آية ١٩.

- وقسم انكروا على بصيرة بكمال العناد والكفر والنفاق وعدم القبول مطلقاً بذلك التكليف.

- وقسم أقروا لكن لا عن بصيرة ومعرفة بل عن جهل وعدم إدراك ولم يعرفوا أنفسهم لمن تبعوا ومتبوعهم من هو والحق أي واحد من القسمين المتقدمين والباطل أي واحد منهما.

وتبع القسم الأول خلق فكانوا أتباعهم، وتبع القسم الثاني خلق فكانوا أتباعهم، فكان المجموع في ذلك كله خمسة أقسام.

فخلق الله سبحانه طينة القسم الأول وهم الأولون من أعلى عليين وأصل الجنة، وطينة تابعيهم الذين هم أصحاب اليمين من الطينة المخزونة المكنونة أنزل من طينة متبوعيهم بسبعين مرتبة وهم الشيعة الذين خلقوا من شعاع نور متبوعيهم، ولذا قال إمامنا الصادق عليه السلام: «**شيعتنا منا خلقوا من فاضل طينتنا**». كما خلق سبحانه طينة المنكرين الأولين من سجين وأسفل السافلين وخلق تابعيهم من سجين أيضاً لكن أنزل من طينة متبوعيهم بسبعين مرتبة، فكل ما جرى في المتبوعين يجري في التابعين لكن بالتبعية وفي المتبوعين بالأصالة، وأما القسم الثالث وهم المستضعفون فليس لهم حكم من الإيمان والكفر بل أمرهم معوق إلى نزولهم

إلى الدنيا وقبولهم وإنكارهم، وإن استمر فيهم الجهل والإنكار يرحل أمرهم إلى يوم القيامة ويكلفون هناك ثم يحكم عليهم بالكفر والإيمان.

هذه هي القاعدة الكلية في الدخول إلى الجنة أو النار تمثلها هذه الأقسام الثلاثة، وما عداها فإنه يرجع إلى إحداها لأنه الأصل وما عداها الفروع، فلا يدخلون الجنان الأصلية والنيران الأصلية بل يدخلون حظائر النيران وحظائر الجنان، إذ أنها -أي الفروع- ناتجة عن اللطخ لا عن أصل القبول والإنكار، واللطخ يأتي بعد تقدير الطينتين طينة عليين وطينة سجين طينة خبال. ذلك أن الله سبحانه لما أراد أن يأتي أولئك المؤمنون الذين قبلوا تكليف الله لهم وأقروه، إلى هذه الدنيا خلق أولاً تحت العرش بحراً اسمه بحر الصاد ثم خلق ماءً اسمه المزن، والمزن هو الماء الذي كان العرش عليه ثم خلق شجرة تحت ذلك البحر اسمها شجرة المزن، فجعل أرواح المؤمنين في ذلك البحر ثم قطر ذاك البحر على تلك الشجرة قطرات من مائه المزن، كل قطرة كانت محلاً لروح مؤمن من المؤمنين لا يقع قطرة منها على مأكول من المأكولات ولا على خضرة من الخضروات والبقولات ثم يأكل ذلك المأكول أو الخضرة مؤمن أو كافر إلا يخرج من صلبه مؤمن صالح.

وفي المقابل خلق سبحانه شجرة في سجين فوق بحر الطمطام اسمها شجـرة الزقوم طلعها كأنه رؤوس الشياطين وتلك الشجرة فوق ذلك البحر، ثم صعد من ذلك البحر بخار على تلك الشجرة ثم ارتفع منها متصاعداً إلى وجه الأرض إلى أن وقع على المأكولات والخضـروات التي على وجه الأرضـ، فما أكل منها مؤمن أو كافر إلا وقد خرج من صلبه كافر طالح منكر لأهل البيت عليهم السلام وفضائلهم، ومن هنا تعلم سر ولادة الكافر من المؤمن وولادة المؤمن مـن الكافر. ثم بالتقاء القطرة والبخـار الواقعين علىمأكول على وجـه الأرض، حصل لطخ باعتبار المجاورة والمقارنة ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾(١)، فلـذا تـرى صفـات هؤلاء فـي هؤلاء وصفـات هؤلاء في هـؤلاء من حسـن الآداب وقبحها، ومـن هنا ينقسـم اللطخ إلى ثلاثـة أقسام: قسـم حصل للجسم الدنيـوي، وقسم حصـل في الجسم البرزخـي، وقسم حصل في الجسم الأخـروي، فهذه الأقسام بأسرهـا إنما حصلت من نزول القطرة من المزن وصعود البخار كما أوضحنا، لأن اللطخ قد يكون لا يؤثـر إلا في ظاهـر الجسم وقد يتعدى ظاهـر الجسم فيغوص

(١) سورة الروم: آية ١٩.

في الجسم المثالي وقد ينفذ في الجسم الأخروي، والعلامة في معرفة الثلاثة من أنواع اللطخ، هي أن صاحب اللطخ الدنيوي لا يظهر منه إلا القليل من السيئات ولا يصدر عنه إلا اليسير من الذنوب، وهو مع ذلك يريد أن يقطع روحه بعد التوبة والإنابة والبكاء، وهؤلاء قليلاً ما يعصون الله ربهم، فهولاء يزول عنهم اللطخ بالآلام الدنيوية وشدائدها ومحنها وفقرها وأمراضها ونقصها في الأموال والأولاد، فيصفون بها في الدنيا وليس لهم بعد ذلك عذاب لا في البرزخ ولا في الآخرة.

وأما اللطخ البرزخي فعلامته أن صاحبه يعصي كثيراً لكنه يتوب ولا يزال متنبهاً لاسيما بعد الارتكاب، قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[1]، وهؤلاء يطهرون في البرزخ بأنواع العذاب على حسب معاصيهم وسيئاتهم في أيام معدودات، ورد أن هؤلاء العصاة في البرزخ يصبون عليهم في الشتاء الثلج والمياه الباردة وتهب عليهم الأهوية الباردة، فيعذبون بما أعدّ الله لهم في الزمهرير، وأما في الصيف فيأتي بهم الملائكة إلى برهوت فيصبون عليهم النار،

(١) سورة الأعراف: آية ٢٠١

وهــؤلاء البرزخيون في عين البقر وهــو بئر اسمه بلهوت في وادي برهــوت، مع الأخذ بعين الاعتبار تلك الذنوب التي لا يكون عقابها إلا في البرزخ كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، منها مـا ورد فــي بحار الأنوار في الجزء السادس منه في باب أحوال البرزخ والقبر، عن زيد بن علي عن أبيه عن جده، عن علي عليه السلام قــال: «**عذاب القبر يكون من النميمـة والبول وعزب الرجل عن أهله**».

وأمـا اللطخ الذي حصل للجسم الأخــروي فعلامته أن صاحبه يتوغل في المعاصــي والسيئات ويرتكب القبائح والمنهيات من غير تنبـه وإنابـة بل إنه يرى المنكر معروفاً والمعــروف منكراً كما أخبر عنهـم النبــي صلى الله عليه وآله وسلم لا يبالون بل يعصـون الله ربهم وهــم عازمون على أخرى والعياذ بالله، فهؤلاء لا يطهرهم الآلام الدنيوية بل ولا الشدائد البرزخية ولا يتنبهون إلا بعد الموت(١).

ويجب التنبيه على أن ما يحصل بالمجاورة والمقارنة بين القطرة والبخــار شيئان أحدهما اللطخ نفسه الــذي يحصل في الصورة، وثانيهمـا آثـار اللطخ التــي تحملها النبــي صلى الله عليه وآله وسلم عن أمتـه ونسبها

(١) راجع جواهر الحكم، السيد كاظم الرشتي: مجلد ١٥، ص١٧١.

إلى نفسه واستغفر الله منها فغفرها له سبحانه ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١)، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**أي ذنوب شيعة علي** عليه السلام **وتحمل في سبيل غفرانها عنهم هو وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين كافة الأذيات والمشقات والقتل والظلم والسبي وسائر أنواع البلايا الواردة عليه وعلى ذريته**».

فباعتبار هذا التلاقي وهذه المجاورة بين قطرة المؤمنين وبخار الكافرين كما أسلفنا حصل أثر كل واحد في الآخر على حسب الغلبة أي غلبة أحدهما على الآخر، فإذا رأيت المؤمن كريه المنظر معوج الصورة سيء الخلق ثم ترى الكافر حسن الصورة حسن الخلق أميناً وفياً صادقاً، فاعلم أن كل واحد من الأخلاق والصفات إنما حصل باعتبار المجاورة عند التلاقي على ما فوق الأرض من المأكولات، فإن غلبت صفة المؤمن على صفة الكافر، صار الكافر حسن الخلق والآداب، وإن غلبت صفة الكافر على صفة المؤمن صار المؤمن سيء الخلق والآداب. فهذه الصفات في هؤلاء وهؤلاء عرضية حصلت باعتبار اللطخ بالمجاورة في هذه الدار، فلما خرج كل واحد من المؤمن والكافر من هذه الدار، ثم انتقل المؤمن إلى

(١) سورة الفتح: آية ٢.

دائرتـه دائرة العقل والنور وانتقل الكافر إلى دائرته دائرة الجهل والظلمـة، فلا يميل المؤمـن إلى المعصية أبداً كمـا لا يميل الكافر إلى الطاعـة أبداً، بـل يظهر من كل واحد منهمـا ما كان مقتضى نوعه وسنخه، ونعنى بقولنا إن هذه الصفات عرضية أنها حصلت فـي المؤمنين باعتبـار ظاهر جسدهم، وأمـا قلوبهم فهي مخلوقة من فاضل طينة أئمتهم المعصومين عليهم السلام، ولذلك تراهم لا يرضـون بالمعاصـي وإنما هم كارهـون لذلك أشـد كراهة عند صدورها عنهم وفعلها منهم.

ومن هنا تعرف أن اللطخ يكون ذاتياً وعرضياً، ذاتياً في اللاطخ الغالـب وعرضياً -وهو محل كلامنا- في الملطوخ المغلوب وإن كان الـكل بالاختيار، فلو أخـذ مؤمن بمقتضى مجاورتـه للكافر بعض أخـلاق الكافر وطباعه السيئة وصفاتـه الذميمة، كانت هذه كلها في المؤمن عرضية بصفته الملطوخ أو من وقع اللطخ عليه وإن كان باختياره ورضـاه ولذلك يحاسب عليها، وكانـت في الكافر ذاتية بصفته اللاطخ لأنها من طبيعة سنخه وكينونته، ولذا هذه الأدران والمعاصـي والذنـوب ترجع إلى أصلها الذي نشـأت منه وذلك في يـوم القيامـة، وأصلها هو طينـة الكافر التي خلقـت من سجين،

بينما يعاقب عليها المؤمن في حظائر النيران لاختياره لها حتى يصفى ويذهب عنه درنها ووسخها ثم يخرج ويغسل بماء الحيوان ويدخل الجنة.

ويعجبني هنا أن أورد ثلاثاً من الروايات الفاخرة الواردة عن العترة الطاهرة تعبداً بما جاء فيها من مضامين عالية أولاً، ولشمولها للكثير من مفاصل هذا المطلب وشقوق هذه المسألة التي نحن في رحابها ثانياً:

١- عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: يابن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال: اللهم لا، قلت: فيلوط؟ قال: اللهم لا، قلت: فيسرق؟ قال: اللهم لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: اللهم لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا، قلت: فيذنب ذنباً؟ قال: نعم وهو مؤمن مذنب مسلم، قلت: ما معنى مسلم؟ قال: المسلم بالذنب لا يلزمه ولا يصير عليه، قال فقلت: سبحان الله ما أعجب هذا، لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة؟ فقال: لا عجب من أمر الله،

إن اللّه عــز وجــل يفعل ما يشاء ولا يسأل عمــا يفعل وهم يسألون، فمــم عجبت يا إبراهيم؟ ســل ولا تستنكف ولا تستحسر، فإن هذا العلــم لا يتعلمه مستكــبر ولا مستحسر، قلت: يا بن رسول اللّه إني أجد من شيعتكم من يشرب ويقطع الطريق ويحيف السبيل ويزني ويلوط ويأكل الربا ويرتكــب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكاة ويقطع الرحم ويأتي الكبائر فكيف هذا؟ ولم ذاك؟ فقال: يــا إبراهيم هل يختلج فــي صدرك شيء غير هــذا؟ قلت: نعم يا بــن رسول اللّه أخرى أعظم من ذلك، فقال: وما هو يا أبا إسحاق قال: فقلــت: يابن رسول اللّه وأجد مــن أعدائكم ومناصبيكم من يكثر مــن الصلاة ومن الصيــام ويخرج الــزكاة ويتابع بين الحج والعمــرة ويحض على الجهاد ويأثر على الــبر وعلى صلة الأرحام ويقضي حقــوق إخوانه ويواسيهم من مالــه ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش، فمم ذاك؟ ولم ذاك؟ فسّره يابن رســول اللّه وبرهنه وبيّنه فقــد واللّه كثر فكري وأسهر ليلي وضاق ذرعي.

قــال: فتبســم صلوات اللّه عليه ثــم قال: يا إبراهيــم خذ إليك بيانــاً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم اللّه وسره، أخــبرني يا إبراهيم كيف تجــد اعتقادهما؟ قلت: يابن رسول اللّه

أجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من أفعالهم، لو أعطي أحدهم مما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن ولايتكم ومحبتكم إلى موالاة غيركم وإلى محبتهم ما زال، ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيكم ولو قتل ما ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم، وأرى الناصب على ما هو عليه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم إلى موالاتكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل فيهم ما ارتدع ولا رجع، وإذا سمع أحدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأز من ذلك وتغيّر لونه ورئي كراهة ذلك في وجهه، بغضاً لكم ومحبة لهم.

قال: فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال: يا إبراهيم، ههنا هلكت العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، ومن أجل ذلك قال عز وجل: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1]، ويحك يا إبراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك؟ وما الذي قد خفي على الناس منه؟ قلت: يابن رسول الله فبيّنه لي واشرحه وبرهنه.

(١) سورة الفرقان: آية ٢٣.

قال عليه السلام: يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلـق الأشيـاء لا من شيء (إلى أن يقول صلـوات الله عليه) فكان ممـا خلق الله عز وجل أرضاً طيبة ثم فجـر منها ماءً عذباً زلالاً، فعرض عليها ولايتنا أهـل البيت فقبلتها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعـة أيام حتى طبّقهـا وعمّها، ثم نضب ذلك المـاء عنها، وأخذ من صفـوة ذلك الطين طينـاً فجعله طين الأئمـة عليهم السلام، ثـم أخذ ثفـل ذلك الطين فخلـق منه شيعتنا ولو تـرك طينتكم يا إبراهيـم على حالـه كما ترك طينتنـا لكنتم ونحن شيئـاً واحداً، قلـت: يابن رسول الله فما فعل بطينتنا؟ قال: أخبرك يا إبراهيم، خلـق الله عز وجـل بعد ذلك أرضـاً سبخة خبيثة منتنـة ثم فجّر منهـا ماءً أجاجاً آسناً مالحاً، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت ولم تقبلها، فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبقها وعمّها، ثم نضـب ذلك الماء عنها، ثـم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهـم، ثم مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدوا أمانة ولا أشبهوكم في الصور، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته.

قلت: يابن رسول اللّه، فما صنع بالطينتين؟ قال عليه السلام: مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني -(يقصد عليه السلام بالماء الأول الذي خُلق منه الشيعة وبالماء الثاني الذي خلق منه الطغاة)- ثم عركهما عرك الأديم، ثم أخذ من ذلك قبضة فقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي، وأخذ قبضة أخرى وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رأيته من شيعتنا من زناً أو لواط أو ترك صلاة أو صيام أو حج أو جهاد أو خيانة أو كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه، لأن من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وأبواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه، لأن من سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال كلها على اللّه عز وجل قال: أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، ألحِقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب

بسنـخ المؤمن وطينته، ردّوها كلهـا إلى أصلها، فإني أنا اللّه لا إله إلا أنا عالم السر وأخفى وأنا المطلع على قلوب عبادي لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه.

ثـم قال الباقـر عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا إبراهيم اقرأ هـذه الآية، قلت: يا بن رسـول اللّه أية آية؟ قـال: قوله تعـالى ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ﴾[1]، هـو فـي الظاهر ما تفهمونه، وهو واللّه في الباطن هذا بعينه، إلى أن قال: فقلـت: يابن رسول اللّه مـا أعجب هذا، تؤخذ حسنـات أعدائكم فتردّ على شيعتكم وتؤخذ سيئـات محبيكم فتردّ على مبغضيكم؟ قـال: إي واللّه الذي لا إله إلا هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الأرض والسماء ما أخبرتك إلا بالحق وما أتيتك إلا بالصدق وما ظلمهـم اللّه وما اللّه بظـلام للعبيد، وإن ما أخبرتـك لموجود في القرآن كله، قلت: هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال: نعم يوجد في أكـثر من ثلاثـين موضعاً في القرآن، أتحـب أن أقرأ ذلك عليك؟ قلـت: بلي يابن رسول اللّه، فقـال: قال اللّه عز وجل ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا

(١) سورة يوسف: آية ٧٩.

هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾[1].

أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يابن رسول الله قال: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[2]، أتحب أن أزيدك؟ قلت: بلى يابن رسول الله، قال: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3] يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات، ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات، وجلال الله ووجه الله إنّ هذا لَمِن عدله وإنصافه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم.

ألم أبيّن لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يابن رسول الله، قال: اقرأ يا إبراهيم: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾، يعني من الأرض الطيبة والأرض المنتنة، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[4]، يقول: لا يفتخر أحدكم بكثرة

---

(١) سورة العنكبوت: آية ١٢.
(٢) سورة النحل: آية ٢٥.
(٣) سورة الفرقان: آية ٧٠.
(٤) سورة النجم: آية ٣٢.

صلاتـه وصيامـه وزكاته ونسكه لأن الله عز وجـل أعلم بمن اتقى منكم فإن ذلك من قبل اللمم وهو المزاج -إلى آخر الرواية-[1].

٢- عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبدالله بن الجارود عمن ذكـره عـن علي بن الحسـين عليه السلام قـال: «**إن الله عز وجـل خلق النبيـين مـن طينة عليـين وأبدانهـم، وخلق قلـوب المؤمنين من تلـك الطينة وخلـق أبدانهم من دون ذلك، وخلـق الكافرين من طينة سجين وقلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين فمن هذا الذي يلد المؤمن الكافر، ويلد الكافر المؤمن، ومن ها هنا يصيب المؤمـن السيئـة ويصيب الكافـر الحسنة، فقلـوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه**»[2].

٣- عـن عبدالله بـن سنان عن أبي عبـد الله عليه السلام في حديث طويـل يقول في آخره: «**مهمـا رأيت من نـزق أصحابك وخرقهم فهو مما أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن شيم من خالفهم ووقارهم فهو من لطخ أصحاب اليمين**»[3].

ويختلـف اللطخ بقسميه الذاتـي والعرضي عن الخلـط، إذ أن

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥، ص٢٢٨ وما بعدها.
(٢) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ص٨٢.
(٣) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ص٨٣.

اللطخ يأتي بعد التكليف في عالم الذر وقبوله أو إنكاره وتقدير الطينتين وفرزهما عن بعضهما طينة المؤمنين الأخيار من عليين وطينة الكفار والفجار من سجين، وأما الخلط فهو في أصل الإيجاد إذ أن كل ممكن زوج تركيبي مكون من المادة والصورة أو من النور والظلمة أو من الوجود والماهية ومقتضيات الكينونة وحدودها الجامعة بينهما فلا تتم الخلقة ولا يكمل الإيجاد إلا بخلط المادة مع الصورة عن طريق الحدود الستة من الزمان والمكان والكم والكيف والجهة والرتبة ووجودها جميعاً دفعة واحدة، إلا أن لكلٍ جهته فالمادة أو الوجود جهته من ربه والصورة أو الماهية جهتها من نفسها وهي جهة الظلمة.

ورغم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تكفل بتحمل آثار المعاصي الناتجة عن اللطخ كما ذكرنا وأن المستجير بذمة أهل البيت عليهم السلام واللائذ بهم يطهر عن المعاصي ولو كان آتياً بمعصية الثقلين، لأن مثاله حينئذ كالنجس المرمي في البحر العظيم لأنه يطهر لا محالة، إلا أن الخوف كل الخوف -وهذا ما نؤكد عليه هنا- في الإدمان على هذه المعاصي والغرق في هذه الذنوب، إذ أن إدمانها يوجب الخلود في النار والعياذ بالله، لأنها تخرج صاحبها حينئذ عن الإيمان والولاية، فيأخذ العاصي في بغضهم وإنكار فضلهم

ويتجاسـر على خالقه جلت عظمته فيخلـد أبد الآبدين، ومن هذه الذنوب المخـرج لصاحبها عن حد الإيمان والمستوجبة للخلود في النار بعد المعرفة بحرمتها واستحلالها والعناد فيها:

١- **الـردّة عن الديـن:** قال تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(١).

٢- **النفـاق:** قـال تعـالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾(٢).

٣- **الغارقـون فـي الذنـوب والمدمنـون علـى المعاصـي:** لما ذكرنا سـابقـاً أن هذه الحالة تسلب العبد التوفيق وتحرمه من اللطف الإلهي فتستـولي الظلمة على قلبه فلا يفلح أبداً، روي عن أبي بصـير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أذنب الرجل خرج في قلبـه نكتة سوداء، فإن تاب انمحـت، وإن زاد زادت حتى تغلب

(١) سورة البقرة: اية ٢١٧.

(٢) سورة التوبة: آية ٦٨.

على قلبه، فلا يفلح أبداً، وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

٤- **قاتل المؤمن متعمداً**: قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2]، أي يقتله لإيمانه عالماً بحرمة قتله مستحلاً له، لا أن يقتله لغضب أو لخطأ أو لجهل أو لسبب شيء من أشياء الدنيا فإن توبته أن يقاد منه.

٥- **أكل الربا**: قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3]، فمن عاد وتكرر منه ذلك ولم ينته كما بيّن سبحانه كان مصيره الخلود في نار جهنم.

هذا كله بالنسبة إلى الذنوب المخرجة صاحبها عن حد الإيمان والولاية، وأما أقسام الكفر التي تستوجب الخلود في النار فهي:

---

(١) سورة البقرة: آية ٨١.
(٢) سورة النساء: آية ٩٣.
(٣) سورة البقرة: آية ٢٧٥.

١- أن يكـون الكافـر غير معـترف بالقادر المختـار سبحانه جملة وتفصيـلا، وهذا كفره ذاتي أصلي وصاحبه مخلد في النار لا محالة.

٢- أن يكون معترفاً بالله سبحانه غير معترف بالنبوة أصلاً، وهذا أيضاً كفر جحود وصاحبه مخلد في النار.

٣- أن يكـون معترفاً بالنبوة في الجملـة ولكنه غير معترف بنبوة نبينا صلى الله عليه وآله، وهذا أيضاً كفر جحود وصاحبه مخلد في النار.

٤- أن يكـون معترفاً بنبـوة النبي ومَن قبله ولكنهـم يختلفون في الخليفـة والوصي من بعـده، فإن أنكـر الخليفـة والإمام عن معرفـة به وبصيـرة كَفَر كُفْـر الجاهلية الأولى، وأمـا الإنكار بسبـب الجهـل وعـدم العلم فلا يوجـب الكفـر ولا يخرج عن الإسـلام ومسمى المسلمين، «**كما في روايـة ضريس الكناسي عـن أبـي جعفـر عليه السلام: قلت: جعلـت فداك ما حـال الموحدين المقريـن بنبـوة رسـول الله صلى الله عليه وآله من المسلمـين المذنبين الذين يموتـون وليـس لهم إمـام ولا يعرفـون ولايتكم فقال عليه السلام: أمـا هـؤلاء فإنهم في حفرهم، فمن كان لـه عمل صالح ولم تظهـر منه عـداوة فإنه يخد لـه خدّاً إلى الجنـة التي خلقها**

**الله بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، فهؤلاء من الموقوفين لأمر الله قال: وكذلك يفعل بالمستضعفين والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم**».

فيثبت أن المختلفين في الإمامة لا يكفرون بأجمعهم، بل من لم يقبل بها بعد أن عرف في نفسه وجوب ذلك عليه، وأن أغلبهم يلهى عنه في البرزخ ويوم القيامة يميز الله الخبيث من الطيب ويجازي كلا بما يستحق.

وأما حظائر النيران فيسكنها ثلاث طوائف:

١- الذين اتبعوا المنكرين بالذات فصار إنكارهم عرضياً لا ذاتياً لأنهم خلقوا من فاضل طينة أهل النيران فيخلدون في حظائر النيران.

٢- أولاد الزنا إذا كانوا غير مؤمنين فيخلدون في حظائر النيران.

٣- كافرو الجن.

وبالمقابل فإن حظائر الجنان تسكنها ثلاث طوائف أيضاً مخلدون فيها.

١- مؤمنو الجن.

٢- المؤمنون من أولاد الزنا وأولاد أولادهم إلى سبعة أبطن.

٣- المجانين الذين عاشوا في الدنيا ولم يجر عليهم التكليف وليس لهم من يدخلون الجنة بشفاعته.

وهؤلاء يدخلون الحظائر لأنهم خلقوا منها فيعودون إلى أصلهم فيها كما يدخل مؤمنو الإنس الجنان الأصلية لأنهم خلقوا منها، وهكذا يعود كل شيء إلى أصله الذي خلق منه سواء من جنة أو نار أو الحظائر.

وكذلك أهل الجنة يدخلون نار الحظائر بسيئاتهم حتى يطهروا لأن تطهيرهم إزالة نجاسات الذنوب وهي إعدام وفقدان لما لزمهم وذلك من جنس النار، وأما أهل النار فلا يدخلون جنة الحظائر بحسناتهم لأن حسناتهم ليست ثابتة إذ لا أصل لها فيهم بل هي مجتثة من فوق الأرض مالها من قرار لأن أصلها الماهية والظلمة التي ما شمت رائحة الوجود كما أن أصل الطاعات المادة أو النور لأنه جهة المخلوق إلى ربه سبحانه وتعالى، فلا يقتضي أن يكون ثواب حسناتهم وجدانياً بإيصال مدد من الوجود ليلزم أن يكون ذلك في جنة الحظائر التي هي من جنس الوجود، بل يكون ثوابها

من جنس الإعدام، لأن تلك الحسنات ليست حقيقة بل هي من جهة عدم الثبات أشبه بالسيئات، فيأتيهم ثواب هذه الحسنات وهم في النار لأجل مناسبته للنار لأنه في الحقيقة عرضي فهو صورة الثواب فهو مجانس للإعدام كالنار إلا أنه يأتيهم عند دخولهم لالتحاقه بوجهه الأعلى بالخير ولئلا يحسوا بالفتور كذلك، كما ورد بأن حاتم الطائي يكون في قصر في وسط جهنم لا يكاد يأتيه من حرها شيء[1].

وفي الختام فلا تحقرن من الخلق أحداً فربما كان من أولياء الله أو عباده الصالحين وأنت لا تعلم، ولا يغرنك نزق الناس وتمردهم فربما كان في أعماق نفوسهم نور كثير وخير عظيم، وخالطهم بمعروف ولا تقل لمن ألقى إليك السلام منهم لست مسلماً، ولا يأخذك العجب بما أنت عليه من الحق بأن تجد لنفسك على غيرك ميزة وتفرداً فيقعد بك هذا عن القيام بواجبات الله سبحانه على خير وجه وربما أفضى بك ذلك إلى الهلاك، ودع الخلق للخالق فإنه بعباده لطيف خبير.

(١) راجع رسالة في أحوال البرزخ والآخرة للشيخ الأوحد الأحسائي: من ص١٧٤-١٩٨.

# اعرف نفسك

إلى متــى يا نفســ.. أما آن لكِ أن تؤوبي، أمــا آن لك أن تتوبي، حتــى مع هذا التمرد والجحود فقــد قضيتِ عمركِ كالطائر البكر تحومــين في آفــاق الملكوت قد سدّت رغباتك الأفــق، لا تأوين إلى شيء ملكت الفضاء واستبحت السماء تجدين كل ما تشائين متاحاً ليس لنزواتك حد محدود ولا لسلطانك أمد معدود حتى لقد غركِ جهلــك واستفزكِ هواكِ أن ادعيت لنفســك مقاماً منيعاً ليس لكِ فضربــك خالقك بســوط قدرته وعزته وسلطانــه وهيبته، فهويت إلى الأرضــ ذليلــة خاشعة تكادين تذوبين خجــلاً وحسرة وندامة ممــا جنتــه يداك فأودعــك في هــذا القفص الآدمــي العنصري حتى يكســر نائرتك ويطفئ فورتك فلعلــك تستيقظين من غفلتك وتتفرغــين لما يراد منك ولكنك رغم ذلك ظللت تجمحين كالفرس العصيّ لا تقنعين بهــذا السجن الإلهي حتى قال فيك مولاك أمير المؤمنــين عليه السلام **«وإنمــا هي نفســي أروضها بالتقــوى لتأتي آمنة يــوم الخوف الأكبر»**. فكم من آية فــي حقك نزلت وكم من حديث لك أشار وبك خص مقبلين عليك غير مدبرين، محيطين بك غير متفرقين إكمالاً لحجة الله عليك وسوقاً لنعمته إليك كل هذا لأجل

تهذيبـك وتزكيتك طمعاً في إعادتـك إلى الطريق، وإنما أنتِ كما قال الشاعر البوصيري فيك:

**والنفس كالطفل إن تهمله شب على**

**حب الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ**

**فخالف النفس والشيطان واعصهما**

**وإن هما محّضاك النصح فاتهمِ**

**واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت**

**من المحارم والزم حمية الندمِ**

**فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها**

**إن الطعام يقوي شهوة النهمِ**

**فاصرف هواها وحاذر أن تولِّيهُ**

**إن الهوى ما تولى يُصْمِ أو يَصمِ**

فكلما زاد المرء لـك مخالفة وعن هـواك معارضـة ولمكائدك مراقبة، كلما ارتقى فـي سلم الإيمان درجات وزاد قرباً من بارئ السمـوات، أليسـت هي طريق معاكسة كلما جـدّ السير في ناحية منها قصر في الجانب الآخر وهكذا فأيهما غلب على صاحبه كان هو الحاكم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فقري واستقري يا نفس ولا تتعبيني معكِ ولا تخذليني وكوني لي عونـاً ولا تكوني علي لِبداً فإنما أنا منكِ وأنتِ مني وهل سبيلنا إذا استقمـت إلا واحدٌ فلنتعاهد إذن علـى أن نمضي سوياً في طريق الخير ونسلك جدد الهداية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا وأعينيني بـورع واجتهـاد وعفة وسداد فإنمـا اليوم المضمار وغـداً السباق، فلنحرص وإياكِ على أن نكون من الفائزين.

وهـذه شذرات مـن عالمك الرحـب أهديها إلى القـارئ العزيز عسـى أن يكون فيها فائدة له في دنياه وآخرته وسلماً للوصول إلى معرفتك كما أراد الله تعالى فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه.

- **تعريف النفس:**

النفس جسم نوراني جامد ذو مادة جوهرية، (كما أن العقل نور ذائب) مجردة عن المـواد العنصرية الزمانية ذات أبعاد نفسانية ملكوتية مقارنة في أفعالها فلا تنفك عن التعلق بالأبدان أبداً، ولا تكون بنفسها عقلاً، لأنها إذا كملت كانت تعي عن العقل وتدل عليه وإليـه تشير فهـي ابنته ومطيته الحاملة لثقلـه إلى بلد يجتنى من شجرهـا المعاني ولم يكن بدونها بالغاً لها إلا بشق نفسه، وشابهت مبدأهـا من النفس الكليـة واللوح المحفـوظ، وإذا ركبتْ المعاصي والمناهي انحطت إلى سجين وشابهت ما في الثرى.

أقسام النفس: تنقسم بحسب الذات إلى أربع:

**١- النفس النامية النباتية:**

وهــي مركبة من العناصر الأربعة جزء من الغذاء الناري وجزء من الترابي وجزء من الهوائي وجزءان من المائي اجتمعت الخمسة واتحدت بالانحلال حتــى صارت كيموساً فنضجت بنظر الكواكب فصارت نفساً نباتية نامية ولها خمس قوى:

• **جاذبــة:** من المرة الصفراء وهي ركن العنصر الناري وشأنها جذب مادة الغذاء وجذب الغذاء بعد تخليصه من المادة.

• **ماسكة:** من المرة السوداء وهي الركن الترابي وشأنها إمساك الغذاء على ما يناسبه.

• **هاضمة:** من الدم ومنبعها الكبد وهي الركن الهوائي وشأنها ضم المادة والكيلوس والكيموس وإحالته من نوع العضو.

• **دافعـة:** مــن البلغم ومنبعها الرئة وهــي الركن المائي وشأنها دفع الغذاء إلى العضو ودفع فاضله إلى ما بعده.

• **مربيــة:** قوة من النفس تفعل النفســ بها تنمية الأعضاء بما هو من نوعها من الغذاء فهي فعل النفس النامية.

**وللنفس النامية خاصيتان:**

• **الزيـادة:** عنـد اتصـال الغذاء علـى الوجه الملائـم المقارب للاعتدال وهي النمو.

• **النقصـان:** عنـد اختلال الشرائط واختـلاف المتولدات وهو الذبول.

وانبعاث النفس النامية من الكبد لأنها محل الرطوبة والحرارة واللذيـن هما علـة الهضم الذي هـو علة الاتحاد الـذي هو منشأ النفـس النامية، وبدء إيجادها عند مسقـط النطفة، فإذا فارقت بسبـب اختلاف المتولدات مـن الغذاء والطعـام والشراب بزيادة أحد الطبائع الأربع بعضها على بعض حتى تُبطِل الطاغيةُ الزائدةُ الأخرى الناقصة، فيبطل تركيب القوة المتألفة من الكل بالاعتدال فتفـارق الأخلاط، فـإذا فارقت عـادت إلى ما منه بـدأت (وهي العناصر) عود ممازجة لا عود مجاورة.

ومعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**بدؤها عند مسقط النطفة**» يعني فـي الرحم، إذ قبل سقوطها هي مـن المعادن، فلما سقطت فـي الرحم وكانـت نطفة الرجل حارة يابسـة التقت بنطفة المرأة وهـي بـاردة رطبة، حصلت النفـرة بين ما هو كالنـار وبين ما هو

كالمـاء فصـرف اللّه تعـالى بحكمتـه دم الحيض إليهمـا فتوسط بينهما، وفيه مزاج بـارد يابس وهو التراب الذي أخذ مادته الملك مـن الأرض مـن الموضع الـذي إذا مـات لا يدفن إلا فيـه، فماثه ومزجـه بإذن الله عز وجل فـي النطفتين، فببرودته يكسر حرارة نطفة الرجل لئلا تحرق نطفة المرأة، وبيبوسته يكسر رطوبة نطفة المـرأة لئلا تطفئ نطفة الرجل ، وتكـون نطفة الرجل بقدر نصف نطفـة المـرأة ليعتدلا فـي الطبائع، والتراب قد يكـون بقدر نطفة الرجـل، أو نصفهـا أو ربعها أو سدسها أو أقل، وكل هذه يكفي في مطلـق التوفيق بينهما، إلا أنه إذا كان بقـدر نطفة الرجل أو أكثر ربمـا فسد المـزاج فغلبت السوداء، فربما تكـون محترقة، وإذا قل كثـيراً ربما فسد المزاج فتغلـب الصفراء أو البلغم، وإذا كان بقدر النصف إلى ما يقرب من مساواة نطفة الرجل صلح المزاج وكانت السـوداء معتدلة فـي رجحانها فيعتدل المزاج فيكـون عاقلاً عالماً حافظـاً زكياً، فإن خلص التراب من الشوائب كانت صافية فيكون حينئـذ نبياً أو وصي نبي، قال الرضا عليه السلام: «**ما بعث الله نبياً إلا صاحب مرة سوداء صافية**»، فإذا اجتمعت الأسباب تألفت القوة أي النفـس النامية النباتية التي بهـا يحصل العقد والنمو وحينئذ بتقديـر اللّه تعالى تحصل للمـرأة حمّى ضعيفة لتعـين بحرارتها

حـرارة الرحم، ليحصل التعفين الذي هـو علة الانحلال ليحصل الغذاء الذي به النمو وليحصل العقد الذي هو علة الامتزاج.

**٢- النفس الحسية الحيوانية:**

وهـي من النفوس الفلكية، وهي في غيـب النـامية النباتية، لأن النفـس النـامية مقرها الدم الأصفر المتعلق بالعلق، الدم الذي في تجاويف القلب مـن الجانب الأيسر أكثر، فتلـك الأجزاء اللطيفة التـي هي النفـس النـاميـة إذا اعتـدل نضجها حتى كانـت بخاراً لطيفاً بتأثير أشعة الكواكب كالشمس والقمر والنجوم، وبمر الليل والنهار تلطف ذلك البخار المعتدل في ميزانه ونضجه حتى ساوى جـرم الأفلاك فأشرقت عليـه النفس الفلكية فتحـرك بحركتها، ومثالـه إذا قربت خشبة يابسة من الجمر الملتهب فإنها تصفر ثم تسـودّ بحرارة الجمر ثم تشتعل فيها النار وإن لم تتصل بها، لأنها بحرارتهـا تكلست حتـى صارت فحماً، فتعلقت النـار بها بواسطة الهـواء المتصـل بالجمـر والخشبة، فهـذه هي النفـس الحيوانية الحسيـة وهـي وإن كانت النباتيـة مركباً لها لأنها إنمـا تتعلق بها وتشـرق عليها إلا أن النباتية من العناصـر كما ذكرنا والحساسة ليسـت مـن العناصر وإنما هي من المجـردات المقارنة إلا أنها تعد

من أسافل المجردات المقارنة، لأنها من نوع البرازخ حتى أنها ربما نسيت أصلها وذلك لأنها بعدت عن مبدئها واتصلت بغير نوعها وهي النباتية فجمدت فشابهت مركبها، وذلك لبعض أفرادها، كنفوس الجراد والخنافس (وبعض الزواحف) وغيرها، حتى أنها إذا قطع عضو من أعضائها بقي يتحرك مدة، لأن نفسها تقبل الفصل والتجزي لجمودها وبعدها عن مبدئها وممازجتها للنباتية إلا أنها على كل حال ليست من نوع النباتية ولا تكون النباتية حسّاسة كما لا تكون الحساسة ناطقة أبداً، وتكون في كل حيوان بري أو بحري من إنسان أو غيره، مؤمن أو كافر، نبي أو غيره، كما أن النباتية تكون في كل من ذكر وتكون في سائر النباتات، بل قد تكون فيما دون النباتات من البرازخ كالمرجان، فإنه وإن كان من الأحجار فهو من الأشجار لأنه ينمو ولذا قيل إنه برزخ بين النبات والمعدن.

فإذا تخلصت النامية النباتية من الأعراض الغريبة واتحدت بالتعديل والنضج، ظهر المتعلق المتخلص المعتدل بالنضج، وظهرت النفس الكامنة فيه عند تمام الأربعة أشهر التي هي الولادة الجسمانية حيث تلج الروح الحيوانية الفلكية في الجنين وهو في بطن أمه بعد مضي هذه المدة، لأن الجسم ولد النفس وهو أول إيجادها -أي ظهورها في متعلقها.

والـولادة الثانية التـي هي الولادة الدنيويـة وهي خروج الجنين مـن بطن أمه صورة الأولى، وفعلهـا الطبيعي الحياة، أي التحرك بـالإرادة والحركة أي الكـون الأول في المكان الثـاني، والظلم أي وضع الأشياء في غير مواضعها، والغشم أي الأخذ بعنف، والغلبة أي الاستيلاء واكتساب الأموال والشهوات الدنيوية لشدة الحرص، مقرها القلـب لأنها متعلقة بالأبخرة الصافيـة المعتدلة الناضجة المتعلقـة بالـدم الأصفـر المتعلق بعلق الـدم الكائنة فـي تجاويف القلـب كما ذكرنا سابقاً، وسبب فراقهـا اختلاف المتولدات أيضاً كمـا في النامية النباتية، لأنها إذا اختلفت الطبائع وما تولد منها أفسـدَ القويُ منها ضده فلم يبق لهـا قرار لفساد مكانها وخرابه، فـإذا فارقت عادت إلى ما منـه بدأت، أي إلى نفوس الأفلاك عود ممازجة، لأنها من قوى متعددة من الأفلاك المتعددة، فإذا تفكك تركيبهـا بطلت، فامتـزج كل جزء منهـا بأصله كقطـرة الماء في البحر فيبطل فعلها ووجودها ويبطل تركيبها.

**ولها خمس قوى تدرك بها المحسوسات:**

- <u>سمـع:</u> تدرك به الأصـوات، إذا دق الصـوت بواسطة الهواء بـاب سمعها أدركته بصوته فـي حجابها وهو الطبل المصنوع على باب الدماغ من خرق الأذنين.

• <u>بصر</u>: تدرك به الأضواء والألوان بانطباع صورها في جليدية العينين بالقوة التي في تقاطع قصبتي العينين.

• <u>شم</u>: تـدرك بـه روائـح الأشيـاء بواسطة حلمتـي المنخرين بانبساطهما في الرائحة الطيبة وانقباضهما في الخبيثة.

• <u>ذوق</u>: تـدرك به الطعوم بواسطة اللسان بنفوذ لطيف من ذي الطعم ملائم أو منافر في تجاويف مسامّه.

• <u>لمس</u>: تدرك به لـين الأشيـاء وخشنها بقـوة إحساس سارية منهـا في سائر الجسد إلا أنها فـي أنملة السبابة أقوى لشدة رقة الإحساس فيها.

**ولها خاصيتان: الرضا والغضب:**

**فالرضا** اختيار الشيء وطمأنينة القلـب عنده لانبساط برودة الـروح، **والغضب** بالعكس وهو غليـان دم القلب لطلـب الانتقام لالتهـاب حرارة النفس وانبعاثها من القلـب، لأن سبب تعلقها من الأفلاك بالحيوان هو الأبخـرة المعتدلة في الوزن ولنضج المتعلقة بالـدم الأصفر المتعلـق بعلق الدم الكائنة فـي تجاويف القلب من الجانب الأيسر منه أكثر.

### ٣- النفس الناطقة القدسية:

وهـي جوهـر نوراني ووصـف قدسـي إلهي وأنمـوذج تصويري فهـواني وكتاب صوري رباني فهي هيـكل التوحيد والمثل المنزه عن التحديد أصلها النور.

بدء إيجادها عند الولادة الدنيوية بعد أن كانت في غيب النطفة المعنوية تلك النطفة القاطرة من شجرة المزن على البقلة والثمرة، فـإذا أكلها انتقلت إلى الكيلوس ثم إذا صفى انتقلت إلى الكيموس ثم إلى النطفة التي في الصلب ثم إلى الرحم في النطفة ومنها إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم إلى العظام ثم إذا تمت الخلقة ظهرت ثم إذا ولد طلعت، مقرها العلوم الحقيقة الدينية، أي العلوم المقرونة بالأعمـال الصالحة فإنهـا مسكن طمأنينتها، موادهـا التأييدات العقليـة أي استمدادهـا من الأنـوار العقلية المشرقـة على كنهها، فعلها المعـارف الربانية أي أنها تنـزع إلى معرفة خالقها، فراقها عند تحلل الآلات الجسمانية التي هي محل إشراقها وتعلقها، فإذا تحللت وتفككت بسبب اختلاف الاخلاط كما في السابقتين فارقت صاعـدة إلى ربها راضية بما قضـى عليها فتعود إلى ما منه بدأت عـود مجاورة لا عود ممازجة، لأن بدءهـا دائماً يتجدد في أوليته

فـإذا عادت إليه لم تمتزج به لأنه كان تحـت بدئها حال رجوعها، فـإذا صعـدت إلى مبدئهـا المتجدد الأعلـى لم تصل إليـه إلا وقد تجدد لها بدءٌ قبله وفوقه، وهكذا من فضل رفيع الدرجات الذي لا تفنـى خزائنه، فلا تزال مجاورة لبدئها غير ممازجة له لتجددها لتجدد بدئها ففي كل آن لها بدؤ جديد.

**ولها خمس قوى:**

- **فكر:** من عطارد.
- **ذكر:** من زحل.
- **علم:** من المشتري.
- **حلم:** من القمر.
- **نباهة:** من الشمس.

وليس لها انبعاث لتجردها من المواد العنصرية والمدد الزمانية.

**ولها خاصيتان:**

- **النزاهـة:** لتقدسهـا عن أوساخ الطبيعـة وانطباعها بموافقة أحكام الشريعة.
- **الحكمة:** لتلاشي إنيتها في الأنوار العقلية.

فهـي المختصر من اللوح المحفوظ والشاهد على كل غائب وهي الحجـة على كل جاحـد وهي الصراط المستقيـم إلى كل خير كما قـال الإمـام الصادق عليه السلام: «**وهـذه النفـس الناطقـة القدسية شعـاع مـن النفس الكليـة الإلهية فهـي بالنسبـة إلى الكلية نور وعرض قائـم بهـا -أي بنورها- قيام تحقق وهـو القيام الركني، وهيكل الإنسان الظاهر ظل هيكلها، فهو مثلها وهي أصله تتعلق بهذا البدن تعلق إشراق لأنها لا تنزل من روحها**».

**٤- النفس الكلية الإلهية:**

وهـي الكتـاب المبين والكتـاب الحفيظ والنـور الأخضر والكون المائي ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ أي من شعاع هذه النفس، والباء من بسـم الله الرحمن الرحيم، وهي نفس الله التي لا يعلم مـا فيها عيسى بن مريم، عبر عنهـا أمير المؤمنين عليه السلام بالنفس اللاهوتيـة الملكوتية جوهرة بسيطة، وإنما قال: جوهرة بسيطة مع أن الناطقة القدسية كذلك، لأن تلك وإن كانت في نفسها جوهرة بسيطـة لكنها بالنسبـة إلى هذه عرض مركب من شعاع هذه وظل هيئتهـا، فكانت هذه أحق بالجوهـرة البسيطة حية بالذات، أي لا تموت بـل باقية بإبقـاء الله، لأنها وجهه الـذي لا يهلك إلى سائر خلقـه وبالـذات، لا أن حياتها مـن فاضل نفس فوقهـا، كالنفوس

الثلاثـة المتقدمة، إذ ليس فوق هـذه إلا العقل وهي مركبه ومأواه، أصلهـا العقل لأنه لها كالنطفة للجنـين لأنها تطوره الثاني والروح تطـوره الأول فبه علمت وبه نطقت وإليـه دلت وأشارت بأنه نورها وحياتها وبـه عملت وأطاعت كما قـال تعالى ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فعلمـه الله تحقق العبودية بحق الربوبية، فلما علمها تابت عـن إنيتها وأقامت الصـلاة التي أمرها بها وآتـت الزكاة فكانت أختـه -أي أخت العقـل- بعد أن كانت بنته كمـا قال تعالى ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾، وإليـه تعود إذا كملـت فتكون أخته في الدين كما قلنا، ومنها بدأت الموجودات كالناطقـة القدسية فإنها -أي الناطقة القدسية- أول من بدأ من هذه النفس الكلية اللاهوتية وإليها تعود فهي ذات الله العليا، قال عليه السلام: «**يا من دل على ذاته بذاته**»، أي بذاته التي خلقها وكرّمها وشرّفهـا بنسبتها إليه، فقال: ذاتي، كمـا قال: بيتي وعبدي، وهي شجرة طوبى وسدرة المنتهى واللوح المحفوظ وليس وراءه للعلم ذكر وإنمـا ذلك للعقل والروح ومداركه هي المعـاني المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصور الجوهرية والمثالية، والمراد بها نفسهم الطيبة عليهم السلام التي هي اللوح المحفوظ وباطن اللوح المحفوظ وعلته، فهي نفس الكرسي والباب الظاهر من العلم.

**ولها خمس قوى :**

- **بقاء بالله:** في الفناء في سبحات وجهه.
- **سقم:** نعيم من خشيته في شقاء نعمته ورحمته.
- **عـز:** بخدمته وعبادته وتفويضـ الأمور إليه في ذل عبوديتها لعز ربوبيته.
- **فقر:** مغنٍ إليه في غنى التوكل عليه.
- **صبر:** على المكروه في بلائه.

**ولها خاصيتان:**

- **الرضا:** بما يفعله وهو العبودية الخالصة.
- **التسليم:** له في كل ما يجريه.

وهــذه النفس مبدؤها مــن الله أي من فعله ومحبتــه لا من ذاته، لأنــه لا يخرج منــه شيء ولا يعــود إليه شيء، ولكــن كل شيء مبدؤه مــن الله، أي من أصله الصادر عن فعــل الله تعالى، ولذلك شرفها الله وكرمهــا ونسبها إليه واختصها به فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ أي ارجعي راضية بما أراك مــن فضله ورحمته ورضوانه، مرضية أي راضياً لك وعنك شاكراً لأعمالك.

والعقل وسط الكل أي باطن هذه النفوس الأربع لأنها تنزلاته في إدباره حـين قال تعالى له: أدبر فأدبر أو في إقباله إليها حين قال تعـالى: أقبل فأقبل، ففي النـزول نزل بها وفي الصعود صعد بها، والعقـل جوهر مركب من نور الأنوار أعنـي الحقيقة المحمدية لأن مادتـه منها وصورته من هيئتها، فهو وجهها إلى الأشياء، فهو علة الأشياء كما أن الشعلـة المرئية من السراج هي علة جميع الأشعة، كذلـك العقل فإنه من نور الأنـوار كالشعلة من السراج فهو جوهر للأشيـاء درّاك محيط بالأشياء لكونها متقومة به تقوّم تحقق لأنه مـن أمـر اللّه الذي بـه قام كل شـيء لا لأنه بسيط بـل هو مركب مـن مادة وصورة كما ذكرنا، وإنما أحـاط بها لأنها إنما قامت به وصـدرت من النفس الكلية عنـه، ومعنى قيام الأشياء به أن جميع موادها في الغيب والشهادة من أشعته وصورها من هيئات أفعاله صاغهـا في النفـس الكلية وبثها منهـا فهو علة الأشيـاء والنفس محلها ومنها ظهرت الموجودات.

**- هل يصدق على النفوس أنها من الأجسام؟**

نعـم تعتبر النفوسـ من الأجسام، وهي آخـر مراتب ما يصدق عليـه اسـم الأجسام من جهـة العلـو، ونريد بالنفوسـ الجسمية

والجمسانيــة النفوس الحيوانية الحسية من الأفلاك فهي أجسام فتكـون الحسية جسمية وهي في الزمان، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنهـا إذا فارقـت عـادت إلى ما منه بـدأت عود ممازجة لا عود مجاورة**».

وأما النفوس العلوية (كالنفوس الناطقـة القدسية) فنسميها أجساماً باعتبار كونها مركبة من مادة هي نور ومن صورة شخصية شبحيـة مقداريـة هندسية، وباعتبـار أن فعلها منـوط بالأجسام والزمان ومن هنا عبرنا عنهـا بالجسمانية لا الجسمية لانتسابها إلى الأجسام بأفعالها لا بذاتها (بخلاف النامية النباتية والحسية الفلكية فإنهما تنسبان إلى الأجسام ذاتاً وفعلاً، ألا ترى أنك تدرك صـور ما مضى وما لم يأت وأمثاله، وليست مدركاتك في الزمان، لأن النفس بذاتها أدركتها ولو أردت أن تفعل شيئاً لم يكن فعلك إلا في زماني، فلا يكون الزمان ظرفاً لشيء من المجردات وإن تعلقت أفعالهـا به، ومن هنا فإنا نسمي الناطقـة القدسية بالجسم لأنها جسمانية.

أي مرتبطـة بالنفس الحسية التي هي مركبها وحمارها، ولأنها نهايـات الأرض أي آخر ما يصدق عليه اسم الأرض، لا أنها جسم

من أجسام العناصر المركبة، ولا من الأجسام المركبة من الطبائع البسيطـة كالأفلاك، بل هي نور جامد والعقل نور ذائب. فحدوثها قبـل الأجسام وبقاؤها أطول من بقاء الأجســام وأشد ثباتاً، لأنها إذا مـات الشخص خرجت في عالم البرزخ باقية ما بقي البرزخ، والأجسام فنيت وكانت تراباً وبقي منها الطينة الأصلية، وهي طينة الجسـد المأخوذ من جابرسـا أو جابلقا اللتــين أفلاكهما الدائرة عليهمـا، المدبرة بـإذن الله سبحانه لما فيهما المسمــاة «بهورقليا» ومعناه: ملك آخر، لأن عالم الملك قسمان، سفلي: وهو عالم الدنيا المشاهد، وعلـوي: وهو (هورقليا) أي عالم الملـك الثاني، وبعبارة أخـرى نقـول أن الأجسام التــي وضع لها هذا اللفـظ تصدق على أربعة أجسام:

١- جسم عنصري، وهو المعروف.

٢- وجسم فلكي، وهو أجسام الأفلاك التسعة وما فيها من أجرام الكواكب السيارة وغيرها.

٣- وجســم برزخي وهو الجســم التعليمي وهو جســم مثالي ظلي شبحي مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة.

٤- وجسم مجرد عنها مفارق بذاته مقارن بفعله وهو النفس، وهي أعلـى مراتب الأجسام والملائكة النفسانية كذلك، وهي مرتبة أطراف الأرض ونهاياتها.

فالجسمان الأول والثـاني في الزمان، والثالث البرزخي أسفله في الزمان وأعلاه في الدهر، والرابع أي النفس في وسط الدهر، كما أن السموات السبع في وسط الزمان.

**- متى حدثت الناطقة القدسية؟**

يجب العلم أولاً أن أصلها الذي خلقت منه تنزل العقل، ولا تكون عقلاً وإن بلغت غاية الكمال لأنها هي في الإنسان الصغير كاللوح المحفوظ في الإنسان الكبير، والعقل هو القلم ولا يكون اللوح قلماً أبداً.

وأمـا حدوثها فقد حدثت في وسط الدهر، لأن العقل حدث في أول الدهـر كما أن الفلك الأطلس حدث في أول الزمان، وحدثت النفس في وسط الدهر، كما أن السموات السبع حدثت في وسط الزمان، وحدثت الطبيعة في أخر الدهر، كما حدثت العناصر في آخر الزمان على الترتيب التالي:

- العقل في أول الدهر.

- النفس في وسط الدهر.

- الطبيعة في آخر الدهر.

- الفلك الأطلس (العرش) في أول الزمان.

- السماوات السبع في وسط الزمان.

- العناصر في آخر الزمان.

فالنفس لها تقدم دهري قبل عالم الملك والزمان بأربعة آلاف عام.

- **إلى متى تبقى النفوس الناطقة؟**

النفوس تظل باقية ما بقي البرزخ إلى أن ينفخ إسرافيل نفخة الصعق، فحينئذ تبطل صورتها ويضمحل تركيبها ويتفكك تأليفها كل جزء من أجزائها الستة الزمان والمكان والكم والكيف والجهة والرتبة في مكانه من نوعه في الصور.

- **وظيفة النفس:**

وظيفتها إدراك الصور الجوهرية التي هي المعلومات بقواها التخيلية والتفكرية والنفس لا تدرك في رتبة عالمها إلا ما كان مجرداً عن المواد العنصرية (أي ما كان من رتبتها من عالم

الملكوت فإنهــا تدركه بنفسها لا بآلة خارجيــة عنها ) ، وأما الأمور المدركــة الملموسة والمذوقــة والمشمومة والمسموعــة والمبصرة فهي ليســت من عالمها ، بل هي أجسام أو جسمانيات وكلاهما من عالم الملك والأجسام، وقد ثبت أن المدرك لها لا يكون خارجاً عن عالمها إلا بوسائط من عالمها والنفس واحدة، وتدرك ما تدركه بفعل منها ، فــإن كان ما أدركته من عــالم الملكوت، أدركتــه بنفسه بلا توسط شــيء ، وإن كان في عالم الملــك أدركته بآلاتها ، وخلق الله سبحانه لهــا آلات، فخلــق النفســ البخاريــة السارية في الــدم تدرك بها هيئــة الملموس والمذوق والمشموم ، وخلــق الجلدة الرقيقة التي على الصماخ تدرك بها الأصوات وخلق الجليدية الصقيلة الرطبة في العين تنطبع فيها الصورة المرئية فتدركها بالقوة التي في التقاطع الصليبي بين القصبتين، فإذا أرادت النفس إدراك شيء من أحد هــذه الخمسة، أشــرق إحساسها على حاسته فحيــي بإحساسها ، كمــا إذا أشرقت الشمس على الجدار فاستنار بإشراقها ، فكما أن الجــدار ينوّر مــا يقابله لما فيه من إشراق الشمــس عليه ولا يقال: أن الشمــس نوّرت ذلك المقابل، لأن الإنــارة للجدار، إذ الاستنارة علــى حسب قابليته، بــل يقال: أن الجدار هو المنــوّر لما قابله ذلك كذلــك تلك الحواســ، فإنها بإشــراق النفس عليهــا كانت حاسة

بنفسهـا، ولهذا يختلـف الإحساس في القـوة والضعف، بصحتها وعدمها والنفس واحدة، فهـذه الحواس كلها أمور ظاهرية حسية جسمانيـة من عالم الملك، ولكن مبدأها حركـة نفسانية من عالم الملكـوت، فالنفس تـدرك بهـذه الوسائط والوسائـط هي المدركة وأمـا النفس فتـدرك ما ترجمتْه الوسائـط، لا أنها تدرك بها قبل الترجمة، ونعني بإشراق النفس تعلقها بما دونها تعلق تدبير كتعلق المنير بالنور مثاله العود الأخضر إذا قربته من النار فلم تزل النار تكلسـه وتحيله إلى الدخانيـة فيشتعل ذلك العود من دون أن يكون هو في النار أو النار فيه فلم يكن واحد منهما في صاحبه فتظهر مـن ذلك العـود آثار النار مـع أن النـار لم تصل إليـه إنما وصل إليـه إشراقهـا وأثرها أي حرارتها، فكذلك تتعلـق النفس النامية بالجمـاد وكذلـك تعلق النفـس الحيوانية بالنباتـات وكذلك تعلق النفس الناطقة بالحيوانية، فلهذا لا يكون الجماد نباتاً ولا النبات حيوانـاً ولا الحيوان إنساناً أبداً لأن الأثر لا يلحق رتبة المؤثر بوجه من الوجوه وإن بلغ ما بلغ.

وهـذا مـا يسمى بتنـزل النفس الأثـري ولا يكـون إلا بعد تمام مراتبهـا الذاتيـة فيظهـر كمالهـا وقدرتهـا بإشراقهـا، فالنفس

الناطقــة لم تكن ناقصــة فــي مرتبة ذاتها بذاتهــا بعد تنزلها إلى مراتبها القشرية فحيث كانت تامة سطعت منها الأنوار وأشرقت، فهــذا التنــزل والإشــراق يسمى كما قلنــا بالتنزل الأثــري فظهر فــي الوجود سلسلتان طوليــة وعرضية، فالطوليــة سلسلة الأثرية والمؤثرية والعرضية سلسلة القشرية واللبية.

- **الصورة المناسبة للنفس الناطقة القدسية:**

الصــورة المناسبــة لها هي الصــورة الإنسانية لا غــير لا تتلبس بغيرهــا من الصــور الأخرى، فــإذا قبلت صــورة حيوانية بهيمية واتحــدت بهــا، لم تكن لها حالــة بهيمية لا غير بحيــث تخرج عن فصــل النــاطــق إلى الصاهــل، بل تكــون لها حالــة بهيمية لباعث الطبيعــة التــي نشأت عــن تغيير الفطــرة وتبديلها وهــذه لا تكون إلا فــي النفــس الأمــارة والنفس الحيوانيــة الحسيــة، وتكون لها إلى جانــب هــذه الحالة البهيمية، حالــة إنسانيــة لباعث الفطرة التــي فطر عليها، فبــالأولى: التطبعية يفعل الشهــوات، وبالفطرة الأصليــة يعترف بتقصيره في فعله ما فعــل ويعرف الخير وأهله، وبهمــا يكون «صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد فــي السماء» لتوارد الداعيين مــن الطبيعتين، من المختلفين على طرفي كل فعل وليس

ذلك إلا لكونهما غير متحدتين، نعم هما متمازجتان تمازج تداخل من غير استهلاك إحداهما في الأخري، كنور السراج القريب من السراج فإنه يكون أشد نوراً وأضعف ظلمة، وكلما بعُد عن السراج ضعـف النـور وقويـت الظلمـة، وهكذا حتـى يكون آخـره فيه من النـور بقد ما في أوله من الظلمـة، وليس ذلك تمازج واستهلاك، بل جميـع الأشعة متعلقة بالسـراج وجميع أجـزاء الظلمة متعلقة بالكثافـة الحاجبة، ففي هذه الحالة تكون القـوة البهيمية متعلقة بجهة اتصاف النفس بالأعمال التي هي منشأ البهيمية، وهي التي عوّجت فطرتها تعويجاً لا يخرجها عن الصورة الإنسانية، وكذلك الحال في الشيطانية والسبعيـة والعقلية، فالجدار مثلاً ليس فيه لنفسه نور، ولا من شأنه أن يكون له نور من نفسه ولا بما اتحد به، فـإذا أشرقت عليه الشمس كان فيه نور من الشمس، فالنور هو ما أشـرق عليه من الشمس لا غير، فالنفـس كالجدار والعقل كالنور المشـرق عليه القائم به قيام ظهور وهو قائم بالشمس قيام صدور وهو منها.

واعلـم أن كل الحيوانات تشترك في ثلاثـة أرواح: روح الشهوة وروح المدرج وروح القوة، والمؤمن خاصة فيه أربعة أرواح، هذه الثلاثة

وروح الإيمـان، وبهذا تكون النفس إنسانيـة لأن النفس الناطقة لا تفـارق روح الإيمان، وإذا لم تكن فيها روح الإيمان فليست مخلوقة مـن النور، أعنـي النفس الكلية وإنما هي مـن النفوس الفلكية مع مـا لبستهـا من النفس الأمـارة التي هي وجه الجهـل الأول المعبر بالماهية عنه، وهذه النفس مقابلة للنفس الإنسانية لأنها من الثرى كمـا أن الإنسانية من اللوح المحفوظ، وهـذه الأمارة إذا انتقل بها المؤمـن كانت مطمئنة وتكون أخت العقـل حينئذ، ثم تكون راضية بقسـم اللّه ثـم مرضيـة للّه تعالى ثم كاملـة إذا اعتـدل مزاجها وفارقـت الأضداد، وقبـل اطمئنانها تكـون لوّامـة أو ملهمة وقبل ذا تكـون ملهمـة أو لوّامة وقبل هذا هي كما بـرزت أمارة بالسوء، وهـي التي تتقلب بالحيوانيـة الحسية الفلكية في الصور، كيف ما شـاءت من صور كتاب الفجار وصورهـا الذاتية لها، إما شيطانية أو حيوانية بهيمية وإما سبعية وإما مسوخية وأيها غلب ميلها إليها حشرت فيهـا، والنفوس الفلكية مركبها فـي جميع صور المعاصي كمـا أنها -أي الفلكيـة- مركب النفس الإنسانيـة في جميع صور الطاعـات، فإذا قلنا أن النفس تحشر في صورة شيطان أو حيوان أو سبـع أو مسـخ، فإنـا نعني بهـا النفس الأمارة التـي هي مقابلة للعقل، فإذا محضـت في ميلها وأطلق صاحبها عنانها، كانت هي

النكراء والشيطنة التي عناها الإمام الصادق عليه السلام، وهي شبيهة بالعقل في التمييز وليست بعقل وليست بالنفس الإنسانية التي من إشراق اللوح المحفوظ التي هي مركب العقل، وإنما هي مركب الجهل ولذا قال تعالى ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾، فالنفس الإنسانية صورتها هذه الصورة الإنسانية، فإذا تخلق الشخص بطبيعة السبعية مثلاً، حتى انحصرت أعماله في أعمال السباع أو كان الغالب في أعماله ذلك، كان في هذه الدنيا ذا نفسين، نفس سبُعية قوية مؤيدة بالعمل بمقتضاها، ونفس إنسانية محجوبة عن مقتضاها، لا تعلق لها بذلك الشخص إلا بصورته الظاهرة الإنسانية، فإذا مات على هذه الحال وكان يوم الحشر ورجع كل شيء إلى أصله، سلبت عنه الصورة الإنسانية بمتعلقها من النفس الإنسانية التي من شأنها الإيمان، لكنها كانت مغلوبة فحبست في صورتها ولم يكن لها تسلط على إصلاح شيء من البدن، وظهرت السبعية بصورتها الباطنة في ظاهر الشخص لما زالت عنه الصورة الإنسانية، ولم تكن النفس الإنسانية محشورة في صورة سبُع، لأن ما سوى المؤمن فليس بإنسان في الحقيقة بل من الحيوانات الأربع، إما شيطان، وإما مسخ كالقرد والحية والعقرب والخنافس، وإما حيوان كالفرس والحمار والثور، وإما سبُع كالأسد

والهـر والبازي، وإنما النفس المحشورة في إحدى صور الحيوانات هــي النفس الأمارة الملعونة، وهــذه صورها في الحقيقة، لكنه في هــذه الدنيا ألبس صــورة الإنسان لإجابتــه الظاهرية، وهي محل صور عليين، فإذا كان حيواناً، فإن كان ذلك فـي الدنيا سلبت منه الصورة الإنسانيــة الباطنة، فإذا مات كذلك سلبت منه الظاهرة أيضــاً، فــكل ذي روح يحشــر على صــورة حقيقتــه، لا على صورة غيرهــا، فإذا لم يكن مؤمناً لم يكن فـــي الحقيقة إنساناً، والنفس الناطقــة بالحقيقة لا تكون إلا فـــي المؤمن ولا يحشر إلا فيها، وأما النفســ الأمارة فإنها نشأت من نفس العالي (العقل) لكنها بعدت منه حسداً إلى السفل فكان شأنها التقلب في أطوار السافلين من صور الحيوانــات والشياطين، ولأجل كونها من نفس العالي، كانت هيئتهــا تشابه هيئته، فلأجل هذه المشابهة قــد تقبل تعليمه، فإذا تعلمت مما علمها الله كانت أخته وإلا ردت إلى أسفل السافلين.

- **كيفية انبعاث البدن عن النفس:**

كيفيــة انبعاث البدن عنها مثل كيفية انبعاث العود الأخضر عن حبــة الحنطة وظهورها من البدن كظهــور حبة الحنطة من العود الأخضــر فــي السنبلة، فإن العود الأخضــر وإن كان أصله الحبة،

إلا أنه قشرها، وطبيعة الحبة وحقيقتها كامنة في غيب العود إلى أن تكمل آلات الحبة، فإذا كملت الآلات وتم الاستعداد ظهر ما كان منها بالقوة بالفعل، وليس أن العود تتكون منه الحبة، أو من لطيف العود بالحركة الجوهرية، وإنما تتكون الحبة من طبيعة الحبة الأصلية التي كانت سارية في العود، فالعود ليست حقيقته من نفس الحبة، فكما أن نور الشمس الواقع على الجدار ليس من جرم الشمس وإنما هو ظهورها الذي هو صفة فعلية، كذلك العود الأخضر ليس نفس الحبة، وإنما هو قشر الحبة وظاهرها وحامل طبيعتها، وانبعاث البدن من النفس كانبعاث العود الأخضر من الحبة، وظهور النفس من البدن بعد كونها فيه، كظهور الحبة بعد كونها من العود.

**- تنزلات النفس الناطقة:**

يقصد بتنزلات النفس من عوالم التجريد إلى مراتب التقييد تعلقها بالقيود الستة التي هي الكم والكيف والزمان والمكان والجهة والرتبة، فهذا التعلق يسمى تنزل وأول ما وجد من اقترانها بهذه القيود العقل من حيث هي ماهية لأن العقل له رتبة الإجمال فسائر التنزلات مذكورة فيه معنى على سبيل الإجمال، وليس هو -أي

العقل- بسيطـاً كما زعمه البعض، لأنه مبـدء التمييز والتمييز لا يحصـل ل إلا بعد كونه محدوداً لمكان التمييزات المحدودة لوجوب المناسبـة بـين المـدرِك والمـدرَك فـإذا لم يكن محـدوداً لم يدرك المحدود، فتنزل إلى النفس التي هي مبدء تفاصيل الصور الغيبية المعنويـة، فكان العقل هو المـادة والصورة هي النفس، فللعقل رتبة الإجمال، وللنفس رتبة التفصيل وهي الحدود المعينة، فوجد بينهما بـرزخ الرقايق -أي الأرواح- فإنهـا ليست في الإجمال كالعقل ولا فــي التفصيل كالنفس، فعنـد ذلك تم الإنسـان الغيبي الباطني، ولما لم يكمل الشيء إلا بعـد كونه جامعاً للغيب والشهادة والظاهر والباطـن أخذ هذا الإنسان الغيبي يتنزل إلى مرتبة الشهادة التي مبدؤهـا الطبيعة الكلية التي لم تذكر فيهـا الحدود والمشخصات وسائـر التعينات لتكون آيـة للنفس الناطقة المعـبر عنها بالفؤاد، فمن ثم لم يذكر في الطبيعة شيء من الحدود والتعينات فتنزلت الطبيعة إلى رتبة (المادة) التي هي مظهر العقل وتنزلت المادة إلى رتبـة (المثال) الذي هو مظهر عـالم الرقائق، فحصل من اقتران الطبيعة بالمادة والمثال الجسم الذي هو مظهر النفس، فكمل بذلك الإنسان الغيبي والظاهري.

ومــن هنا تعلــم أن تنزل النفس إلى هذه الأطــوار المختلقة ليس أثرياً لأن هذه الأطوار كلها ليست آثاراً للنفس، بل هو تنزل قشري لا أثــري، ذلك لأن التفصيل ليســ أثراً للإجمال بل إنما التفصيل رتبة ثانية للإجمال، وبعبارة أخرى نقول أن التنزل القشري عبارة عــن تفصيــل المجمل وهــذا التفصيــل عبارة عن ظهــور حدودها الكامنة في رتبة الإجمال ككمون الحروف في المداد وكمون المداد في العفص والزاج وهذا يكون في السلسلة العرضية بينما التنزل الأثري يكون في السلسلة الطولية[١].

(١) راجع شرح العرشية: ج٢، من ص ١٧ – ص٢٨، ومن ص٤١٨– ص٤٢٢.

# عارفاً بحقكم

إمامي العزيز يا حجة الله، أنىّ لمثلي وأنا البلبل الحقير صاحب الزغب الصغير أن يحوم حول حمي عزك المنيع أو يحلق في آفاق قدسك اللامتناهي أو أن يتناول من تيارات أنوارك المتلاطمة قطرة نور أو يركز رجلية الصغيرتين على بقعة ضوء.

وهل هي إلا رشحات من فيضك الأقدس وعطائك الجوهري تمن بها على عبدك المعدم فتغشى وجوده الضعيف وتحيله إلى عالم النور المتدفق لا يكاد يدرك مداه (يا كميل إنما يرشح عليك ما يطفح مني)، وما عسى أن تنال عقولنا الواهية في أقصى مداركها إلا ما تتفضل به علينا من أدنى أياديك، أيكون لوجودنا من الظهور ما ليس لك وهو إنما بزغ منك ويعود إليك فأنت أولى بنا منا إذ نحن صنائعك وأنت صنيعة الله اختصها لنفسه (واصطنعتك لنفسي) وجوهرته القدسية التي صانها في خزائن قدرته عن أن تنالها أبصار الناظرين أو تحضى بنصيب منها أفئدة العارفين.

سيدي العزيز: لقد قرن الله وجودك المبارك بمعرفته وقرن طاعتك بطاعته فمن أطاعكم فقد أطاع الله ومن عرفكم فقد

عـرف الله، ولكـن أي معرفة هذه التـي توصلني إليـك وأنت أنت وأنا أنا، فأما معرفتك بحقيقتك وذاتك فدونها خرط القتاد كيف وأنتم المتربعون على قمة الوجود وقد فتحت ذواتكم النورانية أولى صفحاتـه ثم انحدرت من أشعـة أنواركم سلاسل النور تترى ليس لغايتهـا مـدى إلا أن يشاء الله رب العالـمين إذ أنتم مظاهر قدرته وعظمته وهيمنته وسلطانه، ألم يقل جدكم الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا ولا يعرفني إلا الله وأنـت ولا يعـرف الله إلا أنـا وأنـت**»، وقـال أمـير المؤمنين صلـوات الله عليه: «**ظاهري إمامة وباطني غيب منيع لا يدرك**» وقال صادقكم عليه السلام «**نزهونا عن الربوبية وقولوا في فضلنا ما شئتم ولن تبلغوا**».

وإذ ذاك عرفنـا أن معرفتكم بكنه حقيقتكم مستحيلة منقطعة المنال وأنهـا مقتصرة عليكم بينكم، وذلك فـي السلسلة الطولية لأن لكل مرتبة مقامها الذاتي المستقل ولا يرقى من هو في المرتبة السفلى إلى الدرجة العليا أبداً مهما عمل وتزكى فكلٌ يقرأ حروف نفســه، نعم يكـون التنـزل فـي السلسلة الطوليـة أثريـاً لا ذاتياً فتعرفون صلوات الله عليكم بما ظهرتم به للمراتب السفلى بآثاركم

وظهوراتكم وتجلياتكـم على حسب قابليات واستعدادات أهل تلك المراتب، وكذلك الحــال في كل مرتبة بالنسبة إلى المرتبة الأسفل منهــا، وإنما قلنا أن معرفتكـم من نحو ذاتكم مستحيلة لأنكم كما حقـق في محله علـل الوجود الأربــع الفاعلية والماديــة والصورية والغائيــة، والمعلول لا يصــل إلى رتبة علته أبــداً وإلا أصبح المعلول علة والعلة معلولاً وكذلك الأثر لا يصل إلى رتبة مؤثرة مطلقاً مهما عــلا وترقى وإلا أصبــح الأثر مؤثراً وهذا باطــل، فمن هنا أدركنا أن معرفتكـم لا تكـون إلا بما نبذتموه إلي الخلق منهــا، وإن علينا نحــن أن نبـذل الوسع في تحصيلهــا ونفحص من أجـل الوصول إلى المعرفــة الكاملة باعتبــار الدليل التفصيلي لقـول مولانا أمير المؤمنــين عَلَيْهِ السَّلَامُ فـي حديث النورانية «**من كمال معرفتي معرفتي بالنورانية**» فلا يكفينا معرفتكم بالدليل الإجمالي حيث يوشك ألا يكـون منجياً وبخاصة إذا كان مصحوبــاً بالافتتان وعدم العزيمة في التسليم ومخالفاً لما عليه طريقتكم، عن الحسين بن جهم قال قلــت لأبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ «**إن عندنا قوماً لهم محبة وليست لهم تلك العزيمة يقولون بهذا القول، فقال: ليس أولئك ممن عاتب الله إنما قال الله** ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾».

ولعل أمير المؤمنين عليه السلام أراد بقوله من كمال معرفتي معرفتي بالنورانية، الإشارة إلى مقاماتكم الأربعة التي هي أعلى مقاماتكم صلوات الله عليكم والمذكورة في حديث الإمام زين العابدين عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي حينما قال: «**يا جابر أو تدري ما المعرفة؟ المعرفة إثبات التوحيد أولاً، ثم معرفة المعاني ثانياً ثم معرفة الأبواب ثالثاً ثم معرفة الإمام رابعاً..** إلى أن قال عليه السلام: «**يا جابر من عرف الله بهذه الصفة فقد أثبت التوحيد لأن هذه الصفة موافقة لما في الكتاب المنزل وذلك قوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ وقوله تعالى ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾، قال جابر: يا سيدي ما أقل أصحابي؟ قال عليه السلام: هيهات هيهات أتدري كم على وجه الأرض من أصحابك؟ قلت: يابن رسول الله كنت أظن في كل بلدة ما بين المائة إلى المائتين وفي كل ما بين الألف إلى الألفين، بل كنت أظن أكثر من مائة ألف في أطراف الأرض ونواحيها، قال عليه السلام: يا جابر خالفْ ظنك وقصّر رأيك، أولئك المقصرون وليسوا لك بأصحاب، قلت: يابن رسول الله ومن المقصّر؟ قال عليه السلام: الذين**

**قصـروا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه»**.

فانظر كيف جعل صلوات الله عليه معرفة هذه المقامات والمراتب التي رتبهـم الله فيها الطريق إلى توحيد الله وإثبات وجوده وبيان عظمتـه وسلطانـه، وأولهـا مرتبة البيـان التي عبر عنهـا الإمام بإثبـات التوحيـد، وهي مرتبة المقامات التـي لا تعطيل لها في كل مكان وحقهم هنا معرفتهم يعني معرفة الله سبحانه بهم وهو قول الحجـة عجل الله فرجـه الشريف في دعاء شهـر رجب «**يعرفك بهـا من عرفـك**»، وقولهم عليهم السلام «**مـن عرفَنَا عرَفَ الله**»، وقول أمير المؤمنين عليه السلام «**نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيـل معرفتنا**»، وثانيها مرتبـة المعاني وحقهم هنا معرفة أنهم معانيه سبحانه يعني معاني أفعاله فهم علمه وقدرته وحكمه وأمره وعدله وعينه وأذنه ولسانه وقلبه ووجهه ونوره ويده وعضده وكتابه وخزائنـه ومفاتح خزائنه وعيبة علمه وأسرار غيبه ومحال مشيته وألسنة إرادته وصفاته العليا وأسماؤه الحسنى وأمثاله العليا ونعمه التـي لا تحصى إلى غير ذلك من معاني أفعاله ومظاهر إبداعاته ومعنـي معرفة أنهم معانيه مشاهدة ذلـك في عبادتهم ودعائهم

وذكرهم وفكرهم واعتبارهم وفي جميع وجداناتهم ووجوداتهم فيتوجه الداعي إلى الله بهم ويخاطبه ويناجيه بهم وهكذا، وثالثها مرتبة الأبواب ومعرفة حقهم فيها أن يعلم أنهم أبواب الله التي منها يؤتى في سائر العبادات والدعوات والمناجاة وطريق قبول الأعمال ومنها يؤتي عباده ما يشاء من خلق ورزق وحياة وممات في غيبهم وشهادتهم وفي ذواتهم وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم وأعمالهم وما منه صادرون وإليه صائرون، ورابعها مرتبة ظاهر الإمامة وحقهم في هذه المرتبة فرض طاعتهم والاقتداء بهم والرد إليهم والأخذ عنهم والتسليم لهم وتفضيلهم على من سواهم[1].

فإذا أردت أيها المؤمن العزيز معرفة بعض مصاديق (عارفاً بحقكم) فإليكها:

١- معرفة أنهم عليهم السلام وجودات نورانية ابتدعهم الله من نور عظمته، لم يكن فيهم شيء من الماهية والإنيّة إلا ما يقوم به الوجود تقوّم الظهور في أصل وجودهم وكذا في وجوداتهم الشرعية، فهم أنوار لا ظلمة فيهم لا في أكوانهم الوجودية ولا في أكوانهم الشرعية لأن الأكوان مطلقاً لا تتقوم إلا بمقوم من

(١) شرح الزيارة الجامعة: ج٣، ص٢٩.

الأعيـان لأن ظهورهـا يتوقف علـى شيء من الإنيّـة تتخصص به وهـذا الشيء المقوِم -بكسر الـواو- وإن كان ظلمة في حقيقته إلا أنـه بالنسبة إلى نورية ذلك الكون وقوتـه وسعته يكاد ذلك المقوِّم -بكسـر الواو- يضمحل ويفنى فـي نفسه وأمّا في حكمه فليس له ذكر ولا اعتبار له لفنائه واستيلاء الأنوار العظيمة عليه، فلا يكون نور في الإمكان أخلص في النورية من جميع الشوائب والنقائص منهم بعد المشية(١).

ألا تـرى أنـك لو وضعت قبضـة من التراب فـي البحر المحيط لفنـت واضمحلـت فـي مائه الخضـم بحيث لا يبقى لهـا ذكر ولا أثـر ولا اعتبار، فكذلـك ماهية أئمتك الطاهريـن عليهم السلام وإنيتهـم فإنها في جنـب نوريتهم العظيمة لا يـكاد يلحظ لها أثر أبـداً لاضمحلالها في هذه الأنوار، ولذا قـال إمامنا علي الهادي عليه السلام فـي الزيارة الجامعة: «**خلقكم الله أنـواراً فجعلكم بعرشه محدقين**».

٢- العلـم بأنهـم أول مـا خلق الله تبـارك وتعالى ليس قبلهم مـن الخلـق شيء إلا المشيئـة التي قام وجودهم المبـارك بها قيام

(١) شرح الزيارة: ج٢، ص٣٢٢.

تحقـق، قال رسول الله ﷺ لجابـر: «**أول ما خلـق الله نور نبيك يـا جابـر ثم خلق منه كل خير**»، وقـال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله عـز وجـل خلـق أرواحنـا فأنطقنـا بتوحيـده وتحميـده، ثم خلق الملائكـة فلمـا شاهـدوا أرواحنـا نـوراً واحـداً استعظمـوا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبحـت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا**»(١)، وهكذا تعلم أن وجودهـم المبارك سبـق العرش والكرسـي والسموات والأرض والجنان بل كل ما دخل في عالم الكون دون استثنـاء.

٣- أنهـم الواقفون على البرزخ بين عـالم الإمكان وعالم الكون فلا يخرج شيء قد تمت أسباب وجوده وشرائط كونه من الإمكان إلى الكـون إلا بهم ذلك لأن شعاع أنوارهـم مادة وجوده ولا يوجد المخلـوق بغير مادة، قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يا علـي، لـولا نحن مـا خُلِـق آدم عليه السلام ولا حواء ولا الجنـة ولا النار ولا السمـاء والأرض فكيـف لا نكـون أفضـل مـن الملائكـة وقد سبقناهـم إلى معرفـة ربنـا وتسبيحـه وتهليلـه وتقديسـه**»(٢)، وقال إمامنـا الصادق عليه السلام: «**شيعتنا خلقوا مـن فاضل طينتنا**

---

(١) كتاب كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق.

(٢) كتاب غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ج١.

**يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»، وروى الطبري بإسناده عن أبي عاصم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: «**شيعتنا جزء منا خلقوا من فضل طينتنا يسوؤهم ما يسوؤنا ويسرهم ما يسرنا فإذا أرادنا أحد فليقصدهم فإنهم الذي يوصل منا إلينا**»(١).

٤- أنهم الواسطة في إيصال الفيوضات الإلهية إلى الخلائق أجمعين لأنهم عين الله الناظرة وأذنه السامعة ويده الباسطة ولسانه الناطق وبابه إلى الخلق، قال مولانا الإمام الهادي عليه السلام: «**من أراد الله بدء بكم ومن وحّده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم**»، وقال مولانا زين العابدين عليه السلام لأبي حمزة الثمالي: «**لا تنامنّ قبل طلوع الشمس فإني أكرهها لك إن الله يقسم في ذلك الوقت الأرزاق وعلى أيدينا يجريها**»، ذلك أن الله تبارك وتعالى اقتضت حكمته أن يخلق الكون حسب الأسباب والمقتضيات قال جلت عظمته «**إنا جعلنا لكل شيء سببا**» وأن يجعل الأعلى سبباً في إيصال الفيض والمدد إلى الأسفل لامتناع وجود الطفرة، ولما كانوا هم في قمة الوجود وليس قبلهم موجود اقتضت الحكمة أن يكونوا هم السبب الأعلى.

(١) كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ج١، ص١٩٦.

٥- ألا يقصر في حقهم بأن يعدل بهم غيرهم من سائر الخلق أو يتقدم عليهم في قول أو فعل أو ينكر معاجزهم وفضائلهم أو ينزلهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، قال الإمام الباقر عليه السلام لجابر: «**يا جابر إنا أهل البيت لا يقاس بنا أحد، من قاس بنا أحداً من البشر فقد كفر، يا جابر بنا الله أنقذكم وبنا هداكم، ونحن والله دللناكم على ربكم**»[1]، وورد في دعاء شهر شعبان: «**اللهم صلِّ على محمد وآل محمد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها المتقدم لها مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق**»، فلا يحسبن حاسب أنهم بشر مثلنا ينالهم ما ينالنا من السهو والتقصير والغفلة والمحاباة والميل عن الحق -والعياذ بالله- لمجرد أنهم على شاكلتنا في الصورة، فإنهم يلبسون من الصور ما شاؤوا لأنهم علة لها وليسوا خاضعين لحكمها كما نحن، وإنما لبسوا هذه الصورة الإنسانية ليتمكنوا بحكم المشاكلة من هداية الناس إلى طريق الله وإيصال كافة التشريعات والأحكام والأوامر الإلهية إليهم قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾».

(١) كتاب نوادر المعجزات لمحمد بن جرير الطبري.

٦- أن اللّٰه سبحانه اصطنعهم لنفسه واختصهم وخلق الخلق لهم أي صنعهم لهم وجعلهم أولياءه فيهم «**خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك**»، وقال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾[1]، فوجودهم صلوات اللّٰه عليهم بالذات ووجود باقي الخلق بالعرض أي ليس مقصوداً لذاته وإن كان في نفسه متحققاً فقد ورد في كتاب مقتل الحسين للخوارزمي الجزء الأول أن النبي صلى الله عليه وآله قال لابنته فاطمة عندما سألته من يقيم العزاء على ولدها الحسين عليه السلام قال: «**إن الله أخبرني بأنه سيخلق له شيعة ومحبين يعزونه ويندبونه إلى يوم القيامة**».

٧- أنه لا فرق بين حياتهم ومماتهم فإن شؤون تدبيرهم للخلق في أثناء حياتهم ومخالطتهم لهم قائمة بعد مماتهم أيضاً إذ أن لهم مقامين مقام الظهور البشري في حياتهم ومقام الظهور الحقيقي لهم بعد مماتهم وفي كلا المقامين هم حاكمون مملوكون محيطون بجميع شؤون الخلق، لا تنقطع حجيتهم وإمامتهم بموتهم عليهم السلام كما ورد ذلك في إذن الدخول إلى روضاتهم المطهرة «**اللهم إني اعتقد حرمة صاحب هذا**

---

(١) سورة طه: آية ٤١.

**المشهد الشريف في غيبته كما اعتقدها في حضرته، واعلم أن رسولك وخلفاءك عليهم السلام أحياء عندك يرزقون يرون مقامي ويسمعون كلامي ويردون سلامي وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم**»، ذلك لأن لباس البشرية الذي تلبسوا به بالعرض لمصلحة الخلق ليطيقوا مشاهدتهم والأخذ عنهم والانتفاع بهم كما ذكرنا سابقاً إلا أنه مع ذلك فيهم في كمال الرقة واللطافة والضعف في التعلق حتى أنه بلغ في النبي ﷺ أنه يقف في الشمس ولا يرى له ظل لغلبة نوريته على الكثافة البشرية فهو يطرد الظل عنه كنفس جرم الشمس، ولأجل ذلك كانوا يصعدون السماء وينزلون الأرض ويمشون على الماء ويبلغون إلى ما شاؤوا في طرفة عين يمدون أيديهم إلى أي مقدار من المسافة شاؤوا ويأتون بما يريدون ولا تعوقهم الأعراض البشرية عن ذلك لاضمحلال أكثر أحكامها في جنب نورية أصل جسدهم الشريف ولو أنهم أرادوا أن يرفعوا حكمها بالكلية فهو في اختيارهم وليسوا كسائر الخلق مقهورين تحت حكم الأعراض لا يقدرون على رفعها حيث شاؤوا، وكيف لا يكونون كذلك وقد خلق الله عقول الأنبياء من شعاع أجسادهم الشريفة بحيث أن المعصوم يدرك بجزء من نور جسده المبارك ما يدركه النبي بتمام عقله صلوات الله عليهم أجمعين، فلا تعجب إذن من حضور أمير

المؤمنــين عليه السلام عند جنازته أو كونــه هو الذي رفع مقدم السرير، «لأن مثـل أجسادهم عليهم السلام بالنسبة إلى الأعراض الزائلة مثل الصورة الواقعة على المرآة منك، فإن جرم الشيشة (الذي هو المــرآة) مثال الأعراض الزائلــة والصورة الظاهرة بها مثال أصل أجسادهم، فإنــك إذا كسرت الشيشة لم ينكسر من صورتك التي كانت ظاهرة فيها شيء وإنما ترجع إليك بما هي عليه وتستقر في ظلــك وتغيب عن الأبصار الظاهرة مع أنهــا باقية في رتبة أعالي ظهــورك معلقة على أوائل عللها من فعلك بحيث كلما قابلتها مرآة ظهرت بل لو قابلتها ألف ألف مرآة ظهرت في جميعها من غير أن تتعدد أو يتجزأ في نفسه»[1].

٨- إنهم طاهرون طهارة ذاتية من أصل وجودهم قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً من جميع أنواع الآثام والأرجاس والقـذارات المادية والمعنوية فــي القــول والفعل والاعتقـاد وكل مـا ينفر الطباع من العــادات السيئة القبيحــة والخصال الرديئة والشك والريبة ووسوســة الشيطان وتسلطه عليهم والزلل والسهو والنسيــان وغيرها، بل هم عليهم السلام اجروا الطهارة والكمال بإشراقهــم فــي كل طاهر وكامل بإجابته وعلى قدر قبوله، واجروا

(١) حروف نورانية من صحيفة الأبرار للميرزا المامقاني التبريزي: ص٥١.

الرجاسـة والنقص بإشراقهم فـي كل خبيث وناقص بعدم قبوله وإعراضـه وإدباره عنهم كالجدار المشرقة عليه الشمس قد أنارت بإشراقها منـه ما قابلها وأقبل إليهـا، وأظلم منـه بإشراقها ما أدبر عنها مـن الجانب الآخر، فكانت الطهارة والنجاسة والكمال والنقص قائمان بفاضل إشراقاتهـم عليهم السلام في كل شيء بقبولـه إقبـالاً وإدبـاراً، وجعـل سبحانـه وتعـالى طهارتهم هذه مـن لوازم ولايتهم ومحبتهـم فما قبل ولايتهم طهـر وطاب وزكى وصفـى ولطف ولمـع ونفع واعتدل وجـل وصار أهـلاً للخير والنور علـى حسـب قبوله، وما لم يقبـل وأدبر وأنكر وخبـث ونجس ونتن وكـدر وكثف وأظلم وضرّ واعوج ومـال مفرطاً وصار أهلاً للشرور والنقصـان بحسب قبوله في الإدبار والإنكار، فهم عليهم السلام أولى بالطهـارة ممـن قبلها منهـم واتبعهم، والمنكـرون لهم أولى بنجاساتهـم منهم إذ هـي مقتضي الإدبار عنهـم، ومن أدبر عن النور لم يلق إلا ظلاماً.

ولذلـك فهـم معصومـون بالعصمـة الذاتية الكـبرى النظرية والعمليـة ولهم الولاية الكلية التكوينية منها والتشريعية يفيضونها بأمـر الله على من شاؤوا كيف شـاؤوا أنّى شـاؤوا باستعداد من صاحبها وقبول.

# نور على نور

مالي أراك يا قلبـي تتخبط في ظلمات ذنوبك وآثامك، لا تكاد تبصـر الطريق مـا إن ترفـع رجلاً حتـي تغمس أخـرى في وحل اليأسـ، إنـك تمشي في نفق مظلـم مليء بحيّات الهـوى وأفاعي الشهـوات، ألا ترى نـور الأمل والإيمان هناك فــي نهاية الطريق، يتسلـل النور إليك ضعيفـاً باهتاً لأنك لا تحتويه، أنت منغلق عليك تـدور حولك في دوامة تمتصك نحو الأسفل كالرمال المتحركة، لا بد أن تنتفض وأن تنبعث منـك، اترك نفسك تراك، ألقها وأقبل، إنـك لا توجد حتى تفقدها، خفف من ثقلك حتى يسرع بك الخطو ويجدّ بك المسير، أوجد فيك ثقوباً تمرّ منها أشعة النور وتحتضنها فيـك، لا زال مركز النور يدور حولك يتطلع إليك مبتسماً لا ينفك عنـك، يشير إليك ملوحاً دائماً، يقول لك أنا هنا أتذكرني لا تخف مـن ظلمتـك وإن طالت بك ولا تخشى أن تبعـث فيك شعور التعب والخـوار، كل شـيء إلى انتهـاء وإن طال به المدى، ليسـ مهماً أن ترى من خلال النور مَن حولك، ولكن المهم أن ترى مَن حولك مِن خـلال النور، فهو الذي يكشف لك الحقائق ويريك معادن الرجال كمـا هي، هذا ما يسمـى الفراسة، تمتع بها ثـم انطلق في الدنيا

أنّـى تشاء ولا تخف عثرة ولا زلـلا ، إن النور الداخلي نور صادق لا ظلال فيه ولا أشباح لا يخدعك ولا يغشك ولا يكذبك ، فقط حافظ عليه واحرص على أن لا تنطفئ جذوته فيك ، اسبح في بحار النور دائمـاً فليس فيها لجج ولا أمـواج ، واغترف مـن أشعتها ما تريد بأكؤس من ضياء تحيا بها لا تموت فهي عين الحياة وحوض الكوثر والإكسير الأتم والترياق الأعظم نور على نور حتى ترد على الخالق آمناً يوم الفزع الأكبر.

اعلم أن الله سبحانه ليس كمثله شيء ولا يتولد منه شيء ، وذاته أجـلّ من أن يشبه بالنور أو يتولد منه نـور فقوله تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ لا يمكـن أن يراد منه ذاته عز وجل بأن يكـون ذاته نوراً ، بل هو خالـق النور ومبدعه والنور المحسوس خلق مـن مخلوقاته فكيف يكون هو نوراً ، بل معنـاه على تفسير البعض الظاهـر فـي نفسه المظهر لغـيره ، كما أن النور ظاهـر في نفسه مظهـر لغيره ، فذاته تعـالى أجل وأقدس مـن أن يطلق عليها نور ، وكـذا صفاته الذاتية لا تطلق عليها نور ، لأن الصفات الذاتية عين الـذات ، كما أن ذاته لا تدرك ولا توصف بالصفات الخلقية كذلك صفاته الذاتية لا تدرك ولا توصف بصفة خلقه بوجه ، نعم صفاته

الفعلية وظهوراته الحادثة وشئونه جل وعلا توصف بالنور وغيره، لأن لهـا ضد وهو ما يميزها عن الصفات الذاتية التي لا ضد لها، والنور له ضد وهـو الظلمة فيكون من صفاته الفعلية لأنه تعالى لا ضد لد له ولا ند، فليس إذن إلا أنه تعالى يخلق نوراً فينير به، وهذا معنـى كونه سبحانه نوراً ومنيراً وهاديـاً أو مزيناً وهكذا، فهو نور السموات والأرض بفعله وخلقه وظهوره تبارك وتعالى[١].

١- فمـن معـاني كلمـة النـور إذا وردت فـي أخبـار أهـل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم هو حقيقة وجودهم الإجمالية والتفصيلية والمعبر عنها (بالحقيقة المحمدية)، لأن هذه الحقيقة قائمة بالمشيئـة قيام تحقق، والمشيئة قائمة بهـا قيام ظهور، ولذا ورد عنهـم عليهم السلام «**بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله**»، وقد ورد هذا المعنى وهو كون حقيقتهم نور بل هي نور الأنوار التي تشعشعت منهـا باقي الأنوار في روايات كثيرة عنهم، منها ما ورد في كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي بإسناده مرفوعاً إلى جابر بن يزيد الجعفي قال: «**قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر صلوات الله عليه: يا جابر، كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا**

(١) الكلمات المحكمات ميرزا علي الحائري: ص٨٨.

**مجهـول، فأول ما ابتـدأ من خلق خلقه أن خلـق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيـث لا سمـاء ولا أرض ولا مـكان ولا ليـل ولا نهـار ولا شمس ولا قمـر يفصـل نورنا من نور ربنا كشعـاع الشمس من الشمس نسبح الله تعالى ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته.. إلى آخر الروايـة**»، ومن ذلـك أيضاً عن جابر عن أبـي جعفر صلوات الله عليه قال: «**إن الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلـق آدم بأربعـة عشر ألف عام فهي أرواحنا.. إلى آخر الرواية**»، وقال الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الزيارة الجامعة: «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين حتى منّ علينا بكم**»، وهذا النور الذي خلقـوا منه هو ظهور الله للخلـق بهم صلوات الله عليهم وأثر فعله سبحانـه والأثر يشابه صفة مؤثره ولما كان المؤثر لا يُدرَك من نحو ذاتـه ولا يُعرف كذلك كان نورهم وحقائقهم صلوات الله عليهم لا تُـدرك من نحو ذاتهم فلا يَعرِف من هـم إلا خالقهم وهم عليهم السلام لأن الله أشهدهم خلـق أنفسهم وأشهدهم خلق السموات والأرض وإنما خلقت الأشياء مـن فاضل أنوارهم وأشعتهم فليس معهم في رتبة ذاتهم شريك كما ليس لأحد في الطينة التي خلقوا منها نصيب وقد أشار الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذلك بقوله: «**إن**

**الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً»**[1].

٢- ومن معاني هذه الكلمة أيضاً المشيئة على اعتبار أنها أول ظهور الحق سبحانه وتعالى للخلق ولذا وردعنهم عليهم السلام «خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها»، وقد ورد التعبير عن هذا الظهور بالنور في آية النور في قوله تعالى ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، إشارة إلى هذا الظهور الوصفي له سبحانه ومعناه أنه ظاهر في نفسه مظهر لغيره، ومن هنا تعلم أن المشيئة من صفاته الفعلية لا الذاتية كما حقق في محله وليس هذا مقام تفصيله، كما ورد التعبير عنها بصبح الأزل في قول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه عندما سأله كميل عن الحقيقة قال: «**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**» وطبيعي أن يكون منبع النور نور ولا يظهر إلا به.

٣- ومن معانيها الماء لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ

(١) الكافي للكليني: ج١، باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام.

حَيٍّ﴾، أي مـاء الحيـاة المعبر عنـه بالوجود الذي هو نـور الأنوار وعنصـر العناصـر، نور رسول الله ﷺ وأهـل بيته الذي جعل من فاضـل نورهم كل شـيء حي كون أنوارهم العلـل الأربع التي مدار الخلـق عليها وهـي العلة المادية والعلـة الفاعلية والعلـة الصورية والعلـة الغائية، وليس المراد من الماء في الآية الشريفة وأحاديثهم عليهـم السـلام هذا المـاء العنصري المشـروب وإلا لمـا خلق منه الجان مثلاً وقد قال تعالى في كتابه الكريم ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ فكيـف يخلق العنصر الناري مـن العنصر المائي مـع مالهما من التضاد والتنافر، أو كـون عرشه في قوله سبحانه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ هـذا الماء العنصري المشروب وإنمـا خلق هذا الماء بعد العرش لكون العرش مبدأ الجسمانيات وظاهـر الآيـة يشعر بأن خلق المـاء سابق على خلـق العرش وهذا ينفـي كون المراد بالماء هنا هو الماء العنصـري المشروب وإلا لكان المعلـول سابقاً لعلته وهذا خلف، روى جابر الجعفي قال: جاء رجل مـن علماء أهل الشام إلى أبي جعفـر عليه السلام فقال: اسألك ما أول ما خلق الله عز وجل من خلقه؟

فإن بعض من سألته قال: القدرة، وقـال بعضهم: العلم، وقال

بعضهـم: الروح، قال أبو جعفر عليه السلام: مـا قالوا شيئاً، أخبرك أن الله عـلا ذكره كان ولا شــيء غيره، وكان عزيـزاً ولا عز لأنه كان قبل عزه وذلك قوله ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وكان خالقاً ولا مخلوق، فـأول شيء خلقه من خلقه، الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء[1].

فظهـر أن المراد من هذا الماء هو مـاء الوجود النازل من سحاب المشيئـة الإلهية وهو الذي تخلق منـه نبينا صلى الله عليه وآله ولا خلق قبله بل من فاضـل وجوده المبارك تخلقت الموجودات كمـا ذكرنا من قبل أو قل بعبـارة أخـرى أن أرض عالم الإمكان هي الحقيقـة المحمدية أو ما يسمـى بحواء الأولى، وبالماء المشيئة الإلهية آدم الأول، فبنزول هذا الماء الأولي على هذه الأرض المباركة (بنكاح آدم الأول حواءه الأولى) تتحـرك وتهتز بالإنبات والإيجاد وتنبت بوجـود المكونات من الدرة إلي الذرة من كل زوج بهيج، أولها العقل أول من ذاق باكورة الوجود وبإدباره وجدت العوالم بسلاسلها الطولية والسلاسل العرضية.

٤- ومـن معانيها مـادة الشيء وأصل وجـوده، وهذه المادة التي هــي جهة الشيء من ربه يعـبر عنها في الأخبار بالنور وبالأب في

(١) أصول الكافي: ج١.

مقابل الصـورة التي يعبر عنها بالأم كما في قول الإمام الصادق عليه السلام **«إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمـه الرحمة»**(١)، سواء أريد بالمادة النوعية أو الشخصية وسواء أريـد بالصورة النوعية أو الشخصية كمثل جذع الشجرة فإنه قبل أن ينشر ويقطع له مادة خشبية نوعية وله أيضاً صورة نوعية وهي صورة الجذعيـة القابلة للتشكل بأي صورة فإذا نشر وقطع وصنع منــه منبراً كان للمنــبر منه مادة شخصية وصـورة شخصية هي الصـورة المنبرية، وإذا صنع منه صنم مثلاً كان للصنم منه مادة شخصية وصورة شخصية هــي الصورة الصنمية، ومن هنا تعلم أننا إذا قلنا أن المادة هي جهة الشيء من ربه وأنها هي النور فإنما يكون ذلك بحسب قابليتها وقبولها للتكليف الإلهي وطاعتها وذلك لا يكـون إلا بالصـورة أو الماهيـة لأن المـادة وإن كانـت هي الركن الأساسي في وجود الشيء إلا أن تشخصها في الخارج لا يكون إلا بالصورة فيوجدان معاً دفعة واحدة، لأن الفصل والتمايز إنما يكون بالصورة لا بالمادة ولذلك فالأحكام تتوجه إليها بالنورانية والظلمة

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص٧٩.

والطهـارة والنجاسة والخبث والطيب، مثاله المداد أو الحبر، فإنه مادة صالحة للاسم الطيب مثل اللّه وللإسم الخبيث مثل إبليس، فلـم يتميز الخبيث والطيب إلا بالصـورة، ونحن كذلك خلقنا من مادة واحدة كما قال تعالى ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، ومن هذا إذا رأيـت رجلين قاعديـن فنسبتهما قبل الإختبـار إليك واحدة، فلما أمرتهما وأطاع واحد باختياره وعصى الآخر باختياره، كان المطيع بطاعتـه مطيعاً مقرباً عندك طيـب الأصل طاهر القلب، ولم يكن شيئاً من هذه الأحكام إلا بطاعته مختاراً، وكان العاصي بمعصيته عاصياً مبعداً عندك خبيث الأصل نجس القلب، ولم يكن شيئاً من هذه الأحـكام إلا بعصيانه، فالمادة لا تكون ابتـداء طيبة أو خبيثة أو أنها خلقت من النور أو الظلمة ابتداء، بل هي بالطاعة التي هي صـورة من صور الرحمة تكون طيبة منـيرة، فالطاعة تقلب المادة إلى حقيقتهـا، بمعنـى أن اللّه تعـالى يقلـب المادة بالطاعـة نوراً، وكذلـك يقلبها بالمعصيـة مظلمة ويجعلها بها خبيثـة، وإلا فالمادة مـن حيث هي ومن حيـث حقيقتها تكون صالحـة وقابلة للأمرين على حد سواء لا يرجح أمر على آخر سوى القابليات من الطاعات أو المعاصـي[1]، ولذا قيد الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كون المادة نوراً أن

(١) شرح العرشية الطبعة الحجرية: ص٣١٨.

تكون الصورة رحمة والرحمة هي صورة الطاعة والإقبال على الله سبحانه وتعالى في كل حال.

٥- ومن معاني كلمة النور هو القرآن الكريم لقوله تبارك وتعالى في سورة الأعراف الآية (١٥٧) ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾، وقال تعالى في سورة النساء الآية (١٧٤) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾، وقال تعالى في سورة التغابن آية (٨) ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾.

وورد في الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «**إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين**»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء**»، وقال أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: «**واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور**»، ومن دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عند ختم القرآن: «**وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه**»، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «**عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق**»، واستمع إلي سيدة

نساء العالمين صلوات الله عليها ماذا تقول في خطبتها في مسجد أبيها ﷺ في شأن القرآن الكريم: «**كتاب الله الناطق والقرآن الصادق والنور الساطع والضياء اللامع بينة بصائره منكشفة سرائره منجلية ظواهره مغتبطة به أشياعه قائد إلى الرضوان اتباعه مؤد إلى النجاة استماعه**».

واعلم أن القرآن الكريم مأخوذ نوره من نور المعصوم عليه السلام إذ أن رتبة المعصوم الذاتية أعلى وأفضل من رتبة القرآن الكريم وإن كان القرآن الكريم من حيث أنه كلام الله ومنسوب إليه أكبر ولهذا عبر عنه النبي ﷺ : «**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله الثقل الأكبر وأهل بيتي الثقل الأصغر**» فقال الأكبر ولم يقل الأفضل والأعلى وما ذلك إلا لأن القرآن في حقيقته خطاب الله إلى الخلق بلسان وليه بالحق فيكون المعصوم علة لوجود القرآن إذ أنه إنما وجد من شعاع العقل الكلي لنبينا وأهل بيته عليهم صلوات الله ولا يصل الأثر إلى رتبة المؤثر أبداً، فإذا نظرنا إلى المقام الذاتي للقرآن والإمام المعصوم قلنا أن الإمام أفضل، وإذا نظرنا إلى نسبة القرآن إلى الله سبحانه وتعالى قلنا أن القرآن أكبر للنسبة العرضية كما أن الاسم الفاعل مع كونه مشتقاً من المصدر أو الفعل، والمشتق فرع من المبدأ أنه أفضل من المصدر

أو الفعل لأنــه نسبة الذات، والمصدر والفعل نسبة الحدث فهو من هــذه الحيثية أفضل، وكما أن الفعل أفضـل وأشرف من الحرف، والحــرف قد يعمـل في الفعل، والعامل من حيـث هو عامل أفضل مــن المعمول من حيث هو معمول، والملائكـة يقدمون على الإنسان ويتصرفــون فيــه مع أن الإنســان أشرف وأفضل منهــا، ولذا ترى جبرئيل ينزل على النبي بالوحي والقرآن وأوامر الخالق المنان مع أن النبــي أفضل وأشــرف منه بما لا يعلمــه إلا اللّٰه بل أن الملائكة خلقــوا من فاضل أنوارهم صلوات اللّٰه عليهم أجمعين كما أخبرت بذلــك واياتهم الواردة عنهم عليهم الســلام. ومن هنا يتضح لك أن الشـــيء قد يكون باعتبار ذاتــه أفضل وباعتبار نسبته أقل، وقد يكــون باعتبار ذاته أقل مــن الآخر وباعتبار نسبتــه أفضل وأكمل ومثــال ذلك المسجد الحرام ومسجد النبــي صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد الكوفة، فإن مسجد الكوفة لوقوعه في الكوفة أفضل من مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد النبــي صلى الله عليه وآله وسلم لوقوعه في المدينة أفضل من المسجد الحرام لوقوعــه في مكة، ومع ذلك فإن الصلاة في المسجد الحرام تعدل مئة ألــف صلاة وفي مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشـرة آلاف وفي مسجد الكوفة ألف مع أن مقتضى فضيلة المكان أن يكون في الفضل بعكس الترتيـب المذكور، ومثال آخر مــا ورد في حق أبي طالب عليه السلام أن له نــوراً يوم القيامــة يفوق جميع أنــوار الأنبيــاء إلا خمسة أنوار،

مـع أن أبا طالب ليس بأفضل من نوح وإبراهيم وموسى وعيسى قطعاً، فوجب أن يكون نورهم أكثر وإشعاعهم أنور، والسبب في ذلك مجرد النسبة حيث أن أبا طالب منسوب إلى أمير المؤمنين عليهما السلام اكتسب له فضل عرضي وكذلك المسجد الحرام لما كان منسوباً إلى الله كان ثواب الصلاة فيه أكثر مع أنه من حيث الفضيلة الذاتية أقل(١).

٦- ومـن معاني هذه الكلمة أيضاً ولاية أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين لقوله تعالى في سورة التوبة آية (٣٢): ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾، وقوله تبارك وتعالى في سورة النور آية (٤٠) ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾، وقد ورد في الكافي عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ **فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا** ﴾(٢) فقال عليه السلام: «**يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله في السموات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب**

(١) جواب الشيخ محمد حسين البحراني للسيد كاظم الرشتي رضوان الله عليه -بتصرف.
(٢) سورة التغابن: آية ٨.

**المؤمنـين أنور مـن الشمس المضيئـة بالنهار، وهـم والله ينورون قلـوب المؤمنـين ويحجب الله عز وجل نورهـم عمن يشاء ويظلم قلوبهم**». وقال الإمام أبو محمد الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**ونحن كهـف لمـن التجأ إلينا ونـور لمن استبصر بنـا وعصمة لمن اعتصم بنـا، مـن أحبنـا كان معنا فـي السنـام الأعلى، ومـن انحرف عنا فـإلى النـار**»، وورد في دعاء الندبة «**ولولا أنـت يا علي لم يعرف المؤمنـون بعدي، وكان بعده هـدى من الضلال ونوراً من العمى وحبـل الله المتـين**»، واستمع إلى إمامـك الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يصف الإمامـة فيقول «**الإمام كالشمس الطالعـة المجللة بنورها للعالم وهـو بالأفـق حيث لا تنالـه الأبصـار ولا الأيـدي، الإمـام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الطالع والنجم الهادي في غيابات الدجى والدليل على الهدى والمنجي من الردى**».

وقـد دلت الأدلـة القطعية من العقلية والنقلية بـأن مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده المعصومين هم المنير والخلق غيرهم كلهم شعـاع لهم خلقوا من شعاع نورهـم وفاضل ظهورهم، ومن المعلوم أن الشعاع لا يعرف إلا أن المنير مشرق متصرف في الشعاع كمال التصـرف لا تحقق لـه ولا تـذوت إلا بالمنير وإشراقـه، وكذلك لا يعرف الخلق منهم سلام الله عليهم إلا أن لهم الولاية والتصرف

فــي الأكــوان والأعيان بــالله سبحانه بأن جعلهــم الله كذلك وهو معنــى الولاية المطلقة والهيمنة العامة على كل مذروء ومبروء وأما حقائقهــم وذواتهــم المقدسة فلا يعرفها إلا خالقهــا سبحانه، «**يا علي ما عرفك إلا الله وأنا**».

٧- ومن معاني هــذه الكلمة العقل الكلي أو روح القدس، وهو أو الروحانيــين حملة العرش وهو عقلهم صلوات الله عليهم أجمعين، وقد قال مولانا الصادق عليه السلام: «**إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش**»، وفي حديث محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام: «**أول ما خلق الله العقل ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر**»، وقال رسـول الله صلى الله عليه وآله: «**أول ما خلق الله عقلي**»، فيفهم من مجموع هذه الروايات أن الروح المسددة لهم هو روح القدس وهو عقولهم، ولا ريب أن التسديد والتأييد كله بالعقل فــي كل بحسبه وهــو نــور ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾، فيسددهم الله سبحانــه بهــم لا بغيرهــم، لأن عقلهم ســلام الله عليهم أول مراتبهــم في الوجود المقيد وبه قــوام الأكوان والأعيان فلا ينافي ذلــك أنهم الحجج بــلا واسطة صلى الله عليهــم، وهذه الواسطة ليســت غيرهم، وهــي العمود من نور ونور التفرس والتوسم، كما

ورد ذلــك عن الإمام الرضا عليه السلام بقولــه: «**إن الإمام مؤيد بروح القدس وبينـه وبين الله عمود من نـور، يرى فيه أعمـال العباد وكلما احتاج إليه.. يبسط له فيعلم ويقبض عنه فلا يعلم**»[1].

٨- ومــن معــاني كلمــة النــور الملائكة لأنهــم خلقوا مــن النور وبالتحديـد من فاضل نور أمير المؤمنين عليه السلام حسب الرواية التي ذكرها الشيـخ الطوسي رحمه الله في كتابه مصباح الأنوار حيث ورد فيهـا قول النبي صلى الله عليه وآله لعمه العبـاس عندما سأله كيف كان بدؤ خلقـك يا رسول الله؟ فقال النبـي صلى الله عليه وآله: «**فلمـا أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة، فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري ونـوري من نور الله ونوري أفضـل من العرش، ثم فتق نور أخي علـي فخلق منـه الملائكة، فالملائكة من نور علـي، ونور علي من نور الله، وعلي أفضل من الملائكة**».

ولا نعني أنهم خلقوا من النور أن ليس فيهم ماهية وهي جهتهم إلى أنفسهم وشأنها الظلمة بل فيهم ذلك، ولكن ليس في طينتهم مــن الظلمــة إلا ما يمسـك وجودهم بأن يقول كل واحـد منهم أنا ويختـص بشأن دون الآخـر، فظلمتهم ضعيفـة وتركيبهم ضعيف

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص١٩٢.

ونورهم غالـب واختيارهم ضعيف، فلا يعصـون لضعف ما فيهم مـن الداعي ولم يخرجوا عن الاختيــار لوجود شيء ما من الظلمة التــي بهــا يحصل الاختيار، فلـو تمحض الشيء انعـدم ولم يوجد بـل لا بد من التركيب في الإمـكان لأن كل ممكن زوج تركيبي، إلا أن التركيــب يختلف بالقــوة والضعف فمن قــوي التركيب كالإنس والجن ومن ضعيف كالملك والشيطان، فما قوي تركيبه قوي واشتد اختياره ويتساوى فيه جهة الفعل والترك، فإن مال إلى النور يترقى وتضعـف الظلمة إلى أن لم يبق لهــا تأثير إلا ما يحفظ ويمسك به وجوده ويبلـغ بذلك أعلى الدرجات وأسنى المقامات لقوة اختياره، وإن مال إلى الظلمة يتسافل ويضعف النور إلى أن لم يبق له تأثير إلا ما يحفظ به وجوده ويمسكه، فالثاني لا يصدر منه خير أبداً، كما أن الأول لا يصـدر منه شر أبداً، والـكل بقوة الاختيار، والفريقان لم يـزالا يزدادان في المقام تعاليــاً أو تسافلاً لم يستقر لهما قرار في درجات عليين أو دركات سجين في الدنيا والآخرة فهما دائماً في الزيادة.

وما ضعـف تركيبه ضعف اختياره ولم يتســاو فيه الطرفان، بل الغالـب جهة واحدة تقتضي مقتضاها ولا يميل إلى مقتضى الجهة الأخـرى إلا بتكليف وندرة وذلك كالملائكة، فإن جهة الظلمة فيهم

ضعيفـة كمـا ذكرنا فلا يميلـون إلا إلى الطاعة ومثـال اختيارهم بالمثـال التقريبي مثال شخص جائع أضـرّ به الجوع بحيث إذا لم يأكل يموت في ساعته، فإذا حضر عنده والحال هذه أطيب طعام يكون في الدنيا، أتراه أنه يأكل أو لا يأكل حتى يموت واختيار عدم الأكل وإن كان حاصلاً، لكن داعي الأكل قوي جداً يغلب تلك الجهة الأخرى، فهكذا حال الملائكة في داعي الخير وداعي الشر، وحيث كان داعـي الشر فيهم ضعيفاً جـداً بقوا على نقصانهم لا يترقون أبداً وإن فعلوا ما فعلوا من الأعمال، ولذا قال عليه السلام في الملَك: «**إنه ناقص لا يحتمل الكمال**»، فهم معصومـون «**لا يعصون الله ما أمرهـم ويفعلوم ما يؤمـرون**». والفرق بينهم وبين الأنبيا والأئمة عليهم السلام، أن الأنبيـاء بقوة الداعي في الجانب الآخر تركوا مقتضـاه ومالوا إلى الخير والنور، والملائكة بضعف الداعي وغلبة جانـب النور مـا مالوا إلى الظلمـة والفرق بينهمـا واضح ظاهر، ونقصان هذا القسم بيّن باهر، صاروا بذلك حمَلة وروابط يتلقون الفيض ويوصلونـه إلى مقره المخصوص علـى الوجه المخصوص ولا يمكنهـم التعدي من تلك الحالة، مثالهم الحروف في الألفاظ فإنهـا ليسـت إلا روابـط محضـة ولا تدل علـى معنى فـي نفسها أبـداً، وإنما تدل على معنى في غيرها، وكانوا بذلك حدود جهات

المشيئة فـي المشاءات، فمن ملك موكل بضوء الشمس وموكل بنور القمـر وموكل بالحرارة وموكل بالرطوبة ومـوكل باليبوسة وموكل بالانجمـاد وهكذا، والموكل بالحرارة ليس له التصرف في القسم الآخر وكذلك العكس[1].

٩- ومن معانيها أيضاً الإسلام والإيمان لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة آية (١٥) ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾، وكقولـه تعالى في سورة الزمر آية (٢٢) ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وقولـه تبـارك وتعـالى فـي سورة آل عمران آيـة (١٠٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وقولـه جلت عظمته في سورة التحريم آية (٨) ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ولقـي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يومـاً حارثة، فقال له: كيـف أصبحت يا

(١) جواب أسئلة الشيخ محمد حسين البحراني للسيد كاظم الرشتي، جواب الحكم: ج١٣.

حارثـة؟ فقـال: أصبحت يا رسـول اللّه مؤمناً حقـاً، قال ﷺ: إن لـكل إيمان حقيقـة فما حقيقة إيمانـك؟ قال: عزفـت نفسي عن الدنيـا وأسهـرت ليلي وأظمـأت نهاري، فـكأني بعرشـ ربي وقد قـرب للحساب وكأني بأهل الجنة فيها يتراودون، وأهل النار فيها يعذبـون، فقال رسول اللّه ﷺ: «**أنت مؤمن نـوّر اللّه الإيمان في قلبـك، فاثبـت ثبتـك اللّه**»، وقال ابن عبـاس: «**إن للحسنة لنوراً فـي القلب وضيـاءً في الوجه وقوة في البـدن وزيادة في الرزق ومحبـة في قلـوب الخلق، وإن للسيئة لظلمـة في القلب وغبرة في الوجه وضعفاً في البدن ونقصاً في الرزق وبغضة في قلوب الخلق**».

ولا ريـب أن هناك أعمـالاً إذا أتى بها المؤمن بصفته هذه كانت سببـاً في زيادة نورانية قلبه ووجهـه وقربه من اللّه عز وجل ومن هذه الأعمال:

**أ- <u>صلاة الليل</u>:** لقول رسول اللّه ﷺ: «**من صلى بالليل حسن وجهـه فـي النهار**»، وعن أبـي عبد اللّه عليه السلام قال: «**صـلاة الليل تبيض الوجـه وصلاة الليـل تطيب الريح وصـلاة الليل تجلب**

(١) مستدرك الوسائل: ج٥، ص٢٠٧.

الـرزق»، وسـئـل علي بن الحسـين زين العابديـن عليه السلام: «**ما بال المتهجديـن بالليـل أحسن وجهاً؟ قـال** عليه السلام: **لأنهم خلوا إلى الله فكساهـم الله مـن نـوره**»، وقـال الإمام الصـادق عليه السلام: «**صلاة الليـل تحسـن الوجه وتذهب بالهم وتجلـو البصر**»، وأخيراً قول النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن العبـد إذا تخلّـى بسيـده في جـوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور في قلبه**»[1].

**ب- إسبـاغ الوضـوء:** لقـول النبـي صلى الله عليه وآله وسلم عندما سألـه اليهودي عـن جزاء عاملهـا -أي الوضوء- قال النبـي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول ما يمس الماء يتباعد عنـه الشيطان، فإذا تمضمض نوّر الله قلبه ولسانه بالحكمـة، فـإذا استنشق آمنه الله من النـار ورزقه رائحة الجنة، فـإذا غسـل وجهه بيّض الله وجهه يوم تبيـض فيه وجوه وتسود فيـه وجـوه، وإذا غسـل ساعديه حرم الله عليه أغـلال النار، وإذا مسح رأسـه مسـح الله عنه سيئاتـه وإذا مسح قدميـه أجازه الله على الصراط يوم تزل فيه الأقدام**».

**ت- قراءة القرآن:** لقول أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه فيه في ميزان الحكمة الجزء الثامن: «**أفضل الذكر القرآن به تشرح**

(١) مستدرك الوسائل: ج٥، ص٢٠٧.

**الصدور وتستنير السرائر**»، وقال بأبي هو وأمي في نهج البلاغة «**وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص**»، وقال عليه السلام: «**لقاح الإيمان تلاوة القرآن**»، وفيما أوصى به النبي صلى الله عليه وآله أبا ذر: «**عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء، ونور لك في الأرض**»[1].

ث- الصلاة على محمد وآل محمد: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**أكثر الصلاة علي، فإن الصلاة علي نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة**»، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الصدقة ليلة الجمعة ويومها بألف، والصلاة على محمد وآله ليلة الجمعة بألف من الحسنات، ويحط الله فيها ألفاً من السيئات ويرفع فيها ألفاً من الدرجات، وإن المصلي على محمد وآله ليلة الجمعة يتلألأ نوره في السموات إلى أن تقوم الساعة وإن ملائكة الله يستغفرون له ويستغفر له الموكل بقبر رسول الله إلى أن تقوم الساعة**»، وقال تبارك وتعالى في سورة الأحزاب آية (٤٣) ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

(١) الخصال: ج٢، ص١٠٥.

١٠- ومــن معــاني كلمة النور العلــم: قال مولانا أمــير المؤمنين عليه السلام لكميــل بن زياد النخعي: **«يا كميــل القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاه، وهمـج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق».**

وجــاء في الزيــارة الجامعة عــن مولانا الإمــام الهادي عليه السلام قولــه: **«كلامكم نـور وأمركم رشـد ووصيتكـم التقـوى وفعلكم الخير»**، وروي عــن الإمام الصادق عليه السلام أنه قــال: **«ليس العلم بكـثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء»**، وقال لقمــان لابنه: **«يا بني جالسْ العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله عـز وجـل يحيي القلـوب بنور الحكمـة كما يحيـي الأرض بوابل السمـاء»**، وقــال الإمام الصــادق عليه السلام: **«الحكمة ضيـاء المعرفة وميراث التقوى وثمرة الصدق»**، وقال الشاعر:

**شكوتُ إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى تـرك المعاصي**
**وأخـــبرني بـأن الـعلـمَ نـورٌ ونـور الله لا يـهدَى لعاصي**

واعلــم أيها المؤمن الكريم أن شــرف العلم من شرف موضوعه ولذا كان العلم الإلهــي المتعلق بتوحيد الله ومعرفة صفاته وأفعاله وتنزيهــه عمــا لا يليق به تبــارك وتعالى هو أشــرف العلوم لشرف

موضوعه ويأتي بعده العلم بالشرائع والفرائض والسنن، ولما كان هـذا العلم الإلهي لا يتأتـى إلا لمن جعلهم الله تعـالى الأدلاء عليه وظاهره في عباده ووصف نفسه لخلقه بهم وجعلهم ذلك الوصف، كانـت معرفتهـم بهذا المقـام -وهو مقـام الوصفية- هـو السبيل الوحيـد إلى توحيد الله سبحانـه إذ لا سبيل إليه سواهم ولذا قال إمامنا علي الهادي عليه السلام: «**من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجـه بكم**»، وقال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**ونحـن الأعـراف الذيـن لا يعـرف الله إلا بسبيـل معرفتنا**»[1]، ولـذا قال صلوات الله عليه لسلمـان وأبي ذر: «**من كمال معرفتي بالنورانيـة، يـا سلمان ويا جندب إن معرفتـي بالنورانية معرفة الله ومعرفة الله معرفتي بالنورانية**»، فثبت أن معرفة الله لا تتم إلا عـن طريقهم عليهم السلام لأن معرفة الذات ممتنعة الطريق إليهـا مسدود والطلب مردود فلم يبقى إلا معرفته بآياتـه وآثـاره ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2]، وقـد قـال مولانا أمـير المؤمنين عليه السلام: «**ليس لله آية**

(١) بحار الأنوار: ج٨.

(٢) سورة فصلت: آية ٥٣.

**أكبر مني ولا نبأ أعظم مني**»، وورد في الزيارة: «**السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن**»، لأنهم عليهم السلام نفس الله ووصفه لعباده ليعرفوه به ووجهه الذين يتوجهون به إليه، لأن الأثر له جهتان جهة دلالة على المؤثر واسم له والاسم هو المنبئ عن المسمى كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا نظر العبد إلى ذلك الوجه كان له حكم الاسم بل هو الاسم لأن كل أثر يكون مبدأ اشتقاق اسم لمؤثره وذلك الاسم في رتبة الأثر لا في حقيقة ذات المؤثر كالقائم فإنه اسم لزيد المشتق عند أثره القيام، فالقائم قائم بالقيام قيام تحقق فهو اسم له لكن في رتبة الأثر لا في حقيقة زيد، إذ لو كان القائم عين حقيقة زيد لما جاز توصيفه بالقاعد لأن ذات الشيء لا يفارقه إلا عند فنائه وإعدامه، ولا شك أن الذات محفوظة حين توصيفها بالقائم والقاعد ولا يجوز أن يقال إن القائم لفظ مركب لمجموع الذات والقيام فإن ذلك باطل لاستلزامه تغير الذات بأثرها وذلك مما يأباه أولو العقول السليمة، فالقائم اسم لزيد وصفه له والصفة غير الموصوف كما نص عليه أمير المؤمنين عليه السلام والاسم غير المسمى كما نص عليه مولانا الصادق عليه السلام، فلا يكون القائم عين زيد بل إنما هو ظهور زيد بالقيام وذلك الظهور قائم بالقيام، فالقائم حقيقة القيام ووجهه

إلى مبدئه، إذا عرف القائم عرف زيد، إذ لا فرق بين القائم وبين زيد فــي التعريف والتعرف والمعرفــة إلا أن القائم عبد زيد وأثره وصفتــه جعلها فــي الأثر ليعرفــه بها، وذلك الاسـم والصفة هي الربوبية بها وهــو قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملأ الأعلى علــى ما في الغرر والدرر «**وألقى فــي هويتها مثاله فأظهر عنها أفعالــه**»، فالمثـال الملقى هــو الصفة المخلوقة والاسـم المشتق عند وجــود الأثر، فأكمل حالات العبد وأشرفها أن يكون ناظراً إلى تلك الجهــة العليا فإذا استدام النظر إليهــا كان حينئذ إسماً وصفة لا فرق بينــه وبين الحق سبحانه في المعرفة إلا أنه عبده وخلقه ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»، فمعرفة النفس هي عين معرفة الــرب على قدر الطاقة الإمكانية، ولما كان محمــد وآله صلى اللّه عليه وعليهــم هم النـاظرون إلى تلك الجهة العليــا فكانوا هم المتمحضين في الاسمية والصفتية والمثلية، فمن هــذه الجهة صار لا فرق بينهم وبين ربهم فــي المعرفة لكونهم وجه اللّه، ولا فــرق أيضاً فــي الفعل والمشيئة والإرادة فصارت مشيئتهم عــين مشيئة اللّه وإرادتهم عــين إرادة اللّه وولايتهم عين ولاية اللّه وفي الطاعــة والمعصية والعداوة فكان مــن أحبهم فقد أحب اللّه ومن أبغضهم فقد أبغض اللّه وصار حكمه حكمهم وحكمهم حكمه

وأمـره أمرهــم وأمرهم أمـره، إلا أنهم أسمـاؤه الحسنى وأمثاله العليا والكبرياء والآلاء[١].

١١- ومـن معاني كلمة النور النبي والـولي صلوات الله عليهما: قـال الله تبارك وتعالى فــي سورة الفرقان آيـة (٦١) ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾، فقد عـبر سبحانه وتعالى عن النبي بالسراج والولي بالقمر وجعل لهما وصفـاً واحداً وهو (منـيراً) لقوله عز وجل فــي آية أخرى يصف فيهـا النبـي صلى الله عليه وآله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[٢] فهـو صلى الله عليه وآله سراج عالم الوجـود وعلي منه كالضوء من الضـوء لأنهما وآلهما الطاهرين أول ما خلـق الله، وجعل الأشياء كلهـا قائمـة بفعله عز وجل وأمـره قيام صدور كل على حسب ما تقتضيه قابليته الإمكانية، وحامل ذلك الفعل الكلي الأولي الذي لا يفوتـه شأن من الشؤون هو صاحـب الولاية الكلية المطلقة، وحامل الاسم الأعظم المهيمن على جميع الأسماء كلها الذي به قوام سائر الأسماء وحياتها لأنه روحها ولذا كان غيباً فيها، وهو سيد الأولين

(١) جواب أسئلة الشيخ محمد حسين البحراني للسيد كاظم الرشتي رضوان الله عليه، ج١٣ (جواهر الحكم).

(٢) سورة الأحزاب: آية ٤٥.

والآخريـن محمد صلى الله عليه وآله ثم من بعده أمـير المؤمنين الذي اشتق اللّه نوره كالضوء من الضوء لا كالشعاع من الضوء، ثم من بعده أولاده الأئمـة الأحد عشر وفاطمـة الزهراء المخلوقـون جميعاً من سنخ نوره وطينته، فلهـم الهيمنة الكبرى والسلطنة العظمى على جميع مـا في الوجود من ذات أو صفة أو جوهر أو عرض، وهم أصحاب القبض والبسط في جميع ممالك الإمكان لأنهم يد اللّه الباسطة فيهـا، ويد اللّه لا يخرج منهـا شيء ولا تعطيل لها في كل مكان، لا كمـا قالت اليهـود المنكرون لفضل محمد وآلـه الطاهرين صلوات اللّه عليهـم أجمعـين ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[1]، ولـذا مـلأ صاحـب الولايـة الكلية بظهوره القيومي آفاق القوابل فيظهر لمن يشاء فيما يشـاء من المرايا الكونية من غـير أن يشوب ظهوره ذلك شيء من شـوب تلك المرايـا، مثاله صورة الشمس الواقعـة على الزجاجات الملونة بالألوان المختلفة فإن البصير لا يرى في نور الشمس تغييراً لأنها ألوان للقابل الذي هو الزجاجة لا للشمس ولا لنورها[2].

(١) سورة المائدة: آية ٦٤.

(٢) حروف نورانية من صحيفة الأبرار للميرزا محمد تقي التبريزي المامقاني: ص٢٤٤.

١٢- ومـن معانيهـا نـور البصر: قـال اللّه تبارك وتعـالى في سـورة البقـرة آيـة(١٧): ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾، وقـال سبحانه في الآية (٢٠) من نفس السورة ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾، وروي عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**يـا علي إن فاطمة بضعة مني، هي نور عيني وثمرة فـؤادي، يسـوؤني مـا ساءهـا ويسـرني مـا سرّهـا**»[1]، وجاء في تعقيـب صلاة المغرب: «**اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد عليـك أن تصلـي علـى محمد وآل محمـد، وأن تجعـل النور في بصـري والبصيرة فـي ديني واليقين في قلبـي والإخلاص في عملي**»، وفي المناجاة الشعبانية لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي هـب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصـار قلوبنا بضياء نظرها إليـك حتـى تخرق أبصار القلوب حجب النـور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك**».

فالآلة الباصرة -وهي العين- هي آلة يرى بها الأشياء الخارجة بانطبـاع أشباحها في الجليدية -لا بخروج الشعاع وانعكاسه على

(١) أهل البيت عليهم السلام، توفيق أبو علم: ص١٢٤

المقابـل كمـا ذهب إليـه البعض مـن الرياضيـين-، والدليل على الانطباع رؤية الأحول للأشياء فإنه يرى الشيء الواحد متعدداً مع أنـه ليس متعـدداً في الخارج، ولأن الإبصار لـو لم يكن بالانطباع لـكان إذا قابلت زيداً رأيـت يمينه عن يمينك، ويساره عن يسارك وهكذا مما يلي اليمنة واليسرة، مع أن الأمر ليس كذلك، بل بعكس الصـورة في المرآة فإنها لما كانت مدبرة بوجهها عن المرآة ومقبلة إلى الرائي ترى يمينها محاذية ليمينك ويسارها كذلك، والصورة المنطبعـة في الجليدية لما كانت بعكس المـرآة، بمعنى كونها مقبلة بوجهها المرئي ومدبرة عـن الرائي يكون يمينها على يسار الرائي ويسار الرائي على يمينها وكذلك ما يحاذي اليمين واليسار، وهذا دليل خفي، ولأن من نظر إلى الشمس طويلاً ثم أعرض عنها بقيت صورتهـا في العين طويـلاً، لأن الجليدية جسم صقيل نوراني وكل جسـم كذلـك، إذا قابله الكثيف انطبع فيه فـي العين طويلاً، لأن الجليديـة جسم صقيل نوراني وكل جسم كذلك، إذا قابله الكثيف انطبع فيه شبحه كالمـرآة، لا يقال إن العقل الصريح يمنع انطباع العظيم كنصف كرة العالم أو الجبال الشامخة في المحل الصغير وهو رطوبة الجليدية، لأن نصف كرة العالم إذ حل في هذه الرطوبة فإما أن يبقى على العظم الأول أو لا، فإن بقي لزم مساواة العظيم

للصغير وهو محال، وإن لم يبق لزم أن لا يرى عظيماً وهو مكابرة للعقـل، لأنا نقـول: إن النور الذي في الجليدية لـه سعة تسع شبح المرئـي وليس ذلك النور هو الجليدية بل هو الحال فيها للإبصار، فآلة الإبصار إنما هو النور وهو ليس من الماديات السفلية، فلذلك النور قـوة تحيط بالشبح على قدر المرئـي الخارجي لأنه لا يمكنه إلا رؤية الشبح الصغير، ولذلـك ترى أن المرآة الصغيرة المصفاة بأنـواع التصفية حتى ظهر جوهرها ترى صور المحسوسات لا على قدرهـا، لأن الرائـي إنما هو ذلـك النور والمنطبع فـي تلك المرآة إنمـا هو منطبع في صقالتهـا لا في جرم الزجاجية والمنطبع إنما ينطبـع في الصقالـة على قـدر قابليتها فلا تنطبـع الصورة في نفس الجليدية حتى يلزم ما أوردوه، بل المنطبع إنما انطبع في نور الجليدية أعني صقالتها كما في المرآة، فالصقالة على هيئة تحكي المرئي على هيئتها، وقد صرح أهل البيت عليهم السلام بالانطباع وأن الأشيـاء تدخل في الجليدية أعني صقالتها ونورها بأشباحها كمـا في حديث الإمـام الصادق عليه السلام مع هشـام بن الحكم في شأن الحواس فتبصر[1].

(١) المخازن واللمعات، ميرزا حسن كَوهر: ص٤٧.

١٣- ومن معاني كلمة النور الوحي: قال تبارك وتعالى في سورة الشورى آية (٥٢) ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾، واعلم أن الوحي عبارة عن الكلام الإلهي المنزل على نبي من أنبيائه ورسله بشكل خاص، ومن ثم يبلغه الرسول -مالزم منه- بأمر من الله عز وجل للناس، وهو في مجمله على ثلاثة أنواع:

أ- **الوحي المباشر:** وهو يتلقاه النبي صلى الله عليه وآله دون واسطة ظاهرية، مثل الإلهامات التي تلقى على روع النبي صلى الله عليه وآله.

ب- **مكالمة الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وآله مباشرة:** دون واسطة ملك أو غيره مثل الخطاب والكلام الذي سمعه النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج، حيث أنه من المسلمات أنه لم يكن هناك واسطة في المكالمة، أو إذا تجلى الله له مباشرة كما ورد في رواية زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث سأله عن الغشية التي تصيب النبي صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي، فقال عليه السلام: «**ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذلك إذا تجلى الله له**»[(١)].

(١) كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: ص١١٥.

**ت- نـزول الوحـي بواسطـة ملـك مخصـوص أمـين علـى الوحـي:** يعنـي جبرئيل الـذي كان وسيلة لتنزيل القـرآن الكريم وإبلاغـه النبي، أنزله في ليلة القـدر دفعة واحدة على قلب النبي صلى الله عليه وآله، ومـن ثم نزل عليه آيات وسـوراً مجزأه طوال ثلاث وعشرين سنة بحسب الأحداث والمناسبات[1].

١٤- ومن معـاني كلمة النور: خصوص مولانـا صاحب العصر والزمـان عجـل الله فرجه الشريـف، قال الله تبـارك وتعالى في سورة الزمر آية (٦٩) ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، فعـن المفضل بن عمر قـال: سمعت أبا عبـد الله عليه السلام يقول: «**إن قائمنـا إذا قـام أشرقـت الأرض بنور ربهـا، واستغنـى العباد من ضـوء الشمس، ويعمر الرجـل في ملكه حتى يولـد له ألف ذكر لا يولـد فيهـم أنثى، ويبنى في ظهـر الكوفة مسجدٌ له ألف باب ويتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء وبالحيرة، حتى يخرج الرجل يـوم الجمعة على بغلـة سفواء يريد الجمعة فـلا يدركها**». وفي تفسير علـي بن إبراهيم فـي تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق

(١) كتاب الولاية ميرزا عبدالرسول الحائري الأحقاقي: ج٢، ص١٠٢، بتصرف.

عليه السلام قــال: «**رب الأرض إمام الأرض، قلت فإذا خرج يكون ماذا؟ قـال: يستغنـي الناس عن ضوء الشمس ونـور القمر ويجتزئون بنـور الإمـام**»، وعـن الإمام الرضـا صلوات الله عليـه في وصف ولـده الإمام المهدي عجـل الله فرجه الشريف قولـه: «**بأبي وأمي سميّ جدي، شبيهي وشبيه موسى بن عمران، عليه جيوب النور تتوقد بشعاع ضياء القدس**»[1].

**اللهـم أرني الطلعة الرشيدة والغرة الحميدة، واكحل ناظري بنظـرة منـي إليـه وعجل فرجه وسهـل مخرجـه وأوسع منهجه واسلـك بـي محجتـه وأنفـذ أمـره واشـدد أزره واعمـر اللهم به بلادك وأحيي به عبادك.**

(١) عيون أخبار الرضا: ج١، ص٩.

# غيبيـات

وكـل ذي غـيـبـة يـؤوب — وغـائـب المـوت لا يـؤوبُ
مـن يسأل الناس يحرموه — وسـائـل الله لا يـخـيـبُ
بـالله يُـدرَك كـلُّ خير — والـقـول فـي بعضه تلغيبُ
والله لـيـس لـه شـريك — عـلّام مـا أخـفـت الـقـلـوبُ

(عبيد بن الأبرص)

اللهم يـا عالمَ الغيب ويا كاشف الرَّيْـب نزلتُ بساحتك مكروباً فأغثنـي وحللتُ بفنائـك مسكيناً فأعنِّي، ومـن مثلك يا رب يغيث لهفاناً ويدرك حيراناً، حططـتُ رحالي عند فيضك طامعاً نوالك إذ لم أزل منـك بـين مدٍّ وجزرٍ، تعطيني فأدنـوا وتحرمني فأعدوا فمـا أشقـاني ويا لي من عبد جحـود من غفلته لا يعـود، وأنا أرى مقادير أمرك وتدابير صنعك فلا أهتدي إلى الحكمة فيها ويخفى علـي الغايـة منها، فلا أتعظ أن يصيبني ما قـدرتَ علي فيها من سطوات بلائك وزلازل نقمتك إذ كنتُ أركن دائماً ما عودتنيه من كرائم منحك وتواصل نعمك وتقادم سترك.

لو يعلم المعرض عنك ما غاب عنه من لذة الإقبال عليك والتوجه إليـك والتقلب بين يديك، لمـا رام عنك بـدلاً، ولا اتخذ من دونك متحـوَّلا، واحسرتـاه، نـورك يا ربي فـي الكون ما أظهـره وأبداه،

وفــي قلبي ما أخفاه لبعدي عنك فمــا أشقاه، ألم يأن له أن يخشع لذكرك وأن يخضع لعزتك وأن يرحل إليك لأن الراحل إليك قريب المسافة وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الأعمال دونك، ألم تقـل في خطابك الكريم وذكـرك العظيم «وإذا سألك عبادي عني فإني قريب»، فمتى يجمعني وإياك قلبي ويشتمل عليك فكري ولبّــي، فأركن منك إلى نفسي في هدوء وأؤوب عنك إلى قلبي في سكينــة ورضى، وأنــا أرى أيامــي تخاتلني وأرى نفســي تخادعني وهــواي يتلاعـب بي كما السعفــة في مهب الريح، لسـت أملك ما أدفعُ به عني شر ذلك إلا رحمتك وإعانتك لي على نفسي ولا تكلني إليها طرفة عين أبداً في الدنيا ولا في الآخرة فإنك إن وكلتني إلى نفسي هلكت ولا حول ولا قوة إلا بك لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت من الظالمين.

## اعتبارات الغيب:

- الذات البات غيب مطلـق لا يدرك أبداً الطريق إليها مسدود والطلـب مردود لعـدم وجـود المناسبة بين الخالـق والمخلوق وبين الذات والممكنــات وهي -أي المناسبة- آلــة الإدراك والمعرفة، فلا يصـل إلى ذاته سبحانــه إدراك مخلوق مهما سمــا وارتقى فإنما

تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها، سيد الخلق في ذلك والنملة سواء.

- الذات البات ليس فيها غيب فالكل حاضر عنده سبحانه في أماكن وجوده وأزمنة حدوده لا في ذاته المقدسة فهو تبارك وتعالى يعلم بعلمه الذاتي الأشياء ولكن في حدود خلقها لا في ذاته إذ ليس في رتبة ذاته شيء حتى يعلمه في ذاته، فليس في الذات إلا الذات، فالعلم الذاتي هو ذاته سبحانه لا سبيل إلى إدراكه بوجه من الوجوه لا إجمالاً ولا تفصيلاً إذ ليس فيها إجمال وتفصيل، وأما هو سبحانه فيعلم الأشياء كلها إجمالها وتفصيلها صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها قال تعالى ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[1]، لا يقال إنه سبحانه لا يعلم أن له شريكاً كما ذكر جلت قدرته في كتابه الكريم في قوله عز وجل ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾[2]، لأنا نقول أن شريك

(١) سورة سبأ: آية ٣.

(٢) سورة الرعد: آية ٣٣.

البـاري ممتنع فـإذا كان الموضـوع ممتنعاً ذاتـاً كان الحكم عليه بالمعلوميـة ممتنعاً أيضاً، لما دلّت عليـه الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة وروايـات أهل البيت عليهم السلام من ضرورة أن يكـون الخالـق واحـداً ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، وقـول أمـير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسـن «**لو كان لربـك شريك لأتتـك رسلـه ولرأيت آثار ملكه وسلطانـه**»، ولما ثبت في الحكمة من أن الموجد والباري يجب أن يكون واحداً لكون الكثرة مستلزمة للتركيـب لأن الكثرة تقتضي الاشتراك فيحتاج إلى ما به الامتياز، ولأن الإثنينية لا تتحقـق إلا في المحدود فيستلزم تركيبه من جهة ذاتـه وحدّه، لا يقـال أيضاً لم لا يجوز أن يكون فـي الوجود إلهان مستقـلان كل واحـد منهما ممتـاز عن الآخر بذاتـه لا بأمر زائد وإطـلاق الموجوديـة والوجـوب والقدم يكـون عليهمـا بالعرض لا بالـذات، كالماشي بالنسبة إلى الحيـوان والإنسان مثلاً، لأنا نقول إن الأمـر العرضي خـارج عن الذات يقيناً إذ لـو كان داخلاً لكان ذاتيـاً لها، فالعرضي غير الذاتي البتة، فلو فرضنا إطلاق الوجود والوجـوب عليهمـا بالعرض لزم أن لا يكونـا موجودين ولا واجبين

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٢.

فــي حقيقة ذاتهما، وإذا لم يكونا موجودين كانا معدومين وإذا لم يكونا واجبين لكانا حادثـين، فرجعنا إلى إثبات واجب قديم يكون وجوبـه عين ذاتـه وغناه عين وجـوده، وإن كان الوجـوب والوجود ذاتيـين لهما فيلزم المحذور أعني التركيـب مما به الاشتراك وما بـه الامتياز، وقد قام الدليل على أن كل مركب حادث، إضافة إلى أن انتـزاع مفهوم واحد من مصداقين متباينين متخالفين بالذات يمتنـع عند حكـم العقل، كما يمتنع انتـزاع مفهومين من مصداق واحد بسيط ليس فيه جهات التركيب[1].

وأزيدك بياناً بأن الوجود الذهني ليس وجوداً مستقلاً كما ذهب إليـه البعض بل وحملوا عليـه أحكاماً خاصة كالامتناع وغيره، لأن الوجـود الذهني وجود ظلي شبحي للوجـود الخارجي، وأن الممتنع كشريـك البـاري إذا وجـد فــي الذهن فـلا يكون ممتنعـاً بل هو ممكـن فـإن كان موجوداً فــي الذهن كذبت القضيـة وإن لم يكن موجـوداً بطل الحمل وإن كان باعتبار الخـارج في الامتناع فليس فــي الخارج ممتنع، ولـو سلّم فيه امتناع لم يكـن موضوعاً مع أنا قــد بيّنا أن في الذهن لا يكون إلا انتزاعيــاً، وأن الانتزاعي ظل لا

(١) المخازن واللمعات، ميرزا حسن كَوهر: ص٨.

يتقـوم إلا بـذات في الخارج الـذي هو ذو الظل، فيكـون الشريك ممكناً، ولو سلمنـا أن ما في الذهن مستقل فهو ممكن لا ممتنع، وكذا حمل ما هو اعتبـاري عدمي على موجود يرتبون عليه أحكام وجودية خارجية[1]، فثبـت إذن أنه ليس هناك غيب أبداً بالنسبة إلى الله تبارك وتعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[2].

الخلق ليسوا جميعاً في رتبة واحدة بل هم متفاوتون قرباً وبعداً بحسـب صفاء قابلياتهم وبحسب قبولهم التكليف، فصار بعضهم سببـاً لوجود البعض الآخـر، وهذا الأمر سارٍ فـي جميع سلاسل الوجـود الطولية الثمانية بدءاً من الحقيقة المحمدية في قمة هذه السلسلـة الوجودية ثم حقائق الأنبياء ثم مؤمنو الإنس ثم الملائكة ثـم مؤمنو الجن ثـم الحيوانات ثم النباتات ثـم الجمادات بحيث صارت كل رتبة متأخرة مخلوقة من شعاع الرتبة المتقدمة وفاضل نورها، ونقصد بالشعاع ظهور العالي للسافل بفعله وأثره لا بذاته، فيكون السافل معدوماً في رتبة العالي لا يصل إلى رتبته أبداً مهما

(١) شرح المشاعر: الطبعة الحجرية، ص٢١.

(٢) سورة المجادلة: آية ٧.

ترقى وعلا إذ أن ذلك إنما يكون في حدود رتبته ومقامه (وما منا إلا لـه مقام معلـوم)، وما دام الأمر كذلك فيكـون صاحب الرتبة العاليـة غيباً لا يدرك ذاتاً بالنسبـة إلى صاحب الرتبة السفلى لا يعلم منه إلا ما ظهر له به، وما ظهر له به هو أسفل درجات المرتبة الأعلى منهـا، فيعلم حينئذ أن مرتبـة النباتات هي غيب لا يدرك أبـداً بالنسبة لمرتبة الجماد، ومرتبة الحيوانات هي غيب لا يدرك أبداً بالنسبة للنباتات، ومرتبة مؤمنو الجن هي غيب لا يدرك أبداً بالنسبـة للحيوانـات، ومرتبة الملائكة هي غيـب لا يدرك بالنسبة لمؤمنـي الجن، ومرتبة مؤمنـي الإنس هي غيب لا يـدرك بالنسبة للملائكـة، ومرتبة الأنبياء هي غيب لا يـدرك بالنسبة إلى مؤمني الإنـس، ومرتبة الحقيقة المحمدية هي غيب لا يدرك أبداً بالنسبة لحقائق الأنبياء، فـكل مرتبة سوى مرتبة الحقيقة المحمدية تكون غيباً لما تحتها ومعلومـة لما فوقها، إلا المرتبة العليا مرتبة الحقيقة المحمديـة بقسميها الإجمـالي والتفصيلي فلما كانـت ليس فوقها مرتبـة إذ أنها نور الأنـوار الذي تشعشعت منه باقـي الأنوار وأول حـادث بفعل الله وهي المشيئـة، كانت رغم حدوثهـا وخلقها غيباً مطلقـاً لا يدرك أبداً بالنسبة إلى باقي مراتب الوجود جميعاً، فلا يعلـم حقيقتهم صلـوات الله عليهم إلا هم «**يا علـي ما عرفني إلا**

**الله وأنت وما عرفك إلا الله وأنا**»، لأن اللّه جلت عظمته أشهدهم خلق أنفسهم وخلق السموات والأرض كما هو مفهوم الآية المباركة ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾[1]، ومـا دلـت عليه الأدلـة العقلية والنقلية مـن أنهم العلل الأربـع لجميع الخلق الفاعليـة والمادية والصورية والغائيـة وأن كل الخلق إنما وجدوا من شعاع أنوارهم صلوات الله عليهـم أجمعين ولذا ورد عـن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قوله «**ظاهـري إمامـة وباطني غيب منيع لا يـدرك**» وقوله عليه السلام في حديـث النورانيـة: «**يا أبـا ذر أنا عبـدالله عز وجـل وخليفته على عبـاده، لا تجعلونـا أربابـاً وقولوا فـي فضلنا ما شئتـم فإنكم لا تبلغون كنه ما فينا ولا نهايته، فإن الله عز وجل قد أعطانا أكبر وأعظـم ممـا يصفـه واصفكم أو يخطر علـى قلب أحدكـم، فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون**»[2].

وأنّـى للأثر أن يصـل إلى رتبة مؤثره والمعلول أن يصل إلى رتبة علتـه وقد قـال أمير المؤمـنين عليه السلام: «**انتهـى المخلـوق إلى مثله والجأه الطلب إلى شكله**»، ومثاله الكتابة فإن مبدأها ليس حركة

(١) سورة الكهف: آية ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ج٢، ص٢٦.

يد الكاتب ولا الكاتب وإنما مبدأها هيئة حركة يد الكاتب فإنها وإن كانت موافقة لحركة يـد الكاتب إلا أن مادتها من المداد وصورتها مـن هيئة تشكله بالحروف المختلفة، فـلا يرجع المفعول إلى الفعل أبـداً ولا ينتهي إليه وإنما يعود إلى أثـر الفعل، فتكون غاية الممكن ممكنـة وغاية الحادث حادثـة، وكذلك الحال في صـورة المقابل المنعكسـة عنه في المرآة فـإن مبدأها ليس هـو المقابل ولا صورته المتصلـة بل صورتـه المنفصلة عـن المتصلة والمشرقـة على المرآة فيكـون مـادة الصورة في المـرآة إشراق صورة المقابـل المنفصلة عـن المتصلة وصورتـه هيئة المرآة من صفاء وكـدورة وصغر وكبر واستقامـة واعوجاج وهكذا، ومـن هنا فقد عبّر البـاري سبحانه وتعالى عـن هذه الحقيقة المحمدية بالغيب بل ونسبها إليه تكريماً وتشريفـاً وصـرح بأنهـا عصيـة الإدراك والتنـاول إلا عنـه جلت عظمتـه وعنهم لكونهم أشهدهـم خلق أنفسهم كمـا ذكرنا فقال تعالى ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[١]، فانظر كيف نسـب الضمير في قوله (غيبه) إليه تعـالى ولم يقل غيبكم أو غيبهم للدلالـة على أنه غيب مختص به

(١) سورة الجن: آية ٢٦-٢٧.

سبحانـه كما قال عـز من قائـل ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾ وقال في الحديـث القدسي «**خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك**»، ومن كان هذا حاله فيكف يكون للخلق طريق إلى إدراكه أو معرفة أدنى مـا خصهم الله به من مظاهر كرامته لهـم وتفضيلهم على خلقه جميعـاً وجعلهـم بالمحل الذي لا يلحقـه لاحق ولا يفوقـه فائق ولا يسبقه سابق ولا يطمع في إدراكه طامع.

بعـد أن عرفنـا أن ذواتهم وحقائقهم صلـوات الله عليهم غيب مطلـق بالنسبة إلى باقي الخلق لا يمكن حتى تصورها وتعقلها لأن العقـل إنما خلق من شعاع أنوارهم ولا يلحق الأثر المؤثر أبداً مهما عـلا، نود أن نحيطـك علماً الآن بمدى غيبهم هـم عليهم السلام وعلمهـم بالأشيـاء فنقول أن (المـراد من الغيـب بالنسبة لهم هو مـا لم يلبس حلة عالم الكون وهو بعـد معدوم العين وبعبارة أخرى مـا لم يخـرج من عالم الإمـكان إلى الكـون ولم تتعلق بـه المشيئة الكونيـة، وهو بعد في العمق الأكـبر وهو خزانة الإمكان، وهذا هو الغيب الـذي يقولون عليهم السلام أنهـم لا يعلمونه، ولا يحيطون بـه ولا يحيط بـه إلا الله، والمراد من قولنا أنهـم لا يعلمون ما في الإمكان أي لا يعلمونها بالعلم الكوني لا مطلقاً، بل يعلمونها بالعلم الإمكاني للـزوم المطابقة بين العلم والمعلوم فإذا كان المعلوم كونياً

كان العلـم به كونياً أيضـاً لتحصل المطابقة وفــي المقابل إذا كان المعلوم إمكانياً كان العلم به إمكانياً، ولا يمكن أن يكون العلم كونياً والمعلـوم إمكانياً وبالعكس، نعم لا يحيطـون بالإمكانيات كإحاطة علمهـم بالمكونات كما هو صريح قوله عز من قائل ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، لأن ما دخل في عرصة عالم الكون وتعلقـت بإيجاده المشيئة الكونية، فعلمهم محيط بها يعلمونها علم حضور وشهـود وإحاطة، إذ لا تتعلق بشــيء إلا ويظهر بواسطتهم وعلـى يدهم، لأنهم محال مشيئة الله وألسنــة إرادته، فالغيب هو المعلومات الإمكانية التي لا يحيطون بها إلا بإخبار الله سبحانه أنها ستكـون كذا وكذا، وهي معدومــة العين مشروطة الوقوع، لم تدخل إلي الكون إلا بتعلق المشيئة الكونية بإيجادها كوناً وعلى هذا المقام تحمل الآية الشريفة ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وقوله عليه السلام: «**لو لم نـزدد لنفد ما عندنا**»، فثبت أنهم عليهم السلام عالمون بجميع ما ذرأ وبرأ من الموجودات والمخلوقات الكلي منها والجزئي والجوهر والعرض والـذات والصفة بطور الإحاطة والحضـور والعيان كما قلنا لا بطـور الإخبار والحصـول والالتفات بطرق عديـدة وأنواع مختلفة وأطوار متشتتة)[1] .

(١) كتاب إحقاق الحق، ميرزا موسى الاحقاقي: ص٥٤٥.

ولزيادة البيـان نقول إن علوم المعصومـين الأربعة عشر عليهم السلام على ثلاثة أقسام:

**<u>القسـم الأول:</u>** ما هـو مختص بمحمد وعلـي عليهما السلام، وليس لغيرهما حتـى لأولادهما الطاهرين شراكـة لهما فيه، وهو العلـم بكنـه كل منهما وحقيقتـه، فلا يعرفهما كنـه معرفتهما ولا يـدرك حقيقتهما إلا هما، كما هـو صريح الخبر النبوي الشريف: «**لا يعرفـك يـا علـي إلا الله وأنـا، ولا يعرفنـي إلا الله وأنـت، ولا يعرف الله إلا أنا وأنت**»، فهو صريح في أنه لا يعرف علياً أحدٌ من الأئمـة والأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين إلا الله ومحمد صلى الله عليه وآله، وكذلك لا يعرف محمداً صلى الله عليه وآله أحد منهم إلا الله عز وجل وعلي عليه السلام وذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله في مقام الإجمال وأمير المؤمنين صلوات الله عليه في مقام التفصيل تماماً كالعرش والكرسي والنقطة والألف ولا يعـرف مقـام الإجمال إلا مقام التفصيـل، ولا يظهر في مقام التفصيل إلا ما هو في مقام الإجمال وبعبارة أخرى: التفصيل هو لسـان الإجمال وترجمانه وشرحه ومرآتـه، ولا يدرك الإجمال ما هـو عليه إلا ويظهر في مقام التفصيل تفصيله، ومن هنا تعلم أن معرفتما بكنههما وحقيقتهما صلى الله عليهما غيب حتى بالنسبة إلى أولادهما الطاهرين والأئمة المعصومين عليهم السلام.

**القسم الثاني:** من علومهم فهو ما اختص بالمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وليس لغيرهم من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين فيه حظ ولا نصيب، ولا يتمكن من حمل ذلك العلم غيرهم، وكل واحد من الأربعة عشر في ذلك على حد سواء، وعلى هذا المقام تحمل الأخبار الدالة على أنه لا يحتمل حديثهم نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وهذا القسم هو معرفة ذواتهم وحقايقهم، وهي السر الذي اختص بهم دون غيرهم، ولا يطلع عليه إلا هم عليهم السلام.

**القسم الثالث:** هو ما يجوز أن يظهروه من علومهم للخلق مما يحتاجون إليه، فهم عليهم السلام في ذلك على شرع سواء، وفي هذا المقام ورد ما في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «**ليس يخرج شيء من عند الله حتى تبدو من رسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأمير المؤمنين ثم بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا**»، وهذا أيضاً على أقسام: قسم يحتمله نبي مرسل وملك مقرب ومؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وهو معرفة صفاتهم ومقاماتهم، وقسم يحتمله العلماء والكاملون وهو معرفة أفعالهم وحركاتهم، وقسم يحتمله عموم الخلق وهو أوامرهم ونواهيهم.

وبالجملـة فالأشيـاء المحتومـة سـواء كانـت إمكانيـة أو كونية يعلمونها كلها، غاية ما في الأمر أن الأشياء الكونية يعلمونها بطور الإحاطـة والعيان، وأما الأشيـاء الإمكانية -وكلامنا عن المحتومة هنـا- أي التي حتم الله دخولهـا في الكون فيعلمونها ولكن لا على سبيـل الإحاطـة والعيـان كما في الكونيـة بل على سبيـل الإخبار إذ لم تتعلـق المشيئة بعد بإيجادها الكـوني حتى تظهر بواسطتهم ويحيطـون بها، وإذا لم يكن الإمكاني مـن المحتومات بل كان مما هو مشروط بشرط أو موقوف على شيء فإن أرادوا علمه سألوا الله فعلمهم، وعلى هذا المقام تحمل الأخبار الواردة بأن الإمام إذا أراد أن يعلـم شيئاً أعلمه الله ذلك وهـذا المقام هو مورد ازديادهم آناً بعد آن ولولاه لنفد ما عندهم وهو هذه الأمور الممكنة غير المحتومة الداخلـة من الإمكان إلى الكون تدريجياً شيئاً بعد شيء وأمراً بعد أمر، وهي علم لا غاية له ولا نهاية وبحر لا ينفد لا ساحل له، والعمق الأكبر المنزجر بجبروت الله وعزته، فلو أخبر الله سبحانه أنبياءه أو الخلـق على لسان أوليائـه بشيء من هذا العـالم -عالم الغيب الإمـكاني- ليس له مانع منه ولكن لم يحتـم وقوعه ولم يجر عليه قلـم الإمضاء كما قلنا، بل هو مشروط بشـرط من عالم الشهادة

الذي هو مانع من وقوعه، ولم يقع ذلك الشيء لا يلزم في هذه الصورة خلاف الحكمة وتكذيب الأنبياء، إذ هم عليهم السلام أيضاً أخبروا عن اللّه سبحانه بذلك المانع كالدعاء مثلاً أنه يدفع البلاء، والصدقة وصلة الرحم يطولان العمر، فإن أخبروا في هذه الصورة بشيء ووقع صدق اللّه ورسوله، وإن أخبروا لم يقع للمانع الظاهري كالدعاء والصدقة والصلة ونحوها أيضاً صدق اللّه ورسوله[١].

وإليك هذا الرسم التوضيحي لتقسيم علومهم صلوات اللّه عليهم لتسهيل الفهم والإدراك:

(١) كتاب إحقاق الحق، ميرزا موسى الحائري: من ص ٥٦٩ -٥٨١.

# علم الأئمة عليهم السلام

## ١- علم إمكاني

### محتوم

- يعلمونه علم إخبار لأنه مشاء بنفسه، لا علم إحاطة وعيان.
- لا يجري فيه البداء.

### غير محتوم

- مشروط وموقوف لم يجر عليه قلم الإمضاء.
- قابل للتغيير والتبديل والمحو والإثبات.
- محل طلب المدد والزيادة.
- يعلمونه علم سؤال واستزادة من الله إذا أرادوا فيعلّمهم.
- يجري فيه البداء.

## ٢- علم كوني

### منجز

- محتوم ليس فيه شرط.
- يعلمونه علم إحاطة وحضور وعيان.
- لا يجري فيه البداء.

### مشروط

- ليس فيه شرط غيبي بل موقوف على مانع وشرط ظاهري شهودي.
- يعلمونه علم إحاطة لأنه مشاء، ولكن لا يحيطون بشرطه إلا بعد أن يكون مشاء.
- يجري فيه البداء.

### ما كان

- يحطيون به أنه كان ولا يحيطون به أنه مستمر أو منقطع إلا إحاطة إخبار.

### لم يكن

- يحيطون به إحاطة إخبار لا إحاطة عيان.

## الغيب النسبي:

هو الغيب الذي يكون بالنسبة إلى الإنسان لا على سبيل الإطلاق كمـا فـي معرفة الـذات البات أو حقائق المعصومـين الأربعة عشر عليهـم السلام، بل هو الغيـب الذي يتفاوت إمـكان الإطلاع عليه بحسب الظروف والمعطيات والحيثيات والأفراد والأزمان والأمكنة وغيرهـا، فقد يكون غيباً بالنسبة لإنسـان ولا يكون كذلك لإنسان آخـر، أو يكون غيباً فـي زمان دون زمان، ولا يستحيل الإطلاع على هذا القيم من الغيب إذا توفرت الأسباب والأدوات اللازمة لذلك، ولهذا الغيب وجهان:

- **الوجـه الأول:** تحـول الغيـب إلى عيـان: ومثالـه أن أذن الإنسـان غير قادرة على التقاط الأصوات التي تقل عدد ذبذباتها (اهتزازاتهـا) عن (٢٠) اهتزازة فـي الثانية (دون سمعية)، ولا تلـك التي تزيـد اهتزازاتها عـن (٢٥٠٠٠) اهتزازة فـي الثانية (فوق سمعية)، في حين تستطيع كثير من الحيوانات سماع معظم تلك الأصوات وتمييزها فتكون هذه الأصوات بالنسبة إلى الإنسان غيبـاً ولا تكون بالنسبـة إلى تلك الحيوانات غيباً كما هو واضح بل هو ظاهر عيان عندها، ولكن بواسطة استعمال الأدوات والأجهزة

المخصوصــة والتي تستطيع تضخيم سمع الإنســان، فإنه يستطيع حينئــذ سماع هذه الاهتزازات التي كانت بالنسبة إليه سابقاً غيباً فتصبح الآن عنده عياناً.

وكذلــك الحــال بالنسبة لمن هــو في داخل الدار مثــلاً يكون ما فــي خارجها غيباً بالنسبة لــه، وبالعكس من هو خارج الدار يكون مــا في داخلها غيباً بالنسبة له، فإذا عكسنا وضعيهما تحول غيب كل واحــد منهما إلى شهود وعيان، ومن ذلــك أيضاً رؤية الملائكة عنــد الاحتضار بعد كونها غيباً لقوله تبارك وتعالى ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، وقولــه جلت عظمته فــي رؤية الأعمال وتجسمهــا في يوم الحساب بعد أن كانت غيباً ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقولــه سبحانــه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، ومن لطائق الغيب الذي يراه المؤمنون عياناً في يوم القيامة هو كرامتهم على الله ومنزلتهم عنده وعند أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين بعد أن يؤمر بهم إلى الجنة بشفاعة الزهراء سيدة نســاء العالمين صلوات الله وسلامه عليها «**فإذا صار شيعتها معها عنــد بــاب الجنة يلقــي الله في قلوبهــم أن يلتفتوا فــإذا التفتوا،**

**فيقـول الله عزوجـل: يـا أحبائي مـا التفاتكم وقـد شفعت فيكم فاطمـة بنـت حبيبـي، فيقولـون: يـا رب أحببنا أن يعـرف قدرنا فـي مثل هـذا اليوم فيقول الله: يا أحبائـي ارجعوا وانظروا من أحبكـم لحب فاطمة، انظروا مـن أطعمكم لحب فاطمة، انظروا مـن كساكـم لحـب فاطمـة، انظروا مـن سقاكـم شربـة في حب فاطمـة، انظـروا مـن رد عنكم غيبة في حب فاطمـة خذوا بيده وادخلـوه الجنة»**[1]، فانظر كيف صار قدرهم وكرامتهم المجهولة عندهـم وعند الناس حاضرة عيانـاً في ذلك اليوم، اللهم اجعلنا من شيعتها ومحبيها يا أرحم الراحمين.

**الوجـه الثـاني:** تحـول العيـان والشهـود إلى غيـب: نعـم قد يتحول العيان الذي يكون معلومـاً وحاضراً لدى الإنسان إلى غيب بالنسبة إليه في بعض الحالات ووفقاً لمختلف الظروف والمعطيات والحيثيات، مثال ذلـك أن نظر الإنسان وبصره في مراحل عمره المبكـرة يكون قويـاً ونافذاً وحاداً بحيث تكـون الأشياء التي يراها مـن العيـان عنده، حتـى إذا تقدم بـه السن وبلغ مـن العمر عتياً وأخـذت منه الأيـام مأخذهـا واستولت عليه الأمراض والأوجاع

(١) تفسير فرات بن إبراهيم.

ضعـف بصره وربما فقده فتصبح الأشيـاء التي كانت عنده عياناً فيمـا مضى غيباً من الغيـوب، وكذلك الحال بالنسبة إلى ذاكرته وفكره، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[1]، ومثـال آخر أسوقه إليك وهو أن الإنسان في حالة إقباله على الله وتوجهه إليه والتزامه بأوامره وطاعاته واجتناب نواهيه ومعصيته، يصبح قلبه نورانيـاً وتنفتح أمامه آفاق العلـم والحكمة بحيث يوفق لعلم مـا يخفى على غيره ممن لم يتلبسـ مثله بهذه الحالة، فيصير ما يعلمه عياناً لديه واضحاً عنده ما دام على عهده هذا مع الله جلت عظمتـه وأهل البيت عليهم السلام، قال إمامنا الباقر عليه السلام: «**ما من عبد أحبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا، وسئل مسألة إلا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة**»، وقال الشاعر:

**إنارة العقل مكسوف بطوع هوى    وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا**

ولكـن إذا خـان هـذا الإنسان الأمانـة وأخلف الوعـد وأعرض بوجهـه وقلبـه عـن الله سبحانـه واستمر علـى هـذا، سلبت منه حالـة النورانيـة في القلب والتوفيـق والتأييد الإلهـي شيئاً فشيئاً

(١) سورة النحل: آية ٧٠.

حتـى تتحـول إلى سواد وظلمة تغشى القلـب فتمنعه من تلقي تلك التأييـدات والإشراقات الإلهية وتمحى عنه تلـك العلوم التي كان يألفهـا فيما مضـى وتصبـح بالنسبـة إليه جهلاً وغيبـاً بعد أن كانـت عيانـاً وشهـوداً، قـال تعـالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1]، أي يسلبوا الفهم وينسون ما فقهوا من قبل.

(١) سورة التوبة: آية ٨٧.

# كلمة في الزهراء عليها السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

للزهراء صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها فضائل كثيرة لا تعد ولا تحصى، فهي الأنسية الحوراء التي عقدت نطفتها من جنان الخلد، وهي الصديقة الكبرى التي على معرفتها دارت القرون الأولى، وهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فاطمة بضعة مني، من سرها فقد سرني ومن ساءها فقد ساءني، فاطمة أعز الناس إلي**».

وكانت عليها السلام إذا دخلت على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قام لها من مجلسه وقبل رأسها وأجلسها مجلسه، ويكفي في مقامها العظيم ومنزلتها الرفيعة أن الله تعالى اختصها من بين نساء العالمين بآية التطهير وآية المباهلة وسورة الدهر وسورة الكوثر إلى غير ذلك من السور والآيات المنبئة عن عظم قدرها وخطير منزلتها عند الله عز وجل، بعد أن جعلها ابنة خاتم المرسلين وخير النبيين وزوجة ولي الله أمير المؤمنين ووالدة الأئمة الطاهرين والحجج على الناس أجمعين، فكانت هي الحجة على الأئمة الطاهرين عليهم السلام

كما قال الإمام العسكري عليه السلام: «**وهي حجة علينا**»، وقال الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف: «**وفي إبنة رسول الله** صلى الله عليه وآله **لي أسوة حسنة**»، وقال الإمام الحسين عليه السلام: «**أمي خير مني**»، مما يتضح معه أفضليتها على الأنبياء والمرسلين كافة باستثناء الرسول صلى الله عليه وآله كما دلت عليه الأخبار والروايات أن الأنبياء خلقوا من شعاع أنوارهم فهم علة الوجود وحجة المعبود وبهذا يكون لها عليها السلام الولاية التكوينية والتشريعية وكذلك سائر أهل البيت عليهم السلام إذ كانت بضعة النبي صلى الله عليه وآله والبضعة تشمل المادية والمعنوية، وإذا كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة، ومنها قول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «**إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين**»، ويكفيك دليلاً على ولايتها التكوينية أن الله سبحانه خلق السموات والأرض من نورها فأزهرت من سناها المشارق والمغارب، وأنها عليها السلام عندما همت بالدعاء على القوم ارتفعت حيطان المسجد حتى لو أراد الرجل أن ينفذ من تحتها لفعل، وأما ولايتها التشريعية فحسبك قول

الإمام الصادق عليه السلام: «**نحن حجة الله على الخلق وأمنا حجة علينا**»، وما رواه الشيخ الكليني عن محمد بن سنان قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: «**يا محمد، إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة صلوات الله عليهم فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوض أمورها إليهم، فهم يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى**».

وفي الختام أنظم هذه الأبيات لعلها تحظى بقبولها عليها السلام:

**يا فاطم الخير يا سر الحياة**
**ومن في طي أعماقها قد ضمت العلل**
**يا فاطم الخير من رام النجاة غدا**
**من دون حبكم لم ينجه العمل**
**حبي رهين وقلبي قد أنيط بكم**
**من سالف الدهر لا زيغ ولا زلل**
**أغشى مصائب دهري فيك مبتسما**
**حتى كان لظاها الشهد والعسل**
**يا نسمة الفجر في قلب المنيب ويا**
**عطر الرياحين في الأجواء تنتقل**

يا صرخة الحق في سمع الزمان إذا

مـا شـابـه أبــدا فــي سـمـعـه خلل

يا بلسم الـروح مـدّي نحو عبدكم

كـف الحـيـاة فـيـغـدو كـلـه أمـل

يا رب لا تقصني عن سـادتـي أبـد

فليس لي عنهم طـول المـدى حول

# من نور فاطمة الزهراء عليها السلام

عن الرضا عليه السلام قال: «**كانت فاطمة عليها السلام إذا طلع هلال شهر رمضان يغلب نورها الهلال ويخفى فإذا غابت عنه ظهر**»[1].

ولدت السيدة الطاهرة الصديقة الكبرى والإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام في السنة الخامسة من المبعث النبوي الشريف، واستشهدت في السنة العاشرة للهجرة بعد رحيل والدها الرؤوف صلى الله عليه وآله بخمسة وسبعين يوماً على إحدى الروايات، فيكون عمرها الشريف عند استشهادها ثمانية عشر ربيعاً وما بين ولادتها وبين رحيلها في هذه السن المبكرة عاشت الزهراء عليها السلام حياة مثيرة زاخرة بالأحداث المفرحة لقلبها تارة والمفجعة له تارة أخرى.

عاشت حياة طيبة هانئة في كنف والدها العطوف الذي كان يكلؤها برعايته، ويحوطها بعنايته ويسبغ عليها من شآبيب المودة والرحمة ما يملؤ قلبها غبطة وسروراً ويبعث في نفسها شعوراً متنامياً بالعزة والأنفة المستمدة من عزة النبوة وكبريائها، وترى والدها يجري أمامها طقوس التعظيم والإجلال في غير موضع،

(١) صحيفة الأبرار: ٢/٦٠١.

فيقــوم احتراماً لها تارة، ويقبــل يدها تارة، ويضمهــا إلى صدره ويشمهــا تارة، ويستأذن قبل الدخول عليهــا في دارها تارة أخرى وهو يقول: «**فاطمة روحي التي بين جنبي**» ويقول: «**فاطمة بضعة منــي مــن آذاهــا فقــد آذاني ومــن آذاني فقــد آذى الله**» فتجيبــه الطاهــرة: «**إن البيت بيتك، والحرة ابنتــك**» **فيقول**: «**يا فاطمة، إن الله أمرني بذلك**».

وما زال النبي صلى الله عليه وآله في كل موقف وقفه، وفي كل منزل نزله يكرم شأنهــا ويعظم أمرها ويقدس وجودها المبــارك أمام الأشهاد، ولا غــرو في ذلك فإن عظمتها عليها السلام لا تستمد من كونها ابنة النبي المختــار كما ذهب إليه بعض من لا تبصر له في الأخبار، وإن كان لهــا في ذلــك العز والفخر، فكم من ولد لنبــي شقى بكفره وهلك بجحوده لم تغن عنه بنوته لأبيه شيئاً ولم تشفع له عند الله، ولكنها والله قداسة ذاتية وطهارة إلهية، وعصمة أبدية، فهي علة الوجود وحجــة المعبــود أشرقت من فيضهــا الأنوار، وأزهــرت من سناها المشــارق والمغــارب، فهذا ابن مسعــود يروي عــن رسول الله صلى الله عليه وآله قولــه: «**يا ابن مسعود إن الله تعــالى خلقني، وخلق علياً والحسن والحسين مــن نور قدســه، فلمــا أراد أن ينشئ خلقــه فتق نوري وخلــق منه السمــاوات والأرض، وأنا -والله- أجــلّ من السماوات**

**والأرض، وفتق نور عليّ وخلق منه العرش والكرسي، وعليّ -والله- أجلّ من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن وخلق منه الحور العين والملائكة، والحسن -والله- أجلّ من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين وخلق منه اللوح والقلم، والحسين -والله- أجلّ من اللوح والقلم. فعند ذلك أظلمت المشارق والمغارب، فضجت الملائكة، وثارت: يا إلهنا وسيدنا، بحق الأشباح التي خلقتها إلا ما فرجت عنا هذه الظلمة، فعند ذلك تكلم الله بكلمة أخري فخلق منها روحاً فاحتمل النور الروح فخلق منه الزهراء فاطمة، فأقامها أمام العرش فأزهرت المشارق والمغارب».**

وروت عائشة قائلة: «**كنا نخيط ونغزل وننظم الإبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة عليها السلام**».

ولعل في هذا السر العجيب دلالة عظيمة على جهل معظم الناس أمرها، وحطهم من قدرها، فإن النور إذا سرى في كل شيء للطافته وشموله، ألا ترى أن الشمس إذا طلعت لم يشعر أحد بنورها لسريانه في الأشياء وهيمنته على المخلوقات حتى إذا أدلج الليل وغشي الظلام فهنالك تحس بالنور المفقود وتشعر بمغيبه، ولما كانت الزهراء عليها السلام هي النور الأعظم والتجلي الأكبر وشمس الولاية الكلية السارية في جميع أنحاء الوجود لا يطفأ نورها ولا

يخبـو سناها، ومـن ثم لم يشعر الناس بهـا ولم يلتفتوا إليها لأنها نـور دائـم وضيـاء لازم، والخلق قد جبلـوا على معرفـة الأضداد بالأضـداد، ولما لم يكن لها ضد، وما كان لها ند عزت عن النظير، وجلت عن الإحاطة والتفسير، ولذا قال إمامنا الصادق عليه السلام في بيان علة تسميتهـا بفاطمة على أحد الوجوه: «**إنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها**».

ومن هنا ندرك السبب في تعرضها، وهي في هذه السن المبكرة للمصائـب العظيمة، والمآسي الجليلة المتتابعـة التي تفجع القلوب وتتصدع من هولها الجبال الرواسي من فقد والدها صلى الله عليه وآله وغصب بعلها حقه عليه السلام وحرق بيتها وكسر ضلعها وإسقاط جنينا ولطمها على وجهها حتى قالت عليها السلام:

**صبت علي مصائب لو أنها صبت على الأيام صرن لياليا**

فلـك الله سيدتي، ما أجلد قلبك، وما أعظم صبرك، وما أثبت جنانك عشـت صابرة، ورحلت حزينة مكروبة، فسلام عليك مني أبـداً مـا بقيت وبقـي الليل والنهـار حتى نلقاك غـداً في حظيرة القدس حين يجمع الله بيننا وبينكم في مستقر من الرحمة عنده إنه سميع مجيب.

# مظلومية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أشـرق فـي النصف من شهر رمضان نور الإمام المجتبى وسبط الرسول المصطفـى سيد شباب أهل الجنـة، مظهر الجود الإلهي ومحـل الفيوضات الربانية ويد الله الباسطـة بالخير والعطاء «**يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منـه ورحمـة**»، الملقب بكـريم أهل البيت عليهـم السلام، عاصر من المصائب والأحداث الجسام منذ نعومة أظفاره الشيء الكثير ممـا صدع قلبه الشريف ورأى من صور الظلم والاضطهاد علـى أهل بيته ما حمله على ركوب دابة الصبر والإشتمال بجلباب التؤدة والاحتمال.

فهـا أنت سيدي قـد شاهدت جدك المصطفـى صلى الله عليه وآله هذا النبي الرؤوف وهو يعالج سكرات الموت وقد وجه بنظراته الأخيرة إلى هذه الأمـة يوصيها بأهل بيته خـيرا وهو يتلو قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1]، وهـو يعلم ما يؤول إليه مصيركم أهـل البيت، أليس هو القائل: «**أنتـم المستضعفون من بعدي**»، ثم رأيـت القوم حـين هجموا على بـاب داركم وأشعلـوا الباب بالنار

(١) سورة الشورى: آية ٢٢.

وعصـروا أمك الزهراء بين الباب والجـدار وأنت تسمع صرختها واستغاثتهـا وأنينها وقد أسقطـت أخاك محسنـاً، واقتادوا أباك أمـير المؤمنين بحمائـل سيفه وأنت ترى حزنـه وانكساره وهو يتلو قوله تعـالى ﴿ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي﴾[1]، وغـدت أمك الحزينة بعدها ممددة علـى فراش علتها وقد لزمت جانباً واحداً لا تقدر علي التحول عنه كما يفعل باقى الناس عندما يتقلبـون على فرشهم يمنة ويسرة، أليس قد كسر ضلعها ولطمت عينها حتى ماتت مفجوعة كئيبة قد جهل قدرها وأخفي قبرها.

وتتواصـل أحزانك ومصائبك عندما يهـوي أبوك في المحراب شهيـداً بعـد أن خضـب اللعـين ابـن ملجم لحيتـه مـن دم رأسه وسمعتـه وهو يصيـح: «**فـزت ورب الكعبـة**» وسمعـت الهاتف بين السمـاء والأرض يقول: «**تهدمـت والله أركان الهـدى، وانفصمت العـروة الوثقى**»، وهـا هو معاوية وأزلام بني أمية يشمخون أنفهم ويرقون منبر جدك رسول الله وهم يشتمون علياً وينالون من أمك الزهـراء حتى شب على ذلك صغيرهم وشـاخ عليه كبيرهم، ولم يكتفـوا بذلك حتى أغروا بك أصحابـك وبعض قرابتك فجعلوهم

(١) سورة الأعراف: آية ١٥٠.

يسلمونـك عند النـزال ويخذلونك عنـد الوثبة ويغـدرون بك في ليلهم ونهارهم ويشرونـك بثمن بخس وكانوا فيك من الزاهدين، أليس هذا ابن عمك عبيد الله بن العباس الذي قد أغراه معاوية بـآلاف الدراهم والدنانير حتى أمالـه إلى معسكره وتركك وحيداً لا ناصر لك، أليس هذا عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي الذي نزع مطرفـك عن عاتقك حتى بقيـت جالساً متقلداً سيفك بغير رداء، أليس هـذا الجراح بن سنان الذي أخذ بلجـام فرسك وكان بيده مُغـول فطعنك في فخذك فشقـه حتى بلغ العظم، وأنت تسمع في كل ذلك كلاماً شديداً لاذعاً تعجز عن حمله الجبال الرواسي حين يتهمونك بأنك أشركت كما أشرك أبوك من قبل.

ولم تشف غلتهم وتطفأ ثائرتهم حتى دسوا إليك السم تارة بعد أخرى محاولين بذلك اغتيالك إلى أن سلطوا عليك زوجك المشؤوم جعدة بنـت الأشعث بن قيس التي جرعتك سـم المنية فهويت إلى فراشـك قد مـزق السم أمعاءك وجعلك تقـذف كبدك قطعة بعد قطعة.

وحتـى بعـد شهادتك وأنت محمول في نعشـك الغريب إلى قبر جدك الحبيب لتجدد به عهداً أظهروا لك أيضاً دخائل صدورهم،

وأبـرزوا لـك أحقادهـم وشرورهـم وصوبـوا إليك سهـام ظلمهم وبغيهـم حتى صاح صائحهـم: «**لا تدفنوا في بيتـي من لا أحب**» ثـم لم تكتفي هذه الدنيا منك سيدي بذلك كله حتى اتهمتك بأنك فرقت كلمة المسلمين وشتت جمعهـم وأضعفت عزيمتهم وأهرقت دماءهم وتخاذلت عـن القتال وجبنت عن النزال، واتهمتك بأنك مزواج مطلاق تنكح للشهوة وتطلق للنزوة قاتلهم الله أنى يؤفكون.

فلـك الله من إمام محتسب صابر، لـك الفخار يوم ولدت ويوم حييت كرياً ويوم استشهدت عزيزاً شامخاً ويوم ألحدت في قبرك غريبـاً مظلوماً، جمـع الله بيننا وبينكم ولا فـرق بيننا طرفة عين أبداً في الدنيا ولا في الآخرة.

وفي الختام أنظم هذه الأبيات لعلها تحظى بقبوله عليه السلام:

| | |
|---|---|
| **يممت دارك يابن بنت محمد** | **أرجـو نوالـك باكيـاً أتضـرع** |
| **أنت الغيـاث حباك ربك نعمة** | **خلقت حسـودا حاقداً يتقطع** |
| **هذي العوالم من سناك تشعشعت** | **وبفيـض بـرك دائمـاً تتمتـع** |
| **كـم كربـة فرجتهـا يـا سيدي** | **وملمة أضحت بوجهك تدفع** |
| **وبقبرك السامي برغم عداته** | **لاذت قلوب أوشكت تتصـدع** |
| **فاسمـع رعـاك الله مني نفثة** | **كادت وحقك للصدور تضعضع** |

مالـذ لي عيش وأنـت موسد | في لحدها وخلا بفقدك مربع
قـد كنـت للوفـاد أكـرم موئل | وتجود بالخيرات منك أصابع
الجود جودك يـا كريم فماله | بسوى حماك فدتك روحي مفزع
معنى الجمال بفيض حسنك بارز | يـا زهـرة الأكـوان أنـت المنبع
جد لي فديتك من علاك بنظرة | تذر النفوس بوسط فيضك تترع
تحدوا بنا الأيام نحو رحالكم | فهـي المـلاذ لـكل راج يطمـع

# الإمام الصادق عليه السلام مظهر العلم الإلهي

لما كان الإمام الصادق عليه السلام ومن قبله أبوه الإمام الباقر عليه السلام هما مظهرا العلم الإلهي والتجلي العلمي الرباني حيث ظهرت منهما العلوم الكثيرة ووسعا فيها ووضحا غامض أسرار شريعة سيد المرسلين وانتشرت بواسطتهما مختلف الفنون والآداب بشكل حير العقول والألباب وكان ذلك بحق دليلاً قاطعاً على إمامتهما وخلافتهما، فقد رأيت من المناسب في هذا المقام أن أتكلم بصورة موجزة عن علم الإمام وهيمنته العلمية وإحاطته بالمعلومات والممكنات.

فالحقيقة المحمدية لما كانت محل مشيئة الله ولسان إرادته أظهر الله سبحانه جميع ما شاء وأراد من الوجود وغيره من هذه الحقيقة، ولم يذق شيء من الممكنات صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها طعم الوجود إلا بهم ومنهم لقول الإمام الصادق عليه السلام: «**خلق الله الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها**»، فإذا كانوا هم محال المشية ظهر أنه لم يخلق الله شيئاً إلا وكان عندهم به علم إذ بواسطتهم وجد وعنهم ظهر، أليس الله أشهدهم خلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن لأنهم المتقدمون خلقاً ومن كان كذلك

علـم بالبداهة جميع ما جاء بعده في الخلق ولا عكس، وإذا علمنا أن أرواح الأنبيـاء وعقولهـم قد خلقت من فاضـل طينتهم وشعاع أجسادهم عليهـم السلام بحيث يدركـون بوجودهم الجسدي ما لا يدركـه الأنبياء بعقولهم وأرواحهم إذ كانت أنوار أجسادهم علة لعقول الأنبياء وأرواحهم والمعلول لا يصل إلى مقام علته مهما سما وارتفـع «**وما منا إلا له مقام معلـوم**»، فقد تبين أنهم هم المعلمون للأنبيـاء فـي جميع عصورهم وأزمنتهم ومراتبهم وهم المسددون لهـم في كل حين لأنهم عـين الله الناظرة ويده الباسطة، فكما أن الله سبحانه وتعالى يرى أعمال الخلائق في أزمنتها وحدودها ولا يغيـب عنه شيء فكذلك هم عليهـم السلام يرون أعمال الخلائق مـن الظاهر والخفـي والكلي والجزئـي والسر والعلانيـة في كل زمـان الماضي منه والحاضر والمستقبل فكل ذلك عندهم سواء إذ كان عند الله كذلك يرون الأشياء قبل وجودها وحين وجودها وبعد وجودها بنظر واحـد ويعلمونها بعلم واحد في أمكنتها وحدودها. كمـا أطلـع أمـير المؤمنـين عليه السلام بعضـ الأصحـاب علـى أحوال أصحاب الكهف عندمـا ردوا عليه السلام وكلموه ثم أرجعهم إلى مـا كانوا فيه، وكما أطلـع الإمام الحسـين عليه السلام أم سلمة وأراها مقتلـه ومذبحه الشريف ومضجعه ومكانه قبـل وقوع الواقعة فهم

يتعاملون مع الأشياء ضمن حدودها الواقعية الفعلية ولا يخضعهم الزمـان والمكان تحت حدوده لأنهم عليهم السلام قبل المكان وقبل الزمان إذ بهم وجدا ومنهم صدرا ولا يجري عليهم ما أجروه على الخلـق، فالأشياء حاضرة لديهم دائمـاً لا يعزب عنهم منها شيء وهـم يعلمونها علم إحاطة لا علم إخبار ألم يقل الإمام عليه السلام «**إن الدنيـا وما فيهـا كالدرهم في يد أحدكم يقلبـه كيف يشاء**»، ولا عجب في ذلك إذا علمنا أن الله تعالى تنزه عن مجانسة مخلوقاته وجل عن ملائمة كيفياته فالطريق إليه مسدود والطلب مردود ولا يباشـر الخلق إذ لا واسطـة بين الحق والخلق فوجـب بحكمته أن يخلق خلقاً كاملاً يجعله مظهر قدرته ولسان إرادته ويجعله واسطة بينه وبـين خلقه في إيصـال الفيوضات وتوزيـع المقدرات ويجعل جميـع ما يحتاج إليه الخلق عنده وفـي قبضته، وتحت نظره فإذا ثبـت أن الأئمـة عليهم السلام حجج الله علـى جميع ما ذرء وبرء وأن الحجـة لا تكون حجة إلا وأن يكون جميع المحجوجين بمحضره ومنظـره بحيث لا يغيب عنهم آناً واحداً ولا يحجبون عنه أبداً لزم أن يكـون علم الحجة بالخلـق علم حضور وإحاطـة وعيان لا علم روايـة وأخبار وذلك كما قال مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: «**وقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وما تحت السابعة السفلى**

**ومـا بينهمـا ومـا تحت الثرى كل ذلك علـم إحاطة لا علم أخبار، ولو شئتم لأخبرتكم بآبائكم أين كانوا وأين صاروا اليوم»**.

وأما ما ورد في بعض الأخبار من أنهم عليهم السلام لا يعلمون الغيـب ولا يحيطـون ببعض الأشيـاء فقد يكون ذلـك إما من باب التقية لوجود المخالفين والمنافقين وإما لنفيهم عليهم السلام علم الغيـب من تلقاء أنفسهم وأن ذلك إنما كان بتعليم الله واطلاعهم منـه سبحانه عليه ولولا أن الله تعالى يطلعهم في كل آن لم يعلموا ولذلـك قـال الإمـام عليه السلام: «**لـولا أننـا نـزداد لنفدنـا**»، وإما أن يكـون ذلـك من العلم الإمـكاني معدوم العين الـذي لم يلبس حلة الوجـود فإنهم عليهم السـلام لا يحيطون بـه لأن المشيئة الكونية لم تتعلـق به ولكنهم يعلمونـه بالعلم الإمكاني علـى جهة الإجمال كمـا إذا أخبرهم الله ببعض مقتضياته وأما إذا تعلقت به المشيئة الكونيـة فهـم يعلمونه ويحطيون به في جميـع تفصيلاته وحدوده لأنهـم محال المشيئة كما ذكر قبل ذلـك، وأما أن يكون ذلك لعدم صدور الأمر إلى الإمام بالكلام فلا يتكلم ولا يجيب لعدم حصول المصلحـة في ذلك فيظن الظـان بأن لا علم له بالمسألة ولا دراية، **«عـن أحمـد بن محمد عن أبي عبـدالله النوفلي عن القاسم عن**

**جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن مسألة أو سئل عنها فقال: إذا لقيت موسى فاسأله عنها قال فقلت: أو لا تعلمها قال: بلى، قلت: فأخبرني بها، قال: لم يؤذن لي في ذلك».**

واعلم أن العلم عين المعلوم، فلا يحصل العلم إلا بعد وجود المعلوم وحضوره لدى العالم أو حضور صورته في الذهن فما في الذهن هو فرع وظل لما في الخارج وكل ما يختزن في الذهن من صور وانعكاسات إنما هو مقتبس من الخارج فأنت إذا أردت أن تتصور شيئاً لا تستطيع أن تتصور لا وجود له في الخارج إذ أن مادة الوجود الذهني هي ظل الوجود الخارجي وانعكاسه فتصورك للشجرة مأخوذ من الشجرة الموجودة في الخارج وتصورك للبيت مأخوذ من البيت الموجود في الخارج وهكذا وعلى هذا فالوجود الخارجي سابق ومقدم وهو أصل للوجود الذهني هذا في غير حالة الإمام وأما بالنسبة إلي الإمام فالأمر يختلف إذ أن ذهنه المقدس الذي هو عقل الكل يكون أصلاً للوجود الخارجي وما عداه فرع عليه فيكفي أن يتصور الإمام الشيء في ذهنه الشريف حتى يتحقق وجوده في الخارج وذلك كما حصل في قضية المهرج الذي أخذ يتهكم على أمير المؤمنين في مجلس المأمون ويسخر

منــه في مشيته وكلامــه فالتفت الإمام الرضــا عليه السلام إلى صورة سبع كانت مرتسمة على الوسادة وقال له: يا أسد الله كل عدو الله فصار أسداً حقيقياً وهجم على الرجل فافترسه حتى فزع من كان فــي المجلس وأغشي عليهم، فعقولهــم عليهم السلام خزانة العلم الإلهي الذي لا يعزب عن مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ فأصول العلم وخزائنه عندهــم منهم تتهدل فروعه وعنهم تنحــدر سيوله وإذا رأيــت أنهم يعتمــدون في علمهــم إلى أخبار الملائكــة أو الغير أو تسديد روح القدس لهم فإنما ذلك كله من باب أخذهم بالأسباب الظاهريــة قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الإمام إذا شاء أن يعلم علـم**»، فالعلـم ينزل منهم إليهــم كما ينزل من عقلــك إلى قلبك فافهم.

| | |
|---|---|
| **يا إماما نشر العلم كما** | **نشر الزهر على الأجواء عطرا** |
| **أيها الصادق يا مهد الهدى** | **إن فــي العلم لكم طياً ونشرا** |
| **أنــتــم شــيــدتم بـنـيـانـه** | **ورفعتـم له بـين الناس ذكرا** |
| **كـم صـروح للعمى هـدت بكم** | **أوشكـت لولاكم تنفث سحرا** |
| **عـلـمـاء حـكـمـاء رددوا** | **فضلكم دوما ولم يخفوه غدرا** |
| **مسجـد الكوفة كـم بانت لكم** | **فيـه مـن آثاركم ما شاع أمرا** |

# الإمام الرضا عليه السلام شمس الشموس

مـن الألقاب المختصـة بالإمام الرؤوف علي بـن موسى الرضا عليه السلام هـو لقب «**شمس الشموس**» كمـا في الزيارة، وإن كان هذا اللقب ينطبـق على سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام كل على حـدة إلا أنـه ظهر في هـذا الإمـام الغريب بشكل جلـي وأود في هـذا المجـال أن أتكلم عن هـذا الجانب بشكل موجـز وهو كونهم «أنوارا» كما في الزيارة الجامعة لمولانا الإمام الهادي عليه السلام حيث يقـول: «**خلقكـم الله أنـواراً فجعلكـم بعرشه محدقـين**» وكما في الحديـث المروي عن جابر بن عبدالله قـال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أول مـا خلقه الله؟ قـال** صلى الله عليه وآله وسلم: **أول ما خلق الله نوري**»، وفـي بعض الروايات: «**أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر**».

فمـا المقصود بكونهم أنـواراً عليهم السلام؟ لقـد ذكر شيخنا الأوحـد نـوّر الله ضريحه فـي شرح الزيـارة الجامعة أن المقصود بالأنوار الأنـوار الوجودية يعني أن الله سبحانـه خلقهم من النور لم يكـن فيهم شيء من الماهيـة والإنية إلا ما يقوم به الوجود تقوم الظهـور في أصل وجودهم فهم أنوار لا ظلمة فيهم لا في أكوانهم الوجوديـة ولا في أكوانهـم الشرعية لأن الأكـوان مطلقاً لا تتقوم

إلا بمقـوم مـن الأعيان لأن ظهورهـا يتوقف على شـيء من الإنية تتخصص به وهذا الشـيء المقوم وإن كان ظلمـة في حقيقته إلا أنـه بالنسبة إلى نورية ذلك الكون وقوتـه وسعته يكاد ذلك المقوم يضمحـل ويفنى فـي نفسه انتهى، وذلك قولـه تعالى ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٌ﴾ إشـارة إلى شـدة صفـاء وقابليـة الحقيقـة المحمدية للوجـود حتى قبل أن تمسها نـار المشيئة وهذا لأن النبـي ﷺ أول مـن قبل تكليف الوجود والاعـتراف بالربوبية وهو قوله تعـالى ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ ولذلك كانـت حقيقته ﷺ أول مـا تعلقـت به المشيئـة إذ كان متقوماً بها تقوم وجـود وتحقق فـي حـين تقومت المشيئة به تقوم ظهـور وإعلان ووجودهما صار دفعة واحـدة وفي زمن واحـد ليس قبلهما غيرهمـا فخلق الله سبحانه وتعـالى نور نبينا ﷺ بنفسـه ثم خلق باقي الأنـوار وخلق منه كل خـير، وعلى هـذا يكون المعنى الأول من معـاني النور هنا هو أصل الوجـود أو الحقيقة أو الجهة من الرب وقد علمنا أن أول مصداق لهذا المضمون هو نبينا محمد ﷺ وأهل بيته الطاهرين.

والمعنـى الثاني مـن معاني النور هـو الإدراك وروح القدس وهو العقل الكلي لأهل البيت عليهم السلام وزمانه أول الدهر وهو أول

مرتبـة الوجود المقيد وعالم المعاني المجـردة عن المادة العنصرية والصـورة العنصريـة والمـدة الزمانيـة وعـالم الجـبروت والنور المحمـدي وهو كما قال الإمام عليه السلام: «**جوهر نوري دراك محيط بالأشيـاء مـن جميع جهاتها**»، وفي هذا المقـام أول ظهور أحكام الماهيـة والحدود العقليـة المعنوية والكثرات والنسـب والإضافات والتفريعـات وهـو أول أثر لاقـتران المشيـئـة بالحقيقـة المحمدية لقـول الإمام عليه السلام: «**روح القدس فـي الجنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**»، أي أول موجود ذاق حلاوة الوجود بعد امتزاج المشيئة بالحقيقة.

والمعنـى الثالث من معاني النور هو التوحيد كما في قوله تبارك وتعـالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[1] أي مـن ظلمـات الشرك والجهل إلى نـور التوحيد والعدل، وأصدق دلالة على معنى التوحيد هو النبي والأئمة عليهم السلام. روى الصدوق بأسانيده عن عبد السلام بن صالح الهروي عـن علي بن موسى الرضا عليه السلام مسنـداً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من

(١) سورة البقرة: آية ٢٥٧.

حديث له قال: «**أن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وأنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة ألا إله إلا الله وأنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو من دونه فقالوا لا إله إلا الله**».

والمعنى الرابع من معاني النور هو الولاية وهي صورة التوحيد كما ورد في حديث النورانية لأمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي ذر وسلمان قال لهما: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص**.. إلى أن يقول عليه السلام: **من أقام الصلاة ولم يقر بولايتي لم ينفعه الإقرار بنبوة محمد** صلى الله عليه وآله»، وقد عبر الله سبحانه وتعالى عن الولاية والإمامة بالنور في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾(١) ومما يدل على أن الولاية هي شرط التوحيد وحقيقة الإيمان حديث السلسلة الذهبية لمولانا الإمام الرضا عليه السلام الذي

(١) سورة التغابن: آية ٨.

يرويه عن آبائه الطاهرين عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى قال: «**كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني آمن من عذابي**» ثم يقول عليه السلام: «**بشرطها وشروطها وأنا من شروطها**».

والمعنى الخامس من معاني النور هو العلم فقد عبر الإمام الصادق عليه السلام عن العلم بالنور في قوله: «**ليس العلم بكثر التعلم، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء**»، وقد جعلهم الله عليهم السلام خُزان العلم وأطلعهم على ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة بعد أن أشهدهم خلق خلقه، ففي بصائر الدرجات عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما من أرض مخصبة ولا أرض مجدبة ولا فئة تضل مائة وتهدي مائة إلا أنا أعلمها وقد علّمتها أهل بيتي يعلم كبيرهم وصغيرهم إلى أن تقوم الساعة**»، وهم عليهم السلام يعلمون كل ذلك ويحيطون بكل ما صدر من المشية على سبيل الدراية والإحاطة لا الرواية والإخبار لأنهم أول ما خلق الله فيعلمون ما جاء بعدهم إذ وجد عنهم وبهم.

والمعنى السادس من معاني النور هو القرآن فقد وصف الله

تبـارك وتعـالى القرآن فـي كتابه العزيـز بالنور وذلـك في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(١) ولعمري لقد دلت الآثار المتواترة المتكاثرة عـن النبي ﷺ وأهـل البيت على أنهم عليهـم السلام هم القرآن الناطـق وهم عدل القرآن لقولـه ﷺ: «**إني مخلف فيكم الثقلين كتـاب الله وعترتي أهل بيتـي**» وأهم عليهم السلام يعلمون جميع ما فـي القرآن وفي القـرآن تبيان لكل شـيء لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾(٢) هـذا وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) سورة الشورى: آية ٥٢.

(٢) سورة يس: آية ١٢.

# سر المباهلة آل محمد عليهم السلام

قال تعالى ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(١).

نزلت هذه الآية بعد أن اتفق النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع نصارى نجران على المباهلة في الموعد المحدد بينهما لإثبات أيهما أحق الدين الإسلامي ونبوة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أو الدين المسيحي، وأقبل النبي بعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام فلما رأى النصارى ذلك امتنعوا عن مباهلته وقال زعيمهم إني لأري وجوهاً لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال من أماكنها لأزالها.

وقد انطوت هذه الحادثة الشريفة على مضامين عالية ودلالات متعالية يمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

**أولاً:** أنه هو وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أقرب الخلق إلى الله عز وجل، لذلك جعلهم واسطة بينه وبين خلقه وأعطاهم مقام الشفاعة كقولنا في الزيارة الجامعة: «**اللهم إني لو**

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

**وجدت شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأطهار لجعلتهم شفعائي**»، فلما أبرزهم الحكيم للمباهلة كان هذا الأمر ظاهراً لإثبات أحقية ورفعة الدين الإسلامي على كل الأديان ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(١)، أما في الحقيقة وفي الباطن فالإشارة أعظم يفهمها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فالله سبحانه أراد أن يبرز دينه بهؤلاء الخمسة لأن ولايتهم هي ولاية الله عز وجل، فهو تعالى أوكل إليهم تربية خلقه في النشأتين، فحين خلق تعالى الخلق من الإنس والجن والملائكة والحيوانات والنباتات والمعادن والجمادات والسموات والأرضين وسائر الأفلاك في مشاهد متعددة وأوقات متجددة في ألف ألف دهر كلٌ في مكان حدوده ووقت وجوده أشهدهم عليهم السلام كل شيء، وكيف لا يكونوا كذلك وهم أول من أجاب دعوة الداعي حين دعاهم إلى توحيد ربهم ونبوة النبي صلى الله عليه وآله وولاية الولي كل بلسانه، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾(٢)، قالوا: بلى، فكان الإيجاد والتقدير بحسب الإجابة ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن

(١) سورة آل عمران: آية ١٩.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

ﮋﺫِﻛۡﺮِﻫِﻢ ﻣُّﻌۡﺮِﺿُﻮﻥَﮊ[1] وهـو ما أشار إليـه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في جـواب السائل: بم فضلت علـى سائر الأنبيـاء والمرسلين؟ فقال: لأني أول من أجاب دعوة ربي.

وبذلـك كان لهم شرافة سبق الوجود على كل موجود، قد افتتح الحكيم بهم الوجود (بكم بدأ الله) فأبدع أنوارهم قبل خلق الخلق بألـف دهـر يسبحون الله ويحمدونـه ويهللونه حيـث لا تسبيح ولا تهليـل، فعنهم كان التسبيـح والتهليل، بل أن الوجود كله تقوم بهم تقـوم صدور كصدور الأشعة مـن الشمس، كما يتقوم بهم الوجود تقـوم ركني تحققي لأن فاضـل أنوارهم هي مادة كل شيء وصورة كل شيء كما ورد عنهم عليهم السلام أن الله خلق محمداً سراجاً منـيراً فملأ نوره عالم الإمكان فخلـق الله من ذلك النور مادة كل شـيء، ثم خلق من نوره نور ابن عمه علي بن أبي طالب فملأ نوره عالم الإمكان فخلق من نوره صورة كل شيء، لما لهم من قابلية قال فيهـا القرآن الكـريم ﮋﻳَﻜَﺎﺩُ ﺯَﻳۡﺘُﻬَﺎ ﻳُﻀِﻲٓﺀُ ﻭَﻟَﻮۡ ﻟَﻢۡ ﺗَﻤۡﺴَﺴۡﻪُ ﻧَﺎﺭٞۚ ﻧُّﻮﺭٌ ﻋَﻠَﻰٰ ﻧُﻮﺭٖﮊ[2]، فهـم عليهم السلام لهم قابلية الوجود قبل أن تتعلق ماهياتهم بنار المشيئة الكونية.

(١) سورة المؤمنون: آية ٧١.

(٢) سورة النور: آية ٣٥.

**ثانيـاً:** أنهم عليهم السـلام نور واحد، «**وأن أنواركم وأرواحكم وطينتكم واحـدة**» ففيما يختص بنـور النبي الأعظـم ونور أمير المؤمنين فقـد قال فيه القرآن عـن الجليل ﴿**وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾ ولمـا كان أمير المؤمنـين نفس النبي صلى الله عليه وآله بإقرار القـرآن له كان له مـا للنبي الأعظم ما خلا النبوة، فالنبي الأعظم لما أقامه الله في سائـر العوالم فـي الأداء مقامه، وهي ولايته علـى الكائنات، كان لوليـه بالحق أمير المؤمنين عين تلك الولايـة، لأنه عين ذلك النور «**أنـا مـن أحمد كالضوء مـن الضـوء**»، إلا أن نور النبي أسبق في الوجود لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام في رواية أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أعلم مني بحرف وهو أسبقية نور النبي للوجود، وكل ما للأمير فهـو لأبنائه الطيبين الطاهرين ما خـلا مقام الإمارة، فلا يسمى بأمـير المؤمنين إلا علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه هو الذي يميرهم العلم ميراً، أما فيما يختص بالخلق وتدبير شئوناتها والنظر فيما يتعلق بصلاح أمورها فهم فيه سواء «**أولنا محمد أوسطنا محمد آخرنا محمد بل كلنا محمد**».

وقد قال النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في حق سبطه الحسن عليه السلام: «**أما الحسن فله هيبتي وسؤددي**». إشارة إلى توحـد الصفات فيما

بينهـم بطريق لا يشـترك معهم فيه أحد من الخلـق لوحدة النور والطينـة كما ورد عنهـم عليهم السـلام أن اللّه خلقهم من طينة مخزونـة مكنونة من تحت العرش لم يجعل لأحد فيها نصيب، أما سبطه الحسين عليه السلام فقد قال فيه: «**حسين مني وأنا من حسين**» لأنـه لحمته كما قال الحسين عليه السلام فـي يوم عرفة: «**ولن تشذ عن رسول الله لحمته**»، وقد نسب رسول اللّه صلى الله عليه وآله نفسه للحسين عليه السلام عندمـا قال: «**وأنا من حسين**» لأن مقتل الحسين عليه السلام كان حياة لدين جـده رسول اللّه صلى الله عليه وآله فكان مظهراً لديـن اللّه وللولاية الحق لمحمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

أمـا الزهـراء فهـي روح النبـي، وهـي روح الوجـود ففيها قال الإمـام الصادق عليه السلام: «**وعلـى معرفتها دارت القـرون الأولى**»، فهـي المعرفة لأنوار النبي حيث قال فيهـا صلى الله عليه وآله: «**فاطمة أم أبيها**»، ولفـظ (أم) من الألفاظ المشتركة التي لهـا أكثر من معنى، فمن معانيـه أنها أصل الوجود، أو مقدم الشيء، وهذه المعاني مجموعة للزهـراء التي عرف بها الجليل أهل بيت النبوة في حديث الكساء حين سأله الملائكة عـن الخمسة الذين لهم وبهم وإليهم يكون كل الوجود، فأجاب عز وجل: «**هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها**».

فبكونها الحلقة الواصلة والبرزخ الأعظم بين النبوة والولاية والأرض الحاملة للأشجار ومحل ظهور الأسرار كان لنورها حق على كل الوجود، وهو قوله تعالى في الحديث القدسي مخاطباً نبيه الكريم: «**لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما**»، لأنها الحاملة لنور الوصاية من أبناء علي عليه السلام، وبهذا يكون الامتداد النوراني الذي قدره الحكيم لهداية الخلق ولبقاء الوجود بفاطمة عليها السلام، فنراها في حادثة المباهلة تقف بين النبي المكرم وبين الولي الأعظم.

ومع ما ذكرنا من وحدة النور والطينة إلا أنهم لهم المراتب المتفاوتة عند الله عز وجل وليس عند الخلق، فهم من جهة التعلق بالخلق نور واحد لا فرق بينهم من حيث التدبير والتربية من خلق ورزق وحياة وممات، أما بالوجه العلوي الذي لا يرتبط بالخلق فالنبي الأعظم له مقام لا يدانيه فيه أحد منهم، «**خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين**» فعرش عالمهم هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لأنه أول من يأخذ الفيض ثم يوصله إلى كرسيه ثم إلى شمسه ثم إلى الأفلاك، وإليه أشار أمير المؤمنين: «**أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين ثم الحسن والحسين ثم القائم عليهم السلام ثم الأئمة الثمانية دفعة واحدة**».

وفي يوم المباهلة تقف هذه الأنوار الربانية أمام نصارى نجران لتباهل على الحق، فتتداركهم الرحمة الواسعة لمن هم واقفين بمحضره الشريف ليكشف لهم عن عظمة وكبرياء وقدس هؤلاء الخمسة، وأن الحق كل الحق في هذا الوجود هو وجودهم المقدس، ولولا ذلك لما بقي نصراني على واجه الأرض.

إنها الرحمة المحمدية العلوية الفاطمية الحسنية الحسينية من الأزل إلى الأبد.

# خصائص الحسين عليه السلام

سيدي أبا عبدالله، ها قد أقبل علينا شهرك المقدس، شهر التضحية والفداء وشهر المحبة والفناء شهر لطالما علم الأحرار كيف ينتزعون الحياة المشرقة من رحم الموت الكئيب، وعلم الضعفاء المظلومين كيف ينبعثون مردة جبارين يكتسحون ظالميهم اكتساحاً ورياحاً عاتية تسلط على المفسدين الذي يعيثون في الأرض فساداً فتقصفهم قصصاً وتحصدهم حصداً، يا سيد الشهداء لقد كنت دوماً أمل الأتقياء والحلم الذي راود الأنبياء في جميع عصورهم وأزمنتهم وعلى اختلاف درجاتهم ومراتبهم، لقد استلهموا منك الصبر والخشوع والانقطاع إلى الله فكان صبرهم وخشوعهم وانقطاعهم من فاضل صبرك وخشوعك وانقطاعك إلى الله تعالى، وكيف لا تكون كذلك يا سيدي وأنت نور الأنوار الذي تشعشعت من فاضل نورك أنوارهم وحجة الجبار عليهم وعلى أممهم، وقد حباك الله جلت قدرته بخصائص وأولاك بمميزات لم يجعلها لأحد سواك لا من الأولين ولا من الآخرين بل جعلها كلها مختصة بك مشيرة إليك ودالة عليك كما يدل النور على الشمس الساطعة في رابعة النهار ومن هذه الخصائص:

١- أنه لم يوجد مخلوق على وجه الأرض بكته السماوات والأرض والأنبيـاء والمرسلون قبل ولادته وقبل حصول مصيبته سوى مولانا الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حتـى جعل الله تعـالى تألمهم لـه وجزعهم عليه وبكاءهم على ما يجري عليـه موجباً لرفع مقاماتهم عنده وزيادة درجاتهم لديـه سبحانه، وجعل لعنتهم على قاتله موجباً لمضاعفة العـذاب عليه لعنه الله وأخـزاه، فما من نبـي أو رسول مر بأرض كربـلاء إلا وأصيب بمصيبة مواساة لسيد الشهداء، بدءاً من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين حتى سال الدم مـن رجله فرفع رأسه إلى السماء قائلاً: إلهي هل حدث مني ذنب فعاقبتنـي به فـإني طفت جميع الأرض ما أصابني سـوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه: ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض ولـدك الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه مروراً بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي عندما مرت سفينتـه بكربلاء أخذته الأرض، وخاف الغرق فدعى ربه وقـال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال يا نوح في هـذا الموضع يقتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ سبط محمـد خاتم الأنبياء

وابن خاتم الأوصياء، وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن مر بأرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثر به وسقط وشج رأسه وسال دمه فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي أي شيء حدث مني؟ فنزل عليه جبرائيل عليه السلام وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه، وروى أن موسى عليه السلام كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه فأخبره الله تعالى: أن ها هنا يقتل الحسين وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه، وهكذا الحال مع بقية الأنبياء والمرسلين انتهاء بسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم الذي بكى عند ولادة الحسين عليه السلام وأخبر أمه وأباه بما يجري عليه وقال أخبرني جبرائيل عليه السلام: إن ابني الحسين عليه السلام يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة، وأخبرني أن فيها مضجعه.

٢- أن أصحابه عليه السلام كانوا أفضل من أصحاب جميع الأنبياء والمرسلين وحتى من أصحاب نبينا الكريم وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لصريح قول الإمام الحسين عليه السلام في حقهم: «**أما بعد فأني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي**»، وكيف لا

يكونون كذلك وهـم الذين أفنوا وجودهم في حب الحسين عليه السلام واستأنسـوا بالموت دونـه استئناس الطفل بمحالـب أمه حتى ليود الواحـد منهـم أن يقتل ثم ينشـر ثم يقتل ثم ينشـر يفعل به ذلك سبعين مرة ولا يؤثر على الشهادة في سبيل الحسين عليه السلام شيء.

٣- أن مصيبته عليه السلام كان لها تأثير خاص على جميع الموجودات ومـا دخل فـي عالم الإمكان مـن الذرة إلى الـدرة -وإن كان هذا التأثير في حق باقـي المعصومين عليهم السلام- إلا أنه لم يظهر واضحاً جلياً للعيان كما في مصيبة الحسين عليه السلام بحيث يلاحظه المخالف والمؤالف والقريب والبعيد ويراه ماثلاً أمامه بغير حجاب، قـال مولانا الإمام الحجـة المنتظر عجل الله فرجـه الشريف في زيارته لجده الغريب «**وأقيمت لك المآتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين وبكت السمـاء وسكانهـا والجنـان وخزانها والهضـاب وأقطارها والبحار وحيتانها ومكـة وبنيانها والجنان وولدانها والبيت والمقام والحل والإحرام**».

وفي البحار أنه يوم مقتل الحسين عليه السلام لم يرفع حجر عن وجه الأرض في تلك الليلة إلا وجد تحته دم عبيط، وفي رواية أم سليم قالت: «**لما قتل الحسين عليه السلام مطرت السماء مطراً كالدم احمرت**

**منه البيوت والحيطان**»، وروى الزهري والثعلبي ومسلم: «**أنه لما قتل الحسين بكت السماء، وأن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين، وأن السماء مطرت دماً بأيام قتل الحسين عليه السلام وأن السماء أمطرت يوم قتل الحسين دماً عبيطاً**».

٤- إن زيارته عليه السلام تتضمن من الفيوضات الربانية والعطاءات الإلهية ما لا يتوفر في زيارة غيره صلوات الله عليه منها أنها تخلص من الذنوب تخليصاً خاصاً بأن يغفر الله للزائر ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيصير كيوم ولدته أمه ثم تبلغ مرتبته بأن يناجيه الله بقوله «**عبدي سلني أعطك**»، ومنها أن الزائر يصير سبباً لخلاص غيره من النار ففي الرواية يقال للزائرين: «**خذوا بيد من أحببتم فأدخلوه الجنة**»، ومنها أن كل عمل منطقع ما عدا زيارة الحسين فيبقى ثوابها متصلاً إلى يوم القيامة، ومنها أيام زيارته ذهاباً ومكوثاً وإياباً لا تحسب من عمر الزائر، ومنها أنه يدرك بها ما يستحيل وقوعه وهو ثواب الحج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الأخبار تعدل حجة من حجج رسول الله نفسه صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها أن الله تعالى آلى علي نفسه ألا يخيب من زاره وتقرب إليه بالحسين عليه السلام في حاجة من حوائج الدنيا والآخرة، ومنها أنها

تزيد في الأرزاق وتطيل في الأعمار وتورث اليقين والاطمئنان في العقائد الحقة وترفع الشبهات واللوابس وتصرف عنه ميتة السوء ومكاره الزمان، ومنها أن زيارته بعد شهادته عليه السلام أفضل من زيارة باقي الأئمة وهم أحياء للرواية الواردة عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام لما زرته، دعاني الشوق إليك أن تجشمت إليك على مشقة، فقال لي: لا تشك ربك فهلا أتيت من كان أعظم حقاً عليك مني؟ قلت: ومن أعظم علي حقاً منك؟ قال: الحسين بن علي عليه السلام إن أتيت الحسين عليه السلام فدعوت الله عنده فشكوت إليه حوائجك، ومنها أن زواره عليه السلام يدخلون الجنة قبل أهل الجنة بأربعين عاماً وهكذا كل ما يتعلق به من خطباء ومحدثون ومستمعون والعاملون في مجالسه عليه السلام.

٥- من الأمور الخاصة به عليه السلام أن الله تعالى تولى قبض روحه بنفسه وأنه الذي يأخذ بثأره لما ورد في الزيارة «**السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور**» ففي عقاب الأعمال مسنداً عن محمد بن سنان عن بعض أصحابه عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور، وأقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده فإذا رأته شهقت**

شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد مؤمن إلا بكى لها فيمثل الله عز وجل الحسين في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع الله قتلته والمجهزين عليه ومن شرك في قتله فيقتلهم حتى أتى على آخرهم ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام فلا يبقى أحد من ذريتنا إلا قتلهم قتلة فعند ذلك يكشف الله الغيظ وينسي الحزن».

# فاطمة المعصومة عليها السلام

أود الحديث عن حياة هـذه السيدة الطاهرة كريمة أهل البيت عليهم السلام أن أقسم حديثي حولها إلى محورين:

**المحور الأول:** في بيان الفرق بين عصمتها وبعض أولاد الأئمة عليهم السلام وبعض أصحابهم وبين عصمة المعصومين الأربعة عشر أنفسهـم، فعصمة المعصومين الأربعـة عشر عليهم السلام عصمة ذاتية مطلقة كلية لدوام إفاضة الإمدادات النورية من قبل الحـق عليهم لسعة قابليتهم وقوتها وصفائها بحيث أحاطت بعالم الإمكان وهيمنت على مـا سوى اللّه تعالى فأصبحوا لا يشاءون إلا مـا يشاء اللّه ولا يفعلون إلا مـا أمر اللّه به فجعلهم سبحانه بذلك واسطـة الفيض الأعظم ومحل التجلي الأكبر وصاروا خزان علمه وألسنـة إرادته وأصل كل خير ومنبع كل فضيلة، وخلق الأنبياء من فاضـل أشعـة أنوارهم عليهـم السلام، فصـارت عصمتهم -أي الأنبياء- وطهارتهم على قدر إجابتهم وحست تبعيتهم للمعصومين الأربعـة عشر وفضل اللّه بعضهم على بعض وفق ذلك فكان منهم مـن هو نبي لنفسـه ومنهم لأهـل قريتـه أو لبلده وجعـل بعضهم أصحـاب الشريعة من أولي العزم وغيرهم، وليس أحد منهم أهل

الطهـارة المطلقة والعصمـة التامة الكاملـة إلا سيدهم وخاتمهم ﷺ الذين هم مظهر شئوناته وفيوضاته ومن بعده الأئمة من أهل بيتـه، وكذلـك الحال من بعدهـم بالنسبة إلى بعض أولاد الأئمة وبعض أصحابهم الذين تقربـوا إلى الله تعـالى بالتبعية الكاملة لساداتهـم وأوليائهم عليهم السلام وأجهـدوا أنفسهم في طاعة الله واجتنـاب نواهيه وأذابـوا إنياتهم في حبهـم وعشقهم للنبي وأهـل بيته وذلك لصلابـة إيمانهم وقوة استعدادهـم وقابلياتهم فصاروا مستحقين لقبول التحفة الإلهية ومستعدين لتحمل مظهر مـن مظاهر العصمة الكلية ووجه من وجوهها، وأصبحوا يتمتعون بالولاية التكوينية والتصرف الكوني بحسب مقام العصمة الممنوح لهم من ذي الجلال، ومن أفراد هذه الكوكبة الشريفة التي حظيت بهذه التحفة الإلهية والنعمة السماوية سليلة بيت المجد وربيبة بيت الوحي السيدة الطاهرة الجليلة فاطمة الكبرى بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام.

**المحور الثاني:** في بيـان بعض أحوالهـا عليها السلام فقد ولدت فـي المدينة المنورة سنة ١٧٣هـ وهي شقيقـة الإمام الرضا عليه السلام فأمهمـا واحدة وهي تكتم عليها السلام، لهـا ألقاب كثيرة، فمن ألقابها (المعصومـة) وهو من أشهـر ألقابها فقد نقل عـن الإمام الرضا

عليه السلام قولـه: «**مـن زار المعصومـة بقـم كان كمـن زارني**»، ومـن ألقابهـا أيضاً (كريمة أهل البيت) و(أخـت الرضا) و(المحدثة) و(العليمــة)، إلى غير ذلك من الألقاب التي اشتهرت بها عليها السلام، وقد تعرضت في حياتها لمحن كثيرة منها:

**المحنــة الأولى:** شاهدت مـن المصائب والمحـن الشيء الكثير ممـا كان لـه أبلغ الأثـر في تعرضهـا للمرض والضعـف والهزال وبالتـالي وفاتهـا في سن مبكـرة شهيـدة غريبة كأخيهـا الإمام عليهمـا السلام، وكان أول مـا كابدته هذه السيدة المعصومة رؤية والدهـا الإمام المظلوم عليه السلام وهو يتجـرع غصص السجن وعض القيـود حتى قضى مسموماً مغمومـاً ووضعت جنازته على الجسر ببغداد يتفرج عليها القاصي والداني مما زادها ألماً ولوعة.

**المحنة الثانية:** كما عايشت هذه السيدة الطاهرة هجوم جيش المأمـون بقيـادة الجلودي على بيـوت العلويين فـي المدينة المنورة ومحاولـة سلب ما على نسائهم من ثياب وحلل وعزمه على ألا يدع علـى واحدة منهن إلا ثوباً واحداً وكان مـن بين البيوت التي هجم عليها هو بيت الإمام الرضا عليه السلام.

فلما نظـر إليه الإمام جعل النساء كلهـن فـي بيت واحد وكانت

السيـدة المعصومـة إحداهن ووقـف الإمام على بـاب البيت يمنع الجلودي وجنده من اقتحامه وهو يعاهده ويحلف له بأنه سيسلبهن له ولا يدع عليهن شيئاً إلا أخذه وبالفعل لم يدع الإمام عليهن شيئاً إلا أخذه حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرهن وجميع كان في الدار من قليل وكثير.

**المحنـة الثالثـة:** التي عاصرتها السيـدة المعصومة هي ترحيل أخيها الإمام الرضا عليه السلام وإشخاصه من المدينة إلى مرو ومن ثم إلى خراسان على رغم عنه وكراهية منه لمفارقة وطن جده وآبائه الطاهريـن حين جمع عياله وأهـل بيته وأمرهم بالبـكاء عليه ثم قال: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً، وبهذه الصورة أخرج الإمام من داره أمام أخته المصونة وسائر عياله وعيونهم عبرى وقلوبهم مملوءة بالحزن والأسى.

**المحنة الرابعة:** التي عاصرتها هذه السيدة العفيفة هي حادثة مقتـل أخوتها الثلاثـة أحمد ومحمـد وحسـين واستشهادهم في شـيراز خلال سفرهم عن طريق هذه البلـدة للقاء أخيهم الإمام الرضـا عليه السلام في طوس بعد أن التفـت بركبهم جموع غفيرة من محبيهم ومؤيديهـم وخاف المأمون على ملكـه فأمر حاكم شيراز

بـأن يصدهـم ويرجعهم إلى المدينـة ولكنهم أبوا الرجـوع وآثروا القتـال والصمـود في وجه الظلم والطغيان فقتلـوا جميعاً بعد أن أبلوا بـلاء حسناً وقاتلوا قتـالاً شديداً ومزاراتهـم اليوم مشهورة معروفـة في شيراز يؤمها المحبـون وأصحاب الحاجات فيرجعون بحاجاتهم مقضية بإذن الله تعالى وببركة هذه العترة الطاهرة.

وأمـا السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام فقـد تسلمت من أخيها الإمـام الرضا عليه السلام كتابـاً يأمرها أن تلحق به فقـد كانت أثيرة عنـده وعزيزة عليه وبـدأت السيدة هجرتها فـي ركب ضم اثنين وعشريـن علوياً يشمل بعض أخوتها وبعض أولاد أخوتها وبعض الخـدم. فأرسل المأمـون شرطته إلى هذا الركـب فقتل وشرد كل مـن فيـه، وكان ذلك نهايـة أليمـة ومفجعة لهذا الركـب من بني هاشـم الذي فقدت فيه السيدة المعصومـة سائر أخوتها فشابهت مصيبتهـا بفقدهم مصيبة عمتها زينب عليها السلام في طف كربلاء، وعندمـا وصلـت إلى (سـاوة) مرضـت وضعفت وخـارت قواها وسألـت من حولها: كم بيننـا وبين قم؟ قالـوا لهـا: عشر فراسخ فقالت: احملـوني إليها. وليس غريباً أن تختـار السيدة معصومة مدينـة (قم) بعـد أن سمعت مـن جدها الإمـام الصادق عليه السلام

أنــه قال: «**وإن لنا حرمــاً وهو بلدة قم، وستدفـن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة**».

وكان خبرهــا قد وصـل إلى (قم) فخرج أشرافهــا لاستقبالها يتقدمهــم موسى بن خزرج الأشعري فلمــا وصل إليها أخذ بزمام ناقتها وقادها إلى منزله تحف بها إماؤها وجواريها وبقيت عليها السلام فــي دار موســى الأشعري أياماً قليلــة قضتها بالصــلاة والعبادة وتــلاوة القرآن في محــراب خصص لها في الدار ما لبثت بعدها حتــى توفيت غريبة مهمومة مغمومة في سنــة ٢٠١ هـ ودفنت في بستــان كبير لموسى الأشعري فــي منطقة (بابلان) وهو ضريحها المعروف اليــوم وطويت بذلك صفحة أليمة ومفجعة من حياة هذه السيدة الطاهرة.

وأصبــح ضريحها مأوى الــزوار ومقصد الشيعــة يؤمه العلماء والفضــلاء والسلاطين وأصحاب الحاجات يبكون عنده ويتوسلون بصاحبتــه إلى الله لقضاء حاجاتهم ونيل مقاصدهم فلا تخيبهم أبــداً ولا عجب في ذلــك أليست هي من أهل بيــت اشتهر بالجود والكرم والعطاء اللامحدود بغير جزاء ولا منة. وبخاصة بعد ورود الروايــات الصحيحــة في حقها وفي ثواب زيارتهــا عن أئمة أهل

البيت عليهم السلام فعن سعد بن سعد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى، فقال: «**من زارها فله الجنة**»، وعن الإمام الجواد عليه السلام أنه قال: «**من زار عمتي بقم فله الجنة**»، وأصبحت مدينة (قم) بعد وفاتها مدينة عامرة شامخة ومركزاً علمياً واقتصادياً فاخراً ينشر العلم والمعرفة والعقائد الإسلامية الحقة إلى مختلف نواحي العالم الإسلامي.

ولهذه السيدة الطاهرة معاجز كثيرة وكرامات تجاوزت حد الإحصاء مما ينبئ عن عظم قدرها وجليل مكانتها عند الله سبحانه وتعالى، وهذه إحدى كراماتها عليها السلام نثبتها للتبرك في ختام مقالنا هذا ويرويها السيد محمد الرضوي الذي كان أحد خدام الحرم الشريف قال: كنت ذات ليلة نائماً فرأيت في عالم الرويا السيدة المعصومة عليها السلام تأمرني قائلة: قم وأنر منارات الحرم.

وكان قد بقي لآذان الصبح أربع ساعات مما جعلني أغط في نومي مرة أخرى، وإذا بالسيدة المعصومة تأتيني للمرة الثانية وتأمرني بنفس الأمر، فأرجع فأنام، ولكنها في المرة الثالثة صاحت بي مغضبة: ألم أمرك بإنارة المنارات، فنهضت مسرعاً وأسرجت الضياء منفذاً أمرها.

وكانـت تلك الليلة ليلة شديدة البرودة وقد غمرت الثلوج الأبنية والأزقـة والطـرق فألبستهـا ثوبـاً أبيضـ ولكن اليـوم التالي كان مشمسـاً، وحينمـا كنت واقفـاً عند باب الحـرم الشريف، سمعت مجموعة مـن الزوار يتحدثون ويقول أحدهـم للآخر: كيف نشكر السيـدة المعصومـة على حسن صنيعها معنا ليلـة البارحة؟ إنه لو تأخرت إضاءة المنائر لدقائق لكنا من الهالكين.

فتبـين أنهم قد ضيعـوا الطريق لانغمارها بالثلـوج التي أخفت كل أثر لها فلـم يشخصوا اتجاه البلدة، فتاهـوا، وعندما أضيئت المنارات بأمر السيدة المعصومة عليها السلام عرفوا الطريق إلى البلدة ونجوا من هلاك محقق تحت وطأة الثلوج والبرد الشديد.

# الولاية حقيقة التوحيد

لما كان الله تبارك وتعالى قد جل من ملائمة كيفياته وتنزه مجانسة مخلوقاته لا تدركه الأبصار ولا تحيط به خواطر الأفكار الطريق إلى ذاته المقدسة مسدود والطلب مردود وهو القائل جلت عظمته في الحديث القدسي «**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**» والمراد بالكنز المخفي هو الذات البات الخارجة عن حد الوصف والتعين كما صرح به شيخنا الأوحد أعلى الله مقامه في شرح الزيارة، فأحب سبحانه أن يعرف بما وصف به نفسه للخلق صفة يستدل بها على وجوده لا صفة تكشف عن حقيقته إذ لا واسطة بين الحق تعالى وبين الخلق كما قال الإمام عليه السلام: «**حق وخلق لا ثالث بينهما**» وإنما خلق ما خلق بما خلق أي يخلق الخلق بنفس الخلق لا بذاته سبحانه ويوجد الموجود بنفس الموجود لا بذاته.

كما قال الإمام عليه السلام: «**خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها**» وأول ما تعلقت به مشيئته المقدسة هي الحقيقة المحمدية وأنوار أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسلام. وهو مقام الإبداع والوجود الراجح وله إطلاقات أخرى كبرزخ البرازخ وعالم

الفؤاد ووقته السرمد وهذا الوجود خلقه الله بنفسه وأقامه بنفسه ثــم خلق منه كل خير، وقـد يطلقون على هذا المقام الذي هو أعلى مقاماتهم التي صرحوا بها للخلق بمقام البيان كما ورد عن الإمام الباقـر صلوات الله عليه فـي حديث لجابر بن عبـد الله قال: «**يا جابـر عليك بالبيان والمعاني، قال فقلت: وما البيـان والمعاني؟ قال** عليه السلام: **أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك بـه شيئاً، وأمـا المعاني فنحـن معانيه ونحن جنبـه ويـده ولسانـه وأمـره وحكمه وعلمـه وحقـه إذا شئنا شاء الله ويريـد الله مـا نريده فنحـن المثاني الذي أعطانـا الله نبينا** صلى الله عليه وآله وسلم **ونحـن وجـه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم فمن عرفنـا فإمامه اليقين ومن جهلنـا فإمامه سجين**»، وقد أقامهم الله سبحانـه في هذا المقام مقامه وجعلهم محل توجه الخلق إليه وأودع فيهم مظاهر التوحيد التي كلف عباده بالإيمان بها والتوجه إليها، فتكون غاية توحيـد الخلق هي أنوارهم عليهم السلام، وإن كان المقصـود من هذا التوجه هو الـذات المقدسة ولكنها لما كانت منزهـة عن مجانسة الخلق وكانـت الأدوات لا تشير إلا إلى نفسها ولا تحيـط العقول إلا بمثلها سلـك بهم سبحانه طريق معرفته من أنفسهـم ووصف لهـم معنى حقيقـة توحيده من مثلهـم فجعلهم

عليهـم السـلام أركان توحيده وألسن إرادتـه وخزان علمه ومحل مشيئتـه لا فرق بينهم في هذا المقـام المعبر عنه في كتب الحكمة بمقام الحديدة المحماة من حيـث التعريف والتعرف وبين باريهم إلا أنهم عبـاده وخلقه بدؤهم منه وعودهم إليه كما ورد في دعاء الرجبية للإمام الحجة عجل اللّه فرجه الشريف فمن عرفهم في هـذا المقام فقد عرف اللّه ومن آمن بهم فقد آمن باللّه ومن توجه إليهـم فقد توجـه إلى اللّه سبحانه، فمثلهم في ذلك كحقيقة زيد وذاته فإنها لا تظهر وإنما الذي يظهر هو صفاته ومعانيه ومقاماته من القيام والقعود والحركة والسكون والاجتماع والافتراق وغيرها فزيـد ظهر بصفاته لا بذاته وهذه الصفات لا فرق بينها وبين زيد من ناحية التعريف والتعرف وأما من ناحية الحقيقة والواقع فهذه الصفـات هي خلـق زيد وظهوره وعبـده، هو الخالـق لها والموجد لهـا ولو شاء أعدمها أو خالفهـا إلى غيرها لأنها ليست منه وليس منهـا، ومع ذلـك فأنا لا أعرف زيـداً إلا بظهوراته هـذه لأن ذاته غائبة عني لا أستطيع إدراكها أبداً وإن كنت حين التوجه لا أقصد إلا ذاتـه بـل لا ألتفت إلا إليهـا ولا ألتفـت إلى ظهوراته لأن الذات غيبـت الصفـات بل هي أظهر مـن الصفات فـي الحقيقة، وإنما اصطفاهـم اللّه في هذا المقام وغيره وعلى من سواهم واجتباهم

على من عداهم لا لترجيح بغير مرجح ولا لعبث في فعله سبحانه وتعـالى عما يصفـون، وإنما كان ذلـك لصفـاء قابلياتهم عليهم السـلام وقـوة استعدادهم ولأنهم أول من أجـاب دعوة ربه وسبق إلى قبـول التكليف كما ورد في البحار عن صالح بن سهل عن أبي عبـد الله الصـادق عليه السلام أن بعضـ قريش قـال لرسول الله صلى الله عليه وآله: «**بـأي شيء سبقـت الأنبياء وأنت بعثت آخرهـم وخاتمهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: إني كنـت أول مـن آمن بربي وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهـم على أنفسهم ألسـت بربكم؟ فكنت أنا أول نبـي قـال: بلي، فسبقتهـم بالإقرار بالله عـز وجل**»، ثم خلق سبحانـه الخلق لكي يعـرف فخلقهم صلى الله عليهـم وأشهدهم خلـق أنفسهم فكانـوا يسبحون الله ويقدسونـه ويكبرونه ويهللونه قبل خلـق الخلق، ثم لما خلق سبحانه الخلـق على ترتيب قابليتهم للوجود فكلما خلق منهم خلقاً أشهدهم خلقه وصاروا يسبحون الله ويقدسونه ويهللونه ويكبرونه ليعلم الخلق أنهم مخلوقون مربوبون وليسـوا أربابـاً مـن دون الله شركاء لـه في خلقـه، وفوض إليهم سبحانه تدبير أمور خلقـه والقيام بالتكاليف الوجودية والشرعية كل ذلك بمشيئته وبإرادته، إذ كانت مشيئتهم لا تتخلف عن مشيئته وإرادتهـم هـي عـين إرادتـه ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا

﴿يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[1]. وبالجملة فإن جميع تسبيحاتنا وتهليلاتنا وتكبيراتنا وتحميداتنا وباقي شئون توحيدنا وسائر عباداتنا إنما تقع عليهم لأنهم هم عليهم السلام معناها وحقيقتها وإن كان مقصودنا ومرادنا وأصل توجهنا هو الذات البات تبارك وتعالى، إلا أنها -أي الذات- لما كانت منزهة عن مباشرة الخلق فقد اكتفى اللّه سبحانه منا بهذا القدر من التوحيد وبهذا القدر من العبادة لعلمه جلت عظمته بأن الخلق لا يقدرون على ما سوى ذلك ولأنه لا يكلف اللّه نفساً إلا وسعها فقد اعتبر أن توحيد الخلق بهذه الكيفية وعن هذا الطريق هو التوحيد الخالص له والتوحيد المجزي المحقق للغرض من إنشاء الخلقة والمؤدي إلى تحصيل رضا اللّه سبحانه ونيل ثوابه الجزيل في النشأتين وإن كان هذا التوحيد في مقام ذاته كفر وزندقة، فيكون معنى جميع عباداتهم وحركاتهم التوجهية إلى اللّه هو أنوار أهل العصمة عليهم السلام، وهو المقصود بمقام المعاني لهم صلوات اللّه عليهم، وهو عبارة عن ظهورات اللّه للخلق وتجلياته لهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[2].

(١) سورة الأنبياء: آية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة فصلت: آية ٥٣.

ومــن هنا نعلم السر فــي قول الإمام الرضــا عليه السلام في الخبر المشهــور المعروف بسلسلــة الذهب: «**كلمــة لا إلــه إلا الله حصني فمــن دخـل حصني أمن مــن عذابي**»، ثم لما تحـركـت دابته قليلاً توقــف مــرة أخــرى وقــال عليه السلام: «**بشـرطهـا وشـروطهـا وأنا من شروطهـا**»، فانظر إليه صلــوات الله عليه كيف أشار بشكل واضح إلى أن الاعــتـراف بحقيقــة التوحيد والخضوع التــام لله عز وجل ونبــذ الأصنام والأنداد متوقف على قبــول ولايتهم عليهم السلام لأنهــا حقيقــة ذلــك كله، هــذه الولايــة كمــا بينا ضمــن المقامين السابقــين مقام البيان ومقام المعاني هــي ولاية كلية مطلقة عامة شاملــة لجميــع ما سوى الله تعــالى لأنها ممثلة عــن الله سبحانه في جميع الأكوار والأدوار لا يحيد عنها إلا هالك ولا يجحد بها إلا كافر بالله العظيم.

# عظمة الحوراء زينب عليها السلام

حظيت السيدة زينب الكبرى عليها السلام بخصائص كثيرة وسمات عالية تدل على جلالة قدرها وشرف منزلتها عند الله تبارك وتعالى مما لم يتهيأ لغيرها حتى جاءت في مقامها هذا بعد أمها فاطمة الزهراء عليها السلام، وإليك بعض جهات عظمتها صلوات الله عليها:

١- نزلت تسميتها من السماء من قبل الله تعالى كما أثبت المؤرخون في معرض ترجمتهم لأحوالها الشريفة أنها لما ولدت عليها السلام أقبلت بها أمها الزهراء عليها السلام إلى أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: سم هذه المولودة. فقال ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله -وكان في سفر له- ولما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسأله علي عليه السلام عن اسمها فقال: ما كنت لأسبق ربي فهبط جبرئيل يقرأ على النبي السلام من الله الجليل وقال سم هذه المولودة زينب فقد اختار الله لها هذا الاسم.

٢- الاستجابة الفورية لدعائها وقضاء الحوائج منها عليها السلام في بعض المواقف بصورة عاجلة دون تأخير أو تأجيل هذه ميزة كانت معهودة للأنبياء والأوصياء عليهم السلام في مقام أداء

مهمتهـم التبليغيـة ودعـوة الناس إلى عبـادة الله ونبـذ الأصنام والأنـداد ومواجهة الكفار والمعاندين وأمـا أن تتمتع زينب عليها السلام بهذه الصفة فهذا يدل على عظمتها وسمو منزلتها عند الله تعالى ومـن هذه المواقـف التي كانت لها صلـوات الله عليها دعوة عاجلة فيهـا على أبواب الشام عندما كانـت قافلة الأسرى تمر أمام باب منزل (أم الحجام) لعنة الله عليها، سألت هذه المرأة الشقية أين رأس الحسـين فأشار النـاسـ إلى الرأس فرمتـه بحجر، لم تطق العقيلـة صبراً، فقد تحملـت الكثير من الإهانـات لأخيها الشهيد عليه السلام، رفعت رأسها إلي السماء وقالت: اللهم أحرقها بنار الدنيا قبـل الآخرة واهـدم بيتها، وعلى الفور نزلـت صاعقة من السماء فأحرقت البيـت وصاحبته (أم الحجام) ورفيقاتها الأربع اللواتي كن معهـا، وأما كراماتهـا الكثيرة لزوار قبرهـا الشريف وسرعة استجابتهـا للمتشفعـين بها عليهـا السلام فهذا ممـا اشتهر في الآفاق وأقر به المؤلـف والمخالف وشاع الحديث به بين النـاس منذ القديم وما عليك سوى أن تقوم بزيارة سريعة لمقامها المنيف وتلثم عتباتهـا الطاهرة وتتوجه بقلب ملـؤه الخشوع والولاء وبعين ملؤها البـكاء نحو مرقدهـا الشريف ثم تبوح بحاجتـك وتفضي لها بما أهمك من أمور دنياك وآخرتك وأنا الضامن لك ألا تخرج من هذا

المكان المقدس إلا بالإفاضات الزينبية النورانية مما يكون له أبلغ الأثر على حياتك في العاجل والآجل.

٣- إن علمها عليها السلام علم إفاضة وإلهام من قبل الحق تعالى عن طريق أوليائه الطاهرين والأئمة المعصومين الذين لا يخيبون من توجه وانقطع إليهم ولاذ بهم ولا يردون من طرق بابهم والتجأ إلى جنابهم، ومن أولى من زينب أن تحظى بهذه العطية وهي التي ما زالت تنتقل في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة من صدر النبي إلى حجر أمير المؤمنين إلى أحضان الزهراء ومع أخويها الإمامين الحسن والحسين قد تربت وترعرعت في بيت شامخ أحاطه الله بالطهر والنقاء، وبذلك استحقت أن يطلق عليها الإمام زين العابدين عليه السلام هذا اللقب فيقول لعمته زينب «أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة» أي أن علمها كعلم الأنبياء من فاضل علم أهل بيت العصمة وانعكاس صادق لاشراقاتهم النورانية علي من شاووا عليهم السلام وليس علماً كسبياً تحصيلياً عن طريق الدرس والتعلم، وهذا الأمر يتضح من خلال أجوبتها العجيبة وحواراتها العظيمة مع أبيها أمير المؤمنين عليه السلام وهي ما تزال بعد طفلة صغيرة في مدارج الصبا حين تسأل أباها «**يا أبتاه**

**أتحبنا؟ قال: نعم يا بنيتي، أولادنا أكبادنا، فقال: يا أبتاه حبان لا يجتمعان في قلب المؤمن: حب الله وحب الأولاد، وإن كان لا بد فالشفقة لنا والحب لله خالصاً**» وكذلك من خلال خطبها النارية المرتجلة في مجلس ابن زياد في الكوفة، ومجلس يزيد في الشام التي أحدثت بها ثورة عارمة وانقلاباً كبيراً زعزع أركان الحكم الأموي المشؤوم والتي شابهت بها خطبة أمها الزهراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وخطب أبيها أمير المؤمنين في مسجد الكوفة، فهي تنطق عن لسان الوحي وإرادة الحق تبارك وتعالى.

٤- عصمتها الجزئية وولايتها التكوينية المحدودة عليها السلام

وهذا المقام كما أوضحنا في مقال سابق عن السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة عليها السلام من المقامات العالية التالية لمقام الأنبياء والمرسلين، وهذه العصمة من فاضل عصمة الأربعة عشر عليهم السلام، وهذه الولاية التكوينية هي من فاضل ولايتهم المطلقة العامة يفيضونها على من شاؤوا إذ أن مشيئتهم هي عين مشيئة الله وإرادتهم إرادة الله لا تتخلف عنها أبداً لاستحقاق القابل واستعداده وسعة قابليته لتحمل هذا المقام، ولهذا حملها الحسين عليه السلام مقداراً من ثقل الإمامة أيام مرض السجاد عليه السلام وأوصى

إليها بجملة من وصاياه وأسرار الإمامة، وأنابها زين العابدين عليه السلام نيابة خاصة في بيان الأحكام التي تخرج من الإمام عليه السلام ولكن باسمها الشريف لتبليغها إلى الناس مما يستوجب معه العصمة وعدم السهو والخطأ في أداء الأمانة الإلهية، ومن مظاهر ولايتها التكوينية عليها السلام أنها عندما أرادت أن تخطب في الكوفة وكان الناس منشغلين في جلبتهم وضوضائهم أشارت إلى الناس فارتدت أنفاسهم وجمدت حركات خيولهم على الهيئة التي هي عليها وسكنت أجراسها فلا تسمع صوتاً ولا همساً فابتدأت بخطبتها عليها السلام.

٥- ومما يدل على عظيم شأنها ورفيع منزلتها أن الله سبحانه وتعالى قدّر لها عليها السلام في قديم علمه ومكنون سره أن تحفظ له دينه وتحوط له شريعته بعد مقتل وليه، وهذا لعمري مهام الأنبياء وشأن ذوي العزائم الكبيرة من الرسل والأولياء الذين أناط الله بهم هداية الناس إلى سبيل الحق وصيانتهم عن طريق الضلال، وهكذا صنعت زينب وهكذا قدر الله لها أن تكون حين علم أنها تحمل بين جنبيها عزمات الأنبياء وهمم العظماء من الرسل والأولياء فزودها بكل ما زود به صفوته من الصبر والثبات

والشجاعـة والجرأة والقلب الكبـير والعلم الواسع والإيمان القوي الراسـخ الـذي لا تزعزعـه العواصف، فقامت بدورهـا خير قيام فـي حفظ عيال الحسـين عَلَيْهِ السَّلَامُ وباقي الأسـرة الهاشمية وتعرية الحكومـة الأموية من خلال خطبهـا العظيمة، وبيان زيف الادعاء اليزيديـة، والتأكيـد علي فضائل أبيها وأمهـا واخوتها وأهل بيتها وأنهم هـم الممثلون الحقيقيون للإسلام ولنبي الإسلام وأنهم هم أهـل الذكر الذين نزل القرآن فـي بيوتهم والذين أمر الله الناس بالتمسـك بهم والأخـذ عنهم، وكذلـك التصدي لبيـان الأحكام المختلفة مـن الحلال والحـرام وتفسير القـرآن والأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر، إضافة إلى ما ظهـر منها عَلَيْهَا السَّلَامُ من الإخبار بالمغيبـات وعلـم المنايـا والبلايا وغـير ذلك من علامـات النبوة وخصائص الإمامة، والتزامها التام والكامل بالمهام العبادية على اختلافها حتى في أشد الظروف وأصعب الأوقات.

# الخصائص الفاطمية

سيدتي الطاهرة أي شيء أشهى إلى النفس وألذ إلى الخاطر وأقر للعين وأثلج للفؤاد من أن يكون الحديث عنك وحولك وإليك، أليس حينئذ يكون حديثاً ملؤه النور والطهر والرحمة وكيف لا يكون كذلك حين يتعلق الأمر بفاطمة، حبيبة الله وصفوته هذه الحوراء الإنسية والبضعة الطاهرة ذات النور الفياض على وجودات الخلق منذ الأزل، حباها خالقها بخصائص لم يجعل لغيرها فيها نصيباً دلالة على عظمتها عنده وقداستها لديه، وإليك أيها المؤمن الكريم بعض هذه الخصائص الفاطمية:

١- أن نطفتها عليها السلام عقدت في الجنة كما روى الشيخ الصدوق في أماليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لما عرج بي إلي السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة وحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة**»، فهي إذن كائن نوراني مقدس في صورة البشرية والآدمية عطية إلهية وتحفة ربانية إلى الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله.

٢- أن تزويجها صلوات الله عليها قد تم في السماء قبل أن يتم في الأرض حيث نزل جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن الله يأمرك أن تزوج فاطمــة من علي، فرقى رسول الله صلى الله عليه وآله منبره فحمد الله وأثنــى عليه وقــال: «**معاشر المسلمين إن جبرئيـل عليه السلام أتاني آنفاً فأخـبرني أن ربي عز وجل جمع الملائكة عند البيت المعمور وأنه أشهدهـم جميعاً أنـه زوج أمتـه فاطمة ابنـة رسوله محمد صلى الله عليه وآله إلى علـي عليه السلام، قائـلاً صلى الله عليه وآله : يـا علي إن الله زوجـك فاطمة وجعل صداقها الأرض فمن مشى عليها مبغضاً لك مشى حراما**»(١).

٣- أنهــا الأم الحقيقة للوجود ومظهــر الرحمة الإلهية كما ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من رحمته فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة**»(٢)، والمقصود بالرحمة هنا هي الصورة التي لا يظهــر الوجود ولا يتشكل إلا بهــا إذ كان كل ممكن زوج تركيبي مــن مادة هي وجهه مــن ربه والمعبر عنها بــالأب، ومن صورة هي وجهه من نفســه والمعبر عنها بالأم، وكما أن الصورة لا تتحقق إلا بالوجــود فكذلــك الوجود لا يظهر إلا بالصــورة أو الماهية وهما لا

(١) كشف الغمة: ١/٣٥٨ و٤٧٢.

(١٢) بصائر الدرجات: ٨٠.

يوجـدان إلا دفعة واحدة، ومن هنا ندرك سـر تسميتها بالزهراء إذ أن الموجـودات لم تظهر إلا بعد إشراق نورها صلوات الله عليها فأزهرت من نورها السماوات والأرض فسميت بذلك الزهراء كما ورد في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**إن الله خلقني وخلق علياً ولا سماء ولا أرض ولا جنـة ولا نـار ولا لوح ولا قلم، فلما أراد الله عـز وجل بدء خلقنا تكلم بكلمة فكانـت نوراً ثم تكلم كلمة ثانية فكانـت روحاً فمزج فيما بينهما واعتـدلا، فخلقني وعلياً منهما، ثـم فتـق من نوري نور العرش فأنا أجل من العرش، ثم فتق من نـور علـي نور السمـاوات فعلي أجل مـن السماوات، ثـم فتق من نـور الحسن نور الشمس ومن نور الحسين نور القمر فهما أجل من الشمس والقمر، وكانت الملائكة تسبح الله تعالى وتقول في تسبيحها سبوح قدوس من أنوار ما أكرمها على الله تعالى فلما أراد الله تعـالى أن يبلـو الملائكـة أرسـل عليهم سحابـاً من ظلمة وكانـت الملائكـة لا تنظر أولهـا من آخرها ولا آخرهـا من أولها، فقالـت الملائكة: إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا ما رأينا مثل ما نحن فيـه فنسألـك بحق هـذه الأنـوار إلا ما كشفت عنـا فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لأفعلن، فخلق نور فاطمة الزهراء** عليها السلام

**يومئذ كالقنديل وعلقه في قرط العرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع»**[1].

ويتضح هذا المعنى أيضاً من قول الله تعالى بالحديث القدسي: «**يا محمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما**» إذ أن الحقيقة الفاطمية قائمة بالولاية المطلقة قيام وجود وتحقق ومقام الولاية المطلقة قائم بالحقيقة الفاطمية قيام ظهور وانتشار ولا يوجد أحد المقامين بدون الآخر إذ أن وجود أحدهما حيث كان هو المادة متوقف على وجود الآخر حيث كان هو الصورة.

٤- أنها أول من تفتتح مقام الشكاية في يوم المحشر كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**تحشر ابنتي فاطمة عليها السلام يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تتعلق في قائمة من قوائم العرش تقول: يا أحكم الحاكمين أحكم بيني وبين قاتل ولدي قال علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحكم لابنتي فاطمة ورب الكعبة»**[2].

٥- أنها على جلالة قدرها ورفعة شأنها قد دفنت ليلاً فأخفي

---

(١) بحار الأنوار: ١٧/٤٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٨/٢.

قبرها وعفي أثرها للهضيمة التي لقيتها من القوم بعد رحيل أبيها رسول الله ﷺ، فكان هذا الأمر من مختصاتها الدالة على مظلوميتها صلوات الله عليها.

٦- أنها كانت تزهر لأمير المؤمنين ثلاث مرات فكان يزهر وجهها صلاة الغداة بالنور الأبيض والناس في فرشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك، فإذا انتصف النهار وترتبت للصلاة زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة في حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم، فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس احمر وجه فاطمة فأشرق وجهها بالحمرة فرحاً وشكراً لله عز وجل فتدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم[1].

وقد يكون معنى **النور الأبيض** هو ركن العرش الأيمن الأعلى المعبر عنه بالعقل الكلي أو القلم وعنه تصدر الأرزاق والملك الموكل به هو ميكائيل وطبعه بارد رطب وهو ما يفسر ظهور الزهراء به وقت صلاة الغداة وهو الوقت الذي تقسم به الأرزاق كما في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

(١) علل الشرائع: ١/ ١٨٠.

**وأمـا النور الأصفـر** فهو ركن العرش الأيمن الأسفل المعبر عنه بالــروح الكلية والملك المــوكل به هو إسرافيل وعنــه تصدر الحياة وتنتشـــر الموجــودات وهو ما يفســـر ظهور الزهراء بــه وقت صلاة الظهر حيث يكون نور الشمس في أعلى درجات انتشاره في الكون وبعثه لوسائل الحياة.

**وأمـا النور الأحمر** فهو ركن العرش الأيسر الأسفل والمعبر عنه بالطبيعــة الكلية والملك الموكل بــه جبرئيل وعنه يصدر الخلق وهو مرتبــة القضاء التي هي آخر مراتب الإيجــاد وهو ما يفسر ظهور الزهراء به في آخر ساعات اليوم وهي ساعة غروب الشمس ووقت صــلاة المغرب، وذلك لأنها في كل هــذه الأمور مظهر من مظاهر الولاية الكلية المطلقة كباقي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين والله أعلم.

٧- أنها صاحبة التسبيحة الشريفة التي عرفت باسمها واشتهرت بتسبيحة الزهراء عليها السلام والتي علمها إياها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله حينمــا جــاءت تسأله خادمة تعينهــا في أعمال المنــزل فقال لها: «**يـا فاطمــة ألا أعطيـك ما هو خير لك من خادمــة، ومن الدنيا ومــا فيهــا: تكبريــن الله بعــد كل صــلاة أربعاً وثلاثــين تكبيرة،**

**وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين تحميده، وتسبحين الله ثلاثاً وثلاثين تسبيحه ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، وذلك خير لك من الذي أردت ومن الدنيا وما فيها»**[1].

فصار لهذه التسبيحة ثواب عظيم لا يحصيه إلا الله تعالى يأتي بها المصلي في أعقاب صلواته فتكون مكملة لها وجابرة لنقصها وخللها، فهي من مختصاتها وثوابها كله لها صلوات الله عليها بعدد أنفاس المسبحين والذاكرين إلى قيام يوم الدين.

(١) مفتاح الفلاح: ٢٧٦.

# أنوار الولاية

لقد كان مولده صلوات الله عليه في الثالث عشر من شهر رجب فــي سنــة ثلاثين من عام الفيل في قلب الكعبــة المشرفة التي هي مركز الأرض ومحل دحوها بهذه الكيفيــة الإعجازية حيث انشق الجدار لأمــه الطاهرة وأمرت بالولوج إلى داخل الكعبة ثم انطبق الجدار عليها وبقيت في داخلها ثلاثة أيام في ضيافة الله ليتم الله مقاديره وليتحف العالم بهذه التحفة الإلهية القدسية الطاهرة ثم انشق الجدار مرة أخــرى لتخرج منه السيدة فاطمة عليها السلام وهـي تحمـل نور الله الــذي أبى الله إلا أن يتمه ولو كــره الكافرون ووليه الأعظم الذي كانت به خاتمة الأولياء والأوصياء، وكان له من قبل ذلــك في السماء الرابعة هناك في البيــت المعمور أيضاً المحاذي للكعبة الشريفة وهو البيت الذي تطوف به الملائكة منذ أربعة آلاف عام ولادة سماوية مطابقة لولادته في الأرض.

ولا عجب في ذلك أليس هو حجة الله على أهل الأرض والسماء وقطب عــالم الإمكان كما قال عليه السلام في خطبتــه الشقشقية: «**أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى إلى الطير**»[1].

---

(١) علل الشرائع: ١/١٥٠، أمالي الطوسي: ٣٧٢.

ومـن قبـل هذا وذاك كانت لـه صلوات الله عليـه ولادة نورانية مقدسة تسبق ذلك بكثير حينما خلقه الله تعالى والأئمة المعصومين عليهم السلام قبل خلق الخلق بألف دهر في بعض الروايات وفي بعضها الآخر بأربعة عشر ألف عام كما في الرواية عن محمد بن الحسـين رفعه عن عمرو بن شمـر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قـال: «**إن الله خلـق أربعـة عشـر نوراً مـن نور عظمتـه قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا**»[1] فأضاء بنورهم صفحة الوجـود وجعلهـم خلفاءه علـى من سـواه وفرض ولايتهـم عليهم السلام على كل ما ذرأ وبرأ.

روى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه وآله من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله وهـو نور لاهوتيته الذي ابتدأ من لاه أي من إلهيته من أيتيته الذي ابتدأ فيه وتجلى لموسى بن عمران في طور سيناء فما استقر له ولا طـاق موسى لرؤيته ولا ثبت له حتـى خر صاعقاً مغشياً عليه وكان ذلك النور نور محمد صلى الله عليه وآله فلما أراد الله أن يخلق محمداً منه قسم ذلك النـور شطرين فخلق من الشطـر الأول محمداً ومن الشطر

(١) بحار الأنوار: ٢٥/٤.

الآخر علي بن أبي طالب عليهما وآلهما الصلاة والسلام ولم يخلق مـن ذلك النور غيرهما خلقهما بيده ونفخ فيهما بنفسه من نفسه وصورهمـا على صورتهما وجعلهمـا أمناء له وشهـداء على خلقه وخلفـاء على خليقتـه وعيناً له عليهم ولساناً لـه إليهم قد استودع فيهما علمه وعلمهما البيان واستطلعهما على غيبه وجعل أحدهما نفسـه والآخر روحه لا يقوم واحد بغـير صاحبه ظاهرهما بشرية وباطنهما لاهوتية ظهرا للخلق على هياكل الناسوتية حتى يطيقوا رؤيتهما وهو قوله تعالى ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾، فهما مقـام رب العالمين وحجاب خالق الخلائـق أجمعين بهما فتح الله بدأ الخلق وبهما يختم الملك والمقادير»[1].

وكان وجـوده المقدس محور وجـود الأشياء فـي جميع المراتب والعـوالم إذ أنهـا وجدت مـن فاضل أشعة أنـواره عليه السلام فكان هو الحجـة عليهـا والحافظ لها حيـث كان محل مشيئـة الله ولسانه الناطـق ويـده الباسطة وعينـه الناظرة في خلقه فـكان له وجود حقيقـي وواقعـي في جميع هـذه العوالم وفي جميع هـذه المراتب يلبس لكل عالم لباسه المناسب له ولكل مرتبة صورتها الملائمة ألم

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ٣٩٤.

يقـل هو عليه السلام في حديث النورانيـة: «**أنا آدم أنا نـوح أنا إبراهيم أنـا موسى أنا عيسى أنا محمـد أتقلب في الصور كيف أشاء من رآني فقـد رآهـم ومـن رآهـم فقـد رآني ولـو ظهـرت للناس في صورة واحدة لهلك في الناس وقالوا هو لا يزول ولا يتغير**»[1].

ومثالـه ظهور صورة الشاخص في المرايا المتعددة عند الوقوف أمامها والتوجه إليها حسب صفائها ونقائها عن الكدورة والكثافة والأوساخ فكلما كان الأمر كذلك كان ظهور الشاخص فيها أوضح وتجليـه أتم وإذا كان بعضها صافياً وبعضها الآخر كثيفاً ظهر في كل منهـا بحسبهـا وإلا فظهوره في حد ذاته ظهـور واحد لا تعدد فيه، وكذلك أمير المؤمنين فهو كالشمس الساطعة والأنبياء عليهم السلام خلقوا من فاضل أنواره صلوات الله عليه فهم بمثابة المرايا المستقيمة الصافية التي تحكي بصفائها صورة الشمس وظهورها لا حقيقتها فيصح أن نقول أن الصورة المنطبعة في كل مرآة منها أنهـا هي الشمس تظهر فيهـا جميعاً وهي في معـزل منها جميعاً وأمير المؤمنين يلبس صور الأنبياء لأنهم ظهوره وإشراقاته وأقرب مـا يكونون إلى مبدئهم عليه السلام وهو أولى بصورهم منهم لأنها منه ذلك أن المنير أولى بالشعاع من نفس الشعاع لأن له الولاية عليه.

(١) صحيفة الأبرار: ٨٥.

ومن هنا نفهم سر وجـوده الدائم مع الأنبياء والمرسلين والأمم السابقة والغابرة منذ القدم وظهوره في الصور المختلفة والألبسة المتعـددة لأنه حجـة اللّه عليهـم والواسطـة في إيصـال الفيض إليهـم فإذا ما انقطعت الواسطة ولو للحظة واحدة انقطع الفيض والمـدد النازل من خزائن الكريم الوهاب إلى أرض القابليات وهو المحامـي صلـوات اللّه عليه عن دين اللّه فـي كل العصور والمؤازر لأنبيائه ورسله في سبيل تبليغ دعوتهم إلى الناس ومحاربة الكفار والجاحدين بـدءاً من نوح الذي حمله فـي السفينة مروراً بيونس الذي أخرجه من بطن الحوت، ومجاوزته بموسى بن عمران البحر وإخراجه إبراهيم من النار بإذن اللّه تعالى انتهاء بمؤازرته للنبي الكـريم محمـد ﷺ ووقايته له بنفسه وخوض المعارك والحروب الكثـيرة بين يديه إعلاء لكلمـة اللّه ودحراً لكلمـة الكفر والباطل وتحملـه لـلآلام الكثـيرة والمصائب الشديـدة وتضحيتـه بروحه وبزوجه وعياله وما يملك في سبيل اللّه.

ولا يحمـل مثل هـذه المسئوليـات الجسيمة إلا أصحـاب الهمم العاليـة والخشونة فـي ذات اللّه والإيمان الصلب الراسخ الذي لا يحـول ولا يتزلزل إذ هم أصلـه ومعدنه، ولما علم اللّه منهم الوفاء

والإخلاص ألبسهم حلة الإصطفاء وكساهم ثوب المهابة والبهاء وجعل أمرهم أمره ونهيهم نهيه وطاعتهم طاعته والانقياد لهم انقياداً له جل وعلا.

واعلم أخي المؤمن أن ولاية علي هي حقيقة التوحيد وأصل الإيمان فلا وحدّ اللّه من وحدّه ولا أقر برسالة نبيه من أقر وهو جاحد لولايته عليه السلام فهي وصف اللّه سبحانه نفسه للخلق ومحل ظهوراته وتجلياته لهم وإنما نجا من نجا لتمسكه بهذه الولاية وهلك من هلك لبراءته منه.

روى الشيخ الطوسي في أماليه بإسناده إلى جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليهم السلام أن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: **«أنت الذي احتج اللّه بك في ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحاً فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: ومحمد رسولي؟ قالوا: بلى، قال وعلي بن أبي طالب وصيي فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتوا عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين»**[1].

ولذلك صارت هذه الولاية هي طريق الخلق إلى توحيد اللّه

(١) أماللي الطوسي: ٢٣٢.

وإخلاص العبادة له وانقيادهم إليه بحيث صار الجاحد لها جاحداً لله ورسولـه وقـد ورد في الحديث القدسي قولـه تعالى: «**أقسمت بعزتي وجلالي أني أدخل الجنة من أطاعه وإن عصاني وأقسمت بعزتي وجلالي أني أدخل النار من عصاه وإن أطاعني**»[1]، ذلك لأن العلاقـة بين ولاية علي وبين عبادة الله علاقة مطردة تناسبية وليسـت علاقة عكسيـة فلو أتى العبد ربه يـوم القيامة بولاية علي فقـد أتـاه بأكبر طاعاتـه التي افترضهـا عليه فتقصـر دونها كل الذنـوب، ولو أنه أتاه ببغض علي فقد أتاه بأكبر معاصيه التي نهاه عنها فتقصر دونها كل الطاعات.

(١) إرشاد القلوب: ٢/٢٥٧.

# وأشرقت الأرض بنور ربها

السلام على الغائب الذي لم يغب والحاضر الذي لا يزال، الشاهد على كل نفس بما عملت والقائم عليها بما قدمت وأخرت، السلام على الذي أحاط الله أمره كله بالغيب والأستار وجعله القائم مقامه في جميع الأكوار والأدوار، السلام على مجدد الفرائض والسنن ومحيي الشرائع والحدود.

الحمد لله الذي جعل الإيمان به دليلاً على كمال اليقين والإيمان وموجباً لنيل رضا الرحمن وعلامة على وجود الخالق المنان وقبلة للمتقين الذين ذكرهم الله في القرآن فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، ولعمر الله إن خفاء أمره عجل الله فرجه الشريف لينطوي على معان عظيمة وحكم بالغة لذوي القلوب والبصائر منها أنه يدل على خلافته لله الذي هو غيب الغيوب والأثر يوافق صفة مؤثره دائماً ولا يتخلف عنها أبداً، ولما كان لكل واحد من المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين صفة يتميز بها عن الباقين وتكون محل تجليات الله فيه وانعكاس لآثاره

(١) سورة البقرة: آية ٢-٣.

وإشراقاتـه ظهر الحجة عَلَيْهِ السَّلَامُ بصفة الخفاء فكان خفاؤه هو عين ظهوره وسـره هو عين علانيته حاكياً بذلك صفـة معبوده وخالقه تبارك وتعالى، ومنها أن هذا الأمر فيه دلالة على أن شأنه عجل الله فرجـه الشريف مرتبط بالغيب قائم علـى إصلاح الجانب الغيبي في الإنسان المتمثل في الاهتمام بالعقائد والأفكار وتزكية النفس وتنقيـة الباطن، وعدم الاقتصار على الجانب الحسي القائم على إدراك الحواس الظاهرة والركـون إلى الشهـوات المادية والميول الحيوانية، ومن هناك فكلما زاد الإنسان من عنايته بجانبه الغيبي ومارس الرياضات المختلفة في سبيل تهذيب نفسه وتصفية روحه من الشوائب والأكدار وانقطع بكليته إلى الواحد القهار، كلما كان أكـثر استحقاقاً لتلقي الفيوضـات المهدوية ومحلاً لانعكاس الآثار القدسيـة والإشراقـات الإلهية المنبعثة من صبـح الأزل التي تلوح علـى هياكل التوحيد في كل عالم بالخـير والبركة، ومنها أن هذا الأمر موافق للغاية التي أبدع الله سبحانه وتعالى الخلق من أجلها وهي الامتحان والاختبار كما قال جل وعلا في محكم كتابه الكريم ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1]، وجعل المعصومين عليهم السلام هم المحك الحقيقي والاختبار

(١) سورة المؤمنون: آية ١١٥.

الأعظم للإيمان به سبحانه في كل العوالم فمن أقر بولايتهم فاز ونجا ومن جحدها خسر وهوى حتى وإن آمن بالله ورسوله لأنه لا نفاق في الولاية لقول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام أمير المؤمنين: «**يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»(١)، فما آمن بالله ورسوله من جحد ولايتهم وما جحد بالله ورسوله من أقر بولايتهم إذ أن كل واحدة منهما في الحقيقة هي عين الأخرى ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾(٢)، ومن هنا جعل الله غيبة القائم محكاً للامتحان والاختبار ليعلم الله من يخافه بالغيب ومن يثبت على إيمانه ممن يتزلزل ويحيد عنه كما في البحار عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «**لتمخضن يا معشر الشيعة شيعة آل محمد كمخيض الكحل في العين لأن صاحب الكحل يعلم متى يقع في العين ولا يعلم متى يذهب فيصبح أحدكم وهو يرى أنه على شريعة من أمرنا فيمسي وقد خرج منها، ويمسي وهو على شريعة من أمرنا فيصبح وقد خرج منها**»(٣)، وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**يا منصور إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس لا والله حتى تميزوا، لا والله حتى تمحصوا، لا والله**

(١) أمالي الطوسي: ٢٠٦.
(٢) سورة الأنفال: آية ٤٢.
(٣) البحار: ٥٢/١٠١.

**حتـى يشقى مـن يشقى ويسعد مـن يسعـد»**[1]، ومنها أن انتظار فرجه الشريف وترقب خروجه باعث على العمل المتواصل، وحافز على الكـد والاجتهاد في سبيل تكميل النفـس والاستعداد لخدمة ساحـة القدس كمـا أن الإنسان إذا ترقـب أمراً تهيأ لـه واستعد بكامـل أسبابـه وأدواته حتـى يلقاه إذا نزل بساحتـه وهو على أتم الاستعـداد، وليس ذلك -كما يحلو للبعض أن يعتقد- مدعاة إلى الكسـل والركون إلى الراحـة والدعة وترك الأخـذ بالأسباب فإن ذلك كله مخالف للغاية التي من أجلها غاب صاحب الزمان ولهذا كان انتظـار الفرج بالمفهوم الأول وهو العمل والجد والحرص على اغتنـام فرص الحيـاة هو المفهـوم الصحيح لانتظـار الفرج وهو العبادة بعينها كما ورد عن جابر قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السلام ونحن جماعة بعدما قضينـا نسكنا فودعناه وقلنا له: أوصنا يابن رسـول الله فقال: **«ليعن قويكم ضعيفكم، وليعطف غنيكم على فقيركم، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه، واكتموا أسرارنا ولا تحملـوا الناس على أعناقنا، وانظـروا أمرنا وما جاءكم عنا، فـإن وجدتمـوه فـي القـرآن موافقـاً فخـذوا بـه، وإن لم تجدوه موافقـاً فردوه وإن اشتبه الأمـر عليكم فقفوا عنده، وردوه إلينا**

(١) البحار: ٥٢/١١١).

**حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا فإذا كنتم كما أوصيناكم ولم تعدوا إلى غيره فمات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيداً، ومن أدرك قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين، ومن قتل بين يديه عدواً لنا كان له أجر عشرين شهيداً»**[1]، ومنها أن أمره الشريف لما كان مقام النيابة العامة والولاية الكلية المطلقة عن الله تعالى اقتضى ذلك أن تكون أحكامه وحدوده وشرائعه جارية مجرى العلم الإلهي المحيط بجميع الأشياء لا وفقاً للشهود والبينات والدلائل الحسية المحدودة بحدود العقل الجزئي، ولهذا إذا خرج القائم عجل الله فرجه الشريف يقضي بغير شهود ويحكم بغير بينة بل يقضي بعلمه الواقعي الذي هو عين علم الله الحادث تبارك وتعالى كما ورد عن الحسن بن طريف قال: كتبت إلى أبي محمد العسكري عليه السلام أسأله عن القائم إذا قام بم يقضي بين الناس؟ وأردت أن أسأله عن شيء لحمى الربع فأغفلت ذكر الحمى فجاء الجواب: «**سألت عن الإمام فإذا قام يقضي بين الناس بعلمه كقضاء داود عليه السلام لا يسأل البينة»**[2]، ومنها أخيراً أن هذا الأمر يمكن الإمام عليه السلام من القيام بمختلف مهام الإمامة

(١) البحار: ١٢٢/٥٢.

(٢) البحار: ٣٢٠/٥٢.

فــي زمان الغيبة من حفـظ دماء الشيعة وتفقـد أحوالهم وقضاء حوائجهم وحياطتهم من أعدائهم ونشر علومهم وجواب مسائلهم والمشاركة في أفراحهم وأتراحهم وتسديد علمائهم إلى غير ذلك كمـا جاء في التوقيـع المقدس من قبله عجـل الله فرجه إلى شيخ الطائفة الشيخ المفيد عليه الرحمة حيث يقول عليه السلام: «**فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ومعرفتنا بالزلل الـذي أصابكم مُذ جنح كثير منكم إلى مـا كان السلف الصالح عنـه شاسعاً، ونبذوا العهـد المأخوذ منهم وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمـون، إنـا غير مهملـين لمراعاتكم ولا ناسـين لذكركم ولولا ذلـك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء**»[١] حتى يحين موعد قيـام دولته المباركة وتشـرق الأرض بنور ربها، كل ذلك يؤديه وهو فــي أمان من غـدر طواغيت الزمان وتربصهم بـه والاحتيال في التنكيل به أو قتله.

(١) الاحتجاج ٢/٤٩٥.

# أبو طالب عليه السلام

مـع إطلالة هـذا الشهر الكـريم في كل عـام، ينهـل المؤمنون من عطايـاه الفياضـة ويرتشف العارفـون من إنعاماتـه السابغة ويتسروحـون نسائمه العطرة، ويستحضرون في عقولهم وأواحهم وأنفسهـم وأمـام أعينهـم البطولات الماثلـة في هـذا الشهر بكل أنفـة المتدفقـة بتضيحاتها وعطاءاتهـا وإيمانهـا الراسخ العميق بالله الواحـد القهار، ويقف في مقدمـة الشخوص المجسدة لهذه البطـولات الأصيلـة عبدمنـاف (أبو طالب) عـم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ووالد النبأ العظيـم عليه السلام، ذلك العملاق الشامخ الذي قدم للتاريـخ وللأجيال من بعـده دروساً رفيعة فـي التضحية والفداء ونكران الذات، والكفاح المتواصل من أجل المبدأ والحقيقة.

رحل عـن هذه الدنيا وهو يحمـل بين حناياه أحزانـه وأشجانه ولوعتـه بنكران الناس على طول الزمـان لفضله ومكانته الرفيعة وشكهـم البغيض بإيمانـه واعتقاده بخالقه العظيـم لمجرد أنه لم يتلفـظ بالشهادتـين -على حـد زعمهم- مع أنه قـد صرح معظم علمائهـم ومنهم التفتازاني في شرح المقاصد والكمال بن الهمام في المسايـرة وابن حجر في شرح الأربعـين والنووي في الروضة

وغيرهـم أنـه لا يشترط لفـظ الشهادتـين بخصوصهمـا لإثبات إسلام صاحبهما وإيمانـه وأن الإيمان ينعقد بغير اللفظ المعروف إذا كان مؤدياً لنفس المعنى كأن يقول لا إله غير الله أو سوى الله أو ما عدا الله أو ما من إله إلا الله أو لا إله إلا الرحمن أو لا رحمن إلا الله أو كأن ينشأ ذلك المعنى شعراً لا نثراً فقط، فكل ذلك عندهم كاف لدخـول صاحبه في زمـرة الإسلام وجريـان جميع أحكامه عليـه، وقد ورد في التاريخ أن أبا طالـب قد صرح بهذه المضامين التوحيديـة التي تدل علـى إيمانه بالله ورسلـه وبالكتب السماوية واليوم الآخر وغيرها مـن أصول الإسلام في غير موضع علي أنه أنشأها شعراً فـي الكثير من هذه المواضع ولم ينشئها نثراً إلا في القليل النادر منها كقوله عليه السلام:

**ألم تعلمـوا أنا وجدنا محمداً رسـولاً كموسى صح ذلك في الكتب**

وكقوله:

**ولقـد علمت بـأن دين محمد مـن خـير أديـان البريـة دينا**

وكقوله في النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

**حليم رشيد عاقل غير طائش يـوالي إلهـا ليس عنـه بغافل**

ولم يكـن دفاع أبي طالب عن ابن أخيـه وحمايته له والذب عنه

مـن باب الحمية والعصبية الجاهلية التي كانت سائدة بين العرب وبخاصـة فيمـا يكون بـين الأهل والأقـارب والعشـيرة -كما يحلو للبعض أن يصور- وإنما كان ذلك عن إيمان راسخ بصدق الدعوة ويقين كامل بخالق السماوات والأرضين وبرسالته التي أنزلها على النبـي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يتضـح ذلك من بعض المواقـف التي لا يصدر صاحبهـا عـن انفعال قومي أو عصبية جاهليـة أو إجارة عمياء لا تسمع ولا تبصر وإنما عن قلب مطمئن بالإيمان كقوله لابنه جعفر عندما رأى ولـده علياً عليه السلام يصلي إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا بنـي صـل جناح ابن عمـك**»، فإن هذا الموقـف برمته موقف ديني عبـادي لا مجال فيه للحمية والعصبية، ومنها الرواية الواردة عن أبـي رافع مولى رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: سمعت أبا طالب يقول بمكة: «**حدثنـي محمـد بن أخـي أن ربه بعثـه بصلة الرحـم وأن يعبده وحده لا يعبد معه غيره ومحمد عندي الصادق الأمين**».

فإذا كان يعلم أن ربه أمره بعبادته وحده وأنه عنده صادق أمين ثم لا يمتثل لما يقول ولا يخضع للحق إن هو إذن إلا رجل به جنة أو رجـل شاذ لا يتبين سواء الصراط وقد ثبـت في التاريخ بأنه كان علـي عكس هـذه الأوصاف، ومنها خطبته عليه السلام فـي زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي ذكر الله تعالى فيها وأثنى عليه فكان مما قاله: «**الحمد**

**لله الـذي جعلنا من ذريـة إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس»**.

ومنها توقف استمرار الدعوة الإسلامية وانتشارها على وجوده وحمايتـه للنبـي والذب عنه حتـى إذا توفـي وانتقـل إلي الرفيق الأعلـى نزل عليه جبرئيل وطلـب إليه الخروج مـن مكة والهجرة إلى يـثرب قائـلاً للرسول: «**اخرج فقـد مات فيهـا ناصرك**»، فقد وصفتـه السمـاء بالناصـر وهذا الوصـف وفق المنظـور الإلهي لا ينبعث من دواعي العصبيـة والحمية الجاهلية والنسب والقرابة، تلك الدواعي العمياء التي لا يصدر صاحبها عن فهم ووعي كاملين لأغراضها وأهدافها بل هي تصرفات هوجاء وأفكار عمياء يتخبط فيها الجاهلون بدوافـع الحمية والعصبية حتى يرتطموا منها في مهـاوي الجحيم وإنما النصرة سلـوك متثبت واع وتصرفٌ ناضج يصـدر عن إيمـان عميق بحقيقـة الرسالـة واقتناع تـام بصحة الدعـوة، إيمان يبعث صاحبه علي التضحية بكل ما يملك من أجل معتقده -حتى بأولاده وهذا ما تفتقده العصبية الجاهلية- وتحمل كافـة المكاره والصعاب في سبيل انتصار المنهج الذي يراه أنه هو الحق الصراح.

ومـن دلائل إيمانـه عليه السلام أن المؤرخين قد اتفقوا جميعاً لم يشذ منهم أحد على أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحب عمه أبا طالب حباً شديداً كما كان عمه أيضاً يبادله نفس الحب، ولا شك أن تصرفات النبي صلى الله عليه وآله كلهـا قائمة على أساس الشرع والحكمة وأن منشأها عن أمر الله تبارك وتعالى لا عن العصبية والهوى، فإذا علمت ذلك تيقنت أن حـب النبي لعمه إنما كان بأمر الله والله سبحانه لا يأمر النبي والمسلمـين بحب الكافريـن ومودتهم لقوله تعـالى ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1]، فثبـت ذلـك أن أبـا طالب حيث ثبتت محبـة النبي لـه كان مؤمناً مستكمل الإيمان بصريـح القرآن، أضف إلى ذلك أن القول بكفر أبي طالب وإظهار الكراهيـة والعداوة له فيه إيذاء للنبي وتجاسر علـى قدسيته لما علمت مـن مكانة عمه عنده وخاصتـه لديه، وأن إيـذاء النبي من علامات الكفر ومما يستوجب العذاب الأليم كما صـرح بذلك رب العزة فـي كتابه الكريم فقـال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[2].

(١) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٧.

ومـن دلائل إيمانه أيضاً قوله عليه السلام: «**أنا على ملة عبد المطلب**» وإذا ثبـت أن عبد المطلـب كان علـى الملة الحنيفية لقـول الرسول الكـريم صلى الله عليه وآله : «**لم أزل أنقل مـن أصلاب الطاهريـن إلى أرحام الطاهـرات**»، فهـذا يـدل علـى أن عبد المطلـب الذي هو مـن آباء النبـي وأصلابـه كان مؤمنـاً موحـداً لأن الكافـر لا يوصـف بأنه طاهـر بل الكفر والإلحاد رجس ونجس وخباثة، وبما أن أبا طالب قـال إنني على ملة عبد المطلـب فثبت إذن أنه مؤمـن موحد أيضاً كأبيـه عبد المطلب، ومما يدل علـى هذا المعنى الرواية الواردة عن ابـن عباس قـال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسـري به إلى السماء السابعة ثم أهبط الأرض يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام: «**يا علي إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين مـن نور جلالـه فكنا أمام عرش رب العالـمين نسبح الله ونقدسه ونحمـده ونهللـه قبـل أن يخلـق السمـوات والأرضين فلمـا أراد أن يخلـق آدم خلقنـي وإيـاك من طينـة واحدة مـن طينة عليين وعجننـا بذلك النور وغمسنا في جميع الأنوار وأنهار الجنة ثم خلـق آدم واسـتودع صلبه تلك الطينة والنـور**.. إلى أن قال النبي صلى الله عليه وآله : **يـا علـي فكانـت الطينـة فـي صلـب آدم ونـوري ونورك بين عينيـه فمـا زال ذلك النـور ينتقل بين أعين النبيـين حتى وصل**

**النور والطينة إلى صلب عبدالمطلب فافترق نصفين فخلقني الله من نصفه واتخذني نبياً ورسولاً وخلقك من النصف الآخر واتخذك خليفة على خلقه ووصياً ووليا»**[1].

فانظر كيف صرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانتقال نوره ونور علي عليهما السلام في أصلاب النبيين والمرسلين والطاهرين حتى انتقل ذلك النور إلى صلب عبد المطلب فافترق نور النبي إلى صلب أبيه عبد الله وافترق نور علي إلى صلب أبيه أبي طالب، فليت شعري كيف يكون هذا الصلب كافراً ومشركاً ثم يحمل النور وقد علمت أن الكفر والشرك رجس ونجس وظلم لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2] وقد طهرهم الله تعالى من جميع أنواع الأرجاس والنجاسات كما صرح بذلك في كتاب الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ومن أنواع الرجس التي طهرهم الله عنها خباثة المولد ونجاسة الجاهلية، وقد علمت ارتباط هذه الخباثة وهذه النجاسة بالكفر والشرك والإلحاد كما في الآية السابقة، ولا ارتباط لها بالنور والإيمان فإذا ثبت أن صلب أبي طالب يحمل نور علي ولا يحمل

(١) صحيفة الأبرار: ١/١٥١.
(٢) سورة التوبة: آية ٢٨.

النــور إلا النــور لأنه من جنسه وسنخه ومن معــاني النور التوحيد والإيمــان ثبــت إذن أن أبــا طالب يحمــل في وجوده المبــارك نور التوحيـد والإيمـان بصريـح قـول الرسـول الكـريم فـي الرواية السابقـة، وبالجملة فإن المدار في الكفر والإيمان قبول ولاية أمير المؤمنــين وأهل البيت عليهم السلام وما دام أمير المؤمنين قد ثبت حبه لوالــده ورضاه عنه وتغسيله وتكفينه بعـد مماته وبكاؤه عليه ممــا يدل علــى أنه كان حاملاً لولاية ولده ولهــذا استحق منه هذا التكريم الذي هو في الحقيقة تكريم من الله سبحانه في حق هذا الرجل الشريف.

# معجزة رد الشمس

روى ابن شهر آشوب في المناقب (٣١٦/٢) قال روت أم سلمة وأسماء بنت عميس وجابر الأنصاري وأبو ذر وابن عباس والخدري وأبو هريرة والإمام الصادق عليه السلام: «**أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بكراع الغميم فلما سلم نزل عليه الوحي وجاء علي عليه السلام وهو على تلك الحال فأسنده إلى ظهره فلم يزل بتلك الحال حتى غابت الشمس والقرآن ينزل على النبي صلى الله عليه وآله فلما تم الوحي قال: يا علي صليت؟ قال: لا، وقص عليه فقال: ادع الله ليرد عليك الشمس، فسأل علي عليه السلام فردت عليه الشمس بيضاء نقية**»، وفي رواية أبي جعفر الطحاوي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**اللهم إن كان علي في طاعتك وطاعة رسولك فاردد الشمس فقام علي عليه السلام وصلى فلما فرغ من صلاته وقعت الشمس وبدت الكواكب**»، وفي رواية أبي بكر بن مهروية قالت أسماء: «**أما والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في الخشب**».

وبعد فإن هذه الحادثة من المعجزات المشهورة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام التي أكرمه الله بها في حياة النبي صلى الله عليه وآله، كما أكرمه بها مرة أخرى بعد منقلبه من قتال الخوارج في النهروان، ويستفاد من هذه المعجزة عدة عطاءات مباركة منها:

**أولاً**: فيهـا إشـارة إلى أن وقـت العصر متعلـق بأمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في بعض الروايات عنهم عليهم السلام من تعلق الأوقـات بهم على مدار اليوم فوقت الظهر مختص بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله ووقـت العصـر مختص بمولانـا أمير المؤمنـين عليه السلام ووقت المغـرب مختص بمولاتنا فاطمـة الزهراء عليها السلام ووقـت العشاء مختص بمولانا الإمام المجتبى ووقت الفجر مختص بمولانا الإمام الحسين عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

**ثانيـاً**: فيهـا دلالـة علـى اتصـال وقت الظهـر بوقـت العصر واعتبارهمـا وقتـاً واحـداً ممتداً حتى غـروب الشمس وأن وقت العصـر هو امتداد طبيعي لوقت الظهـر في التفاتة لطيفة إلى أن النبي متعلـق وقت الظهـر وأمير المؤمنـين متعلق وقـت العصـر همـا نفـس واحـد بصريح منطـوق القـرآن الكريـم ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1]، وأن أمير المؤمنين هو الامتداد الطبيعي لرسول الله صلى الله عليه وآله والمبلـغ عنه إلى جميع المخلوقات في كافـة أكوارها وأدوارها من حيث أنه حامل لواء النبي صلى الله عليه وآله.

**ثالثـاً**: دلالتها علـى ولايتهـم الحقيقية الواقعيـة الدائمة على

---

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

الأشياء كلها كليها وجزئيها شاهدها وغائبها جوهرها وعرضها صغيرها وكبيرها وتصرفهم فيها تصرفاً حقيقياً لا مجازياً -كما اعتبره من لا بصيرة له في العقائد- فالله سبحانه وتعالى أقدرهم على التصرف في الأشياء وأخضعها لأمرهم المباشر لا أنه هو سبحانه المباشر للفعل بسؤالهم إياه ذلك أنه جل عن مباشرة مخلوقاته وتنزه عن ملاءمة كيفياته من جهة، ولأنه سبحانه أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها من جهة ثانية، وقد جعلهم سبحانه أعظم أسبابه لهذا كان أمرهم أمره وطاعتهم طاعته لأنهم لا يفعلون إلا ما أراد الله ولا ينتهون إلا عما نهى الله عنه من حيث أنهم محال مشيئته وألسنة إرادته.

**رابعاً**: فيها إشارة إلى أن صلوات الله عليه هو حقيقة الصلاة ومعنى التوجه فيها إلى الله تعالى، فلا تفوته الصلاة ولا تكون قضاء -كما يتصور ضعفاء القلوب- الذين يدعون أن لا فائدة من رجوع الشمس مرة أخرى، وقد مضى الوقت الأصلي لأداء صلاة العصر، وأن الشمس إنما رجعت في وقت جديد لا علاقة له بالوقت الأصلى الأول ونحن نقول أن الشمس قد رجعت بعينها وأن الوقت الذي رجعت فيه هو بعينه الوقت الأول الأصلى ولكنهما

تلبسا بصورة ثانية وإلا فمادتهما -أي مادة الشمس ومادة الزمان- هي هي كما صرح بذلك حجة الإسلام التبريزي أعلى الله مقامه فـي كتابه (صحيفة الأبـرار) ممثلاً بعود الخـاتم الذي كسر ثم صيـغ ثانياً مـن عين المادة الأولى التي كانت لـه من فضة أو ذهب أو غيرهـا، فإنه حينئذ عين الخـاتم الأول وإنما تجددت له صورة وهـي لا تغير الحقيقة لأن العبرة في الاتحـاد إنما هي على المادة الشخصية وهي باقية فـي الحالين، وأنا أمثل لك مثالاً آخر يتضح لـك به حقيقة الحال فأقـول لو أنك عملت عمـلاً معيناً في زمان معـين وفي مكان معين ثـم استحضرت عملك هذا في ذهنك بعد مضـي مدة طويلة أو قصيرة فإنك إنما تستحضره بزمانه ومكانه الـذي عملته فيه بحيث أنـه لا يوجد في ذهنـك إلا مقروناً بذلك الزمـان وذلك المكان وليس بالوقت الـذي استحضرته فيه فتدبر، فصاحـب الإشراق الأعظـم والتجلـي الأتم إذا أراد فإنه يتسغني بظهـوره الكلي عن إشراق مراياه الجزئيـة وشموسه المحدودة بل أنها في الحقيقة تندك في جنب ظهورة التام صلوات الله عليه ولا يبقى لها ذكر ولا وجود، وإنما وجودها وإشراقها بظهوره وإفاضته وإيصـال المدد الإلهـي إلى العوالم جميعاً، وعليـه فإذا غابت هذه الشمس فإن شمسه لا تغيب وتسبيحه لا ينقطع وذكره لا يخبو كما

في الزيـارة الجامعة «**وأدمتم ذكره ووكـدتم ميثاقه**»، وإلى هذا أشـار النبـي صلى الله عليه وآله في هذه المعجـزة الشريفة بقوله: «**إنـه كان في طاعتـك وطاعـة رسولك**»، وكما أنك تتوجـه إلى الشيء بأسمائه وصفاته وأفعاله وأن علاقتك معه مقتصرة على ذلك لأنك لا تعلم ذاتـه ولا تدركها وإن كانت هــي المقصودة بهذا التوجه فقد جعلت هـذه الأسماء وهذه الصفات هــي حقيقة توجهك إليه فأنه لا فرق بينها وبينه في التعريـف والتعرف، كذلك معنى الصلاة وحقيقة الصلاة التـي مصداقها هم عليهم السلام لأنهم وجه اللّه وعينه ولسانـه لا فـرق بينهم وبين باريهـم من حيث التعريـف والتعرف كمـا في الزيـارة الجامعة «**من أراد الله بدأ بكم ومن وحده قبل عنكم ومن قصده توجه بكم**» والمصلي إنما يتوجه إلى صفات اللّه وأسمائه ولا يتوجه إلى ذاته لأنّه لا يدركها وإن كانت هي المقصودة من هذا التوجه وصفات اللّه وأسماؤه هم عليهم السلام فلا معنى للصــلاة إذن بنكران ولايتهم وجحدها التي هي في الواقع حقيقة الصلاة وحقيقة التوجه إلى اللّه في كل زمان ومكان.

# يسألونك عن الروح

الـروح هي كون جوهري برزخي تنتمـي إلى عالم برزخي أيضاً المعبر عنه بعـالم الرقائـق (أو عالم مبـادئ الصـور) بين عالم الجـبروت وعالم الملكوت فـي مرحلة وسطية بـين العقل الذي هو جوهر دراك مجرد عن المادة العنصرية والصور النفسية والزمانية المحيط بالأشياء بذاته فيكون محـل المعاني المجردة، وبين النفس التـي هي محل الصـور النفسيـة وشأنها التفصيـل والانتشار مع أنها مجردة أيضاً عن المـواد العنصرية والزمانية، فهي إذن -أي الـروح- ليست فـي التجرد كالعقل وليست فـي الكثافة والانتشار كالنفـس بل هي برزخ بينهمـا، فمقامها كما أوضح شيخنا الأوحد أعلـى الله مقامه في (شرح الزيارة) مقـام المضغة والعظام في خلـق الإنسـان مقارنة مع العقل الـذي هو مقام النطفـة والعلقة، والنفس التي هي مقام اكتسائه باللحم وإنشائه خلقاً آخر.

ولارتباطهـا الوثيق بما قبلها وهو العقل وبما بعدها وهي النفس فإنهـا أحياناً تطلق ويراد بها أحدهما فقد يراد بها العقل كما في قـول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أول ما خلق الله روحـي (أي عقلي)**»، وقد يراد بهـا النفـس حينما تقول قبض الله روحه (أي نفسـه)، وهي من

الأمـور الغيبيـة التي لا تـدرك بالحواس وإنما تـدرك بالآثار فهي إنمـا سكنت هذه البنيـة الظاهرة (أي الجسد) الـذي هو بمثابة بيـت لها وحبسـت فيه لما خيف عليها لو تركت فـي عالمها الفسيح أن تدعـي الربوبية كما دلت عليـه الأخبار وهذا الجسد هو بمثابة آلة تتوصل بتوسطه إلى العلوم الظاهرة والباطنة المودعة فيها ولما أريـد إنزالها إلى هذا العالم اقتضت طبيعـة الكون توسط النفس الفلكية الحيوانية الحسية لئلا تقع الطفرة في الوجود ولذلك قال اللّه تعـالى فـي شأنهـا ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡـرِ رَبِّي﴾[1]، تلميحاً إلى أنهـا لا توصف بشيء من الأمور الحسيـة ولا تعرف إلا بكونها من أمر الرب الغيبي هذا وللروح معان كثيرة في لسان القرآن الكريم والأخبار والروايات الصادرة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام منها:

**أولاً: روح القدس**: وهـو بعض إطلاقـات العقـل الكلـي وهو المسـدد لأشـرف الخلق وأهـل بيته عليهـم السلام وهـو عندهم بكليتـه، والمسدد لسائـر الأنبياء بوجه من وجوهـه لا بكليته، وهو روح العصمـة التي لا توجد إلا فـي الأنبياء والرسل والأئمة عليهم

(١) سورة الإسراء: آية ٨٥.

السلام تمنعهم من ارتكاب المعاصي صغيرها وكبيرها مع قدرتهم عليها وتمكنهم منها، وهي الروح التي سئل عنها إمامنا الصادق عليه السلام فقال: «**خَلْقٌ أعْظَمُ مِنَ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيل لَمْ يَكُنْ مَعَ أَحَد ممَّنْ مَضَى غَيْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهُوَ مَعَ الأَئِمَّةِ يُسَدِّدُهُمْ وَلَيْسَ كُلَّ مَاطُلِبَ وُجِدَ**»(١).

**ثانياً: الروح الكلية:** هي برزخ بين العقل الكلي والنفس الكلية الإلهيـة وهي ركن العرش الأيمن الأسفل والملك الموكل بها هو إسرافيل صاحب النور الأصفر الذي تصدر عنه الحياة وطبعه حار رطب، قال عنها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأعرابي «**أنها النفس الإلهية الملكوتية وهي جوهرة بسيطة حية بالذات أصلها العقل منه بدأت وعنه وعت وإليه دلت وأشارت وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ومنها بدأت الموجودات وإليها تعود بالكمال فهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق ومن جهلها ضل سعيه وغوى**».

**ثالثاً: الروح الأمين:** هو جبرئيل عليه السلام قال الله تعالى في شأنه ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

(١) الكافي: ١/٢٧٣.

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[1]، وهـو الحامـل لركـن العرشـ الأيسـر الأسفـل صاحـب النور الأحمر الذي يشرق عـن المرتبة الرابعة من مراتب الفعـل وهـي القضـاء وعنه يصـدر الخلق فهـو صاحـب الإيجاد وصاحب الوحـي والتبليغ إلى الرسل وصاحب الكسوف والخسوف والـزلازل والصيحات والصواعق وهو النازل علـى جميع الأنبياء والرسل بالتكاليـف والأوامر الإلهية المختلفة كمـا أنه النازل على الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام وإنما نزوله إليهم للخدمة أو لبيان ما أبهم على الناس فيما نزل على جدهم ﷺ أو وقـت أو شرط أو حان وقته وكلهـا تفريع وبيان لما نزل على جدهم ولم ينـزل عليهم بوحي مؤسس لأن الوحـي قد انقطع بموت النبي ﷺ، ولا يعنـي نزول جبرئيل على النبي بالوحـي وإخباره بالأمور والأحـداث المختلفة أنه أعلم مـن النبي أو أنه يحيط بهذه الأشياد قبل النبي كيف وقد خلق هو وجميع الملائكة على اختلاف مرابتهم ودرجاتهـم من شعـاع أنوارهم هو وأهل بيتـه عليهم السلام وهم المعلمـون لهم في جميع أطوارهـم وأدوارهم، وإنما يأخذ جبرئيل الوحي من رسول الله وينزل به إليه أي يأخذه من مقام عقله الكلي وينزله إلى صدره الشريـف، تماماً كالخواطر التي ترد على بالك

(١) سورة التكوير: آية ١٩-٢١.

فإنها تنزل من خزانة عقلك الغيبي إلى صدرك فتقول خطر على بالي كذا فهو ليس علماً جديداً لم تكن تعلمه من قبل، بل هو منك إليك (هذه بضاعتنا ردت إلينا).

**رابعاً: الروح النباتية:** المعبر عنها بالروح الطبيعية وهي التي تكون عند استقرار النطفة في الرحم وحتى بلوغها أربعة أشهر، وشأنها النمو فقط لا يوجد فيها حركة وانتقال ولذلك فإن الجنين في هذه المرحلة ينمو فقط ولا يتحرك في بطن أمه، وهذه الروح تتشكل من العناصر الأربعة الماء والتراب والنار والهواء بتقدير إلهي محكم فإذا مات الإنسان انحلت هذه العناصر وعادت إلى أصولها من الطبيعة وامتزجت فيها.

**خامساً: الروح الحيوانية:** المعبر عنها بالروح الفلكية وهي التي تكون عند الولادة الجسمانية حين بلوغ الجنين أربعة أشهر فتبعث فيها الحركة والانتقال إضافة إلى ما تبعثه الروح النباتية من نمو، وبهذه الروح يتمكن الإنسان من الانتقال والحركة واكتساب الأموال والغضب والشهوة والسطوة والبطش والفرح والحزن وغيرها من الانفعالات، وهذه الروح أيضاً كسابقتها تعود إلى أصولها بعد الموت وتمتزج بها.

**<u>سادساً: الـروح الإنسانيـة:</u>** المعـبر عنهـا بالـروح الملكوتية أو الناطقـة القدسيـة وهي التـي تكون عند خـروج الجنين من بطن أمه حيـاً أي عند الولادة الدنيوية، وبهذه الـروح يستطيع الإنسان أن يـدرك الكليات والأشياء الغائبة عن الحواس والتحليل والربط بـين المعاني والاستدلال من الآثار على المؤثرات ومن الشهادة على الغيب ومن العبودية على الربوبية وبهذه الروح تنتقش صور الأشياء فـي ذهنه الوقاد الدراك كما تنتقش في المرآة صور المحسوسات، وهـذه الروح لا تفنى بعد المـوت كسابقتيها بل هي باقية ترجع إلى عالمها بعد أن تلبس جسداً برزخياً تتنعم فيه أو تتعذب إلى أن تقوم الساعة.

واعلم أن وجـود الأجسام سابق على وجود الأرواح في الزمان، فهي -أي الأرواح- تتكون من الأجسام تماماً كالثمرة من الشجرة وكالحبـة فـي العـود الأخضـر ووجودها متوقـف علـى استقرار النطفـة فـي الرحم إذ أنها موجـودة في غيب النطفـة، وأما في الحقيقـة والذات فهي موجودة ومخلوقة قبـل خلق الأجسام وقبل خلـق السمـوات والأرض بأربعـة آلاف عام، ولذلك فـإن وجودها فــي الأجسام ليس وجـوداً ذاتياً وإنما تتعلـق بالجسم تعلق تدبير

وتصريف لذا إذا خاطبك أحد بخطاب معين سمعت هذا الخطاب بجسمك وآلاته الآن وأما معناه فإنك تدركه بروحك في مرتبتها من عالم الغيب أي قبل خلق السموات والأرض بأربعة آلاف عام.

وإذا كان للأرواح حياة وشعور وتميز واختيار فكذلك الأجسام التي تتعلق بها الأرواح تعلق تدبير لها أيضاً حياة وشعور واختيار ولكنها بنحو أضعف مما هي عليه في الأرواح وليست عديمة الشعور والحياة -كما توهمه بعض الفلاسفة الذين اقتصروا في إثباتهم العقلي إلى عود الأرواح فقط للحساب في يوم القيامة دون الأجساد استناداً إلى عدم وجود الحياة والشعور فيها- فيكون عودها لنفس العلة والسبب الذي تحشر به الأرواح غاية ما في الأمر أن الأرواح نور وجودي ذائب والأجسام نور وجودي جامد والفرق بينهما كما أوضح شيخنا الأوحد أعلى الله مقامه في (شرح العرشية) كالفرق بين الماء والثلج، ولأن الأعمال التي تصدر عن الإنسان في دار الدنيا إنما تصدر عن روحه وجسده معاً لا عن واحد منهما كان مقتضى العدل في يوم القيامة أن يكون الثواب والعقاب على طبق منشأهما وسببهما.

# من وحي الطف

ما أغرب هذا الشهر، ما زال يرينا من أمره عجباً، فكلما تطاولت السنون وأخلق الدهر زاد تجدداً وتألقاً، وزادت آثاره وعبره في النفوس نضارة وشباباً، وكأنه يمشي عكس الزمان أو كأنه سباح ماهر يسبح ضد الأمواج ويدافعها بصدره الصلب ليثبت أنه ذلك العملاق المتفرد الذي يتأبى على الصعاب ويتسنم ذروة الشموخ في كل موقف، وما زلنا نحن البشر جيلاً بعد جيل نستقي من عطاءاته المتجددة هذه عيوناً صافية، ونستلهم منه العبر والدروس لتضيء لنا الدرب في حالك الأيام إذا أدلهمت حولنا الخطوب وترادفت علينا الفتن كقطع الليل المظلم، وإن مما أنعم الله به علينا أن من علينا بالشدائد والبلايا والمواقف العصيبة وجعل الدنيا محفوفة بالشهوات والمصائب التي تواجه الإنسان طوال حياته فتصقله وتصلب عوده وتنضج شخصيته وتكشف له زيف الأقنعة التي يتخفى وراءها بعض الناس ليحجبوا به قبح وجوههم وخبث سرائرهم وفساد نياتهم فيعرف بذلك صديقه الوفي الذي أخلص له الود وأصفى له المحبة وأعطاه من نفسه في السر كما أعطاه منها في العلن، من عدوه اللئيم الذي يقابله بوجه باسم

طلق ويعطيه من لسانه ما حلا من الكلام وما عذب من الألفاظ ثم هو بعد ذلك يكيد له الغوائل ويحيك له الدسائس حسداً له وحنقاً عليه، ألم يكتب أهل الكوفة ممن كانوا يدعون أنهم من شيعة علي عليه السلام إلى الحسين ولده أن أقبل إلينا فإنا ناصروك ومانعوك من عدوك وإنما تقدم على جند لك مجندة وإننا ليس لنا إمام غيرك ولا رأي لنا بسواك حتى إذا بعث إليهم سفيره وابن عمه مسلم بن عقيل وجعله ثقته من أهل بيته وأحله من نفسه بالمحل الرفيع غدروا به وقلبوا له ظهر المجن وخلوا بينه وبين عدوه لم ينصره منهم ناصر ولم يعنه منهم معين حتى قضى بأبي وأمي حزيناً مكروباً شهيداً غريباً لم يراعوا له قرابته من رسول الله ومن أمير المؤمنين، ولم يحفظوا له حقاً ولم يفوا له بعهودهم ومواثيقهم التي عادوا عليها الحسين عليه السلام فتباً لهم وترحا، لقد كانوا والله في مندوحة عن هذا كله لو أنهم أخلصوا لأبيه أمير المؤمنين من قبل وبسطوا له قلوبهم كما بسطوا له أكفهم وألسنتهم، ولكنها غدرة جبلت عليها نفوسهم وعجنت بخبثها طباعهم فسفهت بذلك أحلامهم وعميت عليهم آراؤهم وبصائرهم، هلا أجالوا طرفهم في مناحي الطف ساعة بعد ساعة ليروا أصحاب الحسين عليه السلام كيف التفوا حول سيدهم وإمامهم وقائدهم كما يلتف الفراش

حـول النور، التفافاً يكشف عن عمـق إيمانهم بالله الواحد القهار وصـدق عقيدتهـم بصاحب الولاية الكلية فـي زمانه، وعن حبهم الخالص للحسين ووفائهم المطلق له وهم يفدونه بالآباء والأمهات ويوصـي بعضهم بعضاً بنصرته والـذب عنه والموت دونه ليس في ذلك فرق عندهم بين أن يحصل هذا مرة واحدة أو مرات عديدة متعاقبـة مـا دام في سبيل المبـدأ والعقيدة وهكـذا فلتكن الحياة وهكـذا فليكن الجهـاد وهكذا فلتكـن التضحية من أجـل الدين، عبقـات عطرة تنشر النسائم الرقيقـة شذاها في جنبات الحياة فيستروح بها المخلصـون، وقطع من النور النقي يتذوقها المؤمنون العارفـون فيستعذبون حلاوتها ويهتـدون بضوئها، وهل أجمل من أن يفتـح المـرء عينيه على الحياة فيجد فيهـا أصحاباً يرون الموت دونـه أحلى من العسل قد وطنوا عليه نفوسهم وهيأوا إليه متاعهم لا يجـدون لهم في الحياة من بعده حاجـة، استمع إلى همساتهم القدسيـة ونغماتهم الربوبية حينما طلب إليهـم الحسين في ليلة العاشـر من المحـرم أن يتفرقوا عنه وأن يعطـوا وجوههم للبيداء وأن يرجـع كل واحد منهـم إلى أهله فالقوم يريدونه ولو ظفروا به للهـوا عـن طلب غيره فقال لـه مسلم بن عوسجـة رضي الله عنه «**والله لا نخليك حتى يعلم الله أنّا قد حفظنا غيبة رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم

**فيـك، واللّه لـو علمـت أني أقتل ثـم أحيى ثم أقتل ثـم أحرق ثم أذرى يفعـل ذلـك بـي سبعين مرة مـا فارقتك حتـى ألقى حماي دونـك وكيـف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة العظمى التي لا انقضاء لها أبداً».**

وقـال زهير بن القـين رحمه اللّه «**واللّه لـوددت أننـي قتلت ثم أنشـرت ثـم قتلـت حتـى أقتل هكـذا ألـف مـرة وأن اللّه عز وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتـك**»، وقال جماعة أصحابه «**واللّه لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا فإذا نحن قتلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا**».

وانظـر إليهم في يـوم العاشر كيف يتدافعـون إلى المنية تدافع الزاهـد في الحياة المنصـرف بكليته عنها وهي حالة تحصل لهم فـي أوج إقبالهم علـى اللّه ومنتهي توجههم إليـه سبحانه وتعالى مخالفـين بذلك ما جبل عليه بنـي البشر وما ركبت عليه طباعهم مـن إيثار الموت والرغبة فيه متى ما ضعفت في نفوسهم النزعات الإيمانيـة بـاللّه وابتعدوا عـن طريق الحق وغمسـوا وجودهم في بحـور اللذة المحرمة والشهوات الحيوانية المتردية وانطفأت جذوة

الإنسانية في أرواحهم فيمتلأ وجودهم بالعقد والأمراض النفسية المتعـددة وتنقطع بذلـك حبال الوصل بينهم وبـين الحياة، فيكون غايـة ما يأملـه الواحد منهم أن يعمـد إلى نفسه فيطهرها بالموت عـن طريق الانتحـار أو يشلهـا بالسموم وغيرها، ولكـن أصحاب الحســين عليه السلام حالة إنسانية نادرة في عالم يتكالب على التنصل مـن النزعـة الإنسانية ما استطـاع إلى ذلك سبيــلاً، فهذا مسلم بـن عوسجة رحمـه الله بعد أن أبلـى بلاءً حسناً وقضـى ما عليه مـن حق تجاه الحسين وهوى إلى الأرض صريعاً أدركه حبيب بن مظاهر وفيه رمق من الحياة فسمعه يقول له: أوصيك بهذا رحمك الله وأهـوى بيـده إلى الحسين عليه السلام أن تموت دونـه، قال حبيب: أفعـل ورب الكعبة، وهذا وهب بن عبـد الله الكلبي ومعه أمه تحثه وتحفزه علـى نصرة الحســين والقتال دونه وزوجـه تمنعه وتنهاه وأمـه تقول له «**لا تسمع لها وقاتل فداك أبي وأمي دون الطيبين حرم رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم»، فقاتل حتى قتل رحمه الله، وهذان عبد الله وعبد الرحمـن ابنا عروة الغفاريان جاءا إلى الحسين عليه السلام وقالا له: يا أبا عبد الله عليك السلام حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعـك وندافع عنك قال: مرحباً بكما ادنوا مني فدنوا منه فجعلا يقاتلان قريباً منه حتى قتلا رحمهما الله.

وحسبك من هذا كله شهادة عدوهم فيهم حينما سأله عمر بن سعد: ويحك أقتلتم ذرية رسول الله ﷺ فقال: عضضت بالجندل لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضاريـة تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقـي أنفسهـا على الموت لا تقبـل الأمان ولا ترغـب في المال ولا يحـول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية أو الاستيلاء على الملك، فلـو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك[1].

يا أبـا عبدالله.. أقر الله عينك بأصحابـك وأهل بيتك وأعظم الله لـك الأجر فيهم فقد كانـوا والله كما قلت فيهم: «**إني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل ولا أفضـل مـن أهل بيتـي فجزاكـم الله عني خيـراً**»، وإننا اليوم سيدي لفي أمس الحاجة إلى أن نحذو حذوهم وأن نسلك جادتهم وأن نرصـد طريقتهم في الإيمان بـالله والاعتقاد بكم وبعلمائكم التابعين لكم والالتفاف حولهم كما التف أصحابكم حولكم والوقوف صفاً واحداً في وجه الأعداء والمنافقين والتواصي بالخير والحق،

(١) نفس المهموم للشيخ عباس القمي: ٢٧٤.

فإننــا واللّه لئن نصبح جماعة متحدة متآلفــة متكافلة تنعم بعزة اللّه أحــب إلينا من أن نحيــا أذلة متفرقين قد تعــددت بنا السبل وتفرعــت بنــا الطرائق فنكــون بذلك طعمة للعــدو وبهجة للحاقد والشامــت، فأســأل اللّه بالشأن الذي لك عنــده وبالمحل الذي لك لديه أن يصلح أمرنا وأن يجمع شملنا وأن يشعب صدعنا وأن يرتق فتقنا إنه على كل شيء قدير.

# فبهم ملأت سماءك وأرضك

هـذه الفقرة الشريفة موجودة ضمن دعاء للإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه يقرأ في كل يوم من أيام شهر رجب، وقد خطرت لي حولها عدة خواطر أحب أن أتعرض لها:

**الخاطـرة الأولى:** يفهـم مـن الباء في قولهـم (فبهم) معنى السببية والواسطية في الإيجاد كما تقول كتبت بالقلم أي بواسطة القلم فيكون القلم هو الحركة الإيجادية للكتابة التي مادتها الحبر أو الـدواة وصورها هي هيئة الحروف تتشكل بحسب قابليتها لهذه الحركـة كذلك ما نحن فيه أي أنهم هـم الواسطة عليهم السلام في إيجاد السماوات والأرض حيث إنهما وجدتا من فاضل أشعة أنوارهـم فتكون هـي مادتهما وأمـا صورتهما فهي قبـول ولايتهم عليهم السلام التي هي هيئات أحوالهم وأعمالهم وهي طبق ولاية الله عـز وجل ودليـل وحدانيته، وإنما جعلهـم الواسطة بينه وبين خلقه لما علم منهم الوفاء بما عاهدهم عليه والإخلاص في طاعته والسبـق في الإجابة إلى دعوته فجعلهم الحجج على بريته وخزان علمـه وألسن إرادتـه وخلقهم لأجله وخلق الأشيـاء لهم وبهم فهو سبحانه يخلق بهم ما يشاء لأنهم النور الأول الذي أشرق من صبح الأزل وخلق الممكنات بواسطة هذا النور من فاضل أشعته كما جعل

سبحانـه توجه الخلـق إليه عن طريقهـم وبواسطتهم فهم الأدلاء علـى الله، قـال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**بنا عـرف الله ولولانا ما عرف الله**»، وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأله ابن الكواء عن هذه الآيـة ﴿ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾[1] قـال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**نحن الأعـراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونحن الأعراف الذين لا يعـرف الله إلا بسبيـل معرفتنـا.. إلى أن يقـول: إن الله تبارك وتعـالى لو شاء لعرف العبـاد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه**»[2].

وقـال الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ فـي الزيارة الجامعة «**بكم فتح الله وبكـم يختـم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسـك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم ويكشف الضر**»، وهكذا تلاحظ بوضوح دلالة (البـاء) في الروايات السابقة على مقام الواسطية بالنسبة لهم عليهم السلام منهم يبدأ هذا الخلق وإليهم ينتهي.

**<u>الخاطـرة الثانيـة:</u>** قـد يفهم من هـذه الفقـرة أسبقية وجود السماوات والأرض على وجودهم الذي جاء لاحقاً ليملأ السماوات والأرض، وهذا المعنى يتنافى مع المعنى الأول، فأقول إن لهم عليهم

(١) سورة الأعراف: آية ٤٦.

(٢) أصول الكافي: ١/٢٣٩.

السلام وجودات مختلفة وظهورات متعددة أما وجودهم الحقيقي فهو قبل خلق الخلق وقبل إيجاد السموات والأرض بما لا يعلمه إلا اللّه تعالى ولا يحصيه عدداً إلا هو وهم كما ورد عنهم عليهم السلام إن اللّه خلقهم قبل الخلق بألف دهر أو بألف ألف دهر وكما ورد عن جابر بن يزيد الجعفي قال قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «**يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفضل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نسبح الله ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بدا لله تعالى أن يخلق المكان فخلقه وكتب على المكان لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ووصيه به أيدته ونصرته ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك ثم خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك ثم خلق الجنة والنار فكتب عليهما مثل ذلك**.. إلى آخر الرواية»(١).

قال شيخنا الأوحد أعلى اللّه مقامه في شرح الزيارة الجامعة

(١) صحيفة الأبرار: ١/١٦٠.

فــي شرح فقرة «**بكم فتح وبكم يختم**» مــن الدهور التي ذكروها عليهــم الســلام أنهم قبـل الخلق بألـف دهر وقد يعـبر عنه -أي الدهــر- بأربعين ألف عام أو ثمانين ألف عــام أو أربعة عشر ألف عام أو غير ذلك باختلاف مقامات التعبير، هذا لأن وجودهم علة لوجود الموجـودات ووجود الموجودات قائـم بوجودهم قيام صدور فهم أول صادر عن المشيئة لقول رسول الله ﷺ لجابر الأنصاري: «**أول مـا خلـق الله نـور نبيك يا جابر ثم خلق مـن ذلك النور كل خـير**» فلـم يكن موجـوداً في هذه العـوالم إلا هـم ولا يسمع فيها إلا تسبيحهـم وتهليلهـم وتقديسهـم ولم يكن فــي الوجود الكوني غيرهم وكان ظهورهم في الوجود مساوقاً لتحقق الإمكان الراجح ولم ينزلـوا إلى هــذا العالم ولم يظهروا فيه لأنــه لم يوجد بعد ولا يظهــرون فيما لم يكن ولم يتحقــق فلم يمكن ظهورهم فـي لا شيء فلما خلق الله تعالى هذا العالم وأشهدهم سبحانه خلقه أوجدهم فيه ولم يكونوا موجودين في هذا العالم إلا بوجود هذا العالم وهذا الخلق فكان ظهورهــم لهذا العالم نفسه تماماً كالشمس كما يمثل لها شيخنا الأوحد في شــرح الزيارة «**فإن أشعتها تظهر للأرض بالأرض ولـولا وجـود الأرض لم يكن هناك محـل لظهور أشعة الشمس مـع أنهـا موجـودة فـي رتبتهـا مـن الوجـود وهي غير**

**مفارقـة للشمس والشمس ليسـت فاقدة لها بحال من الأحوال، فجعلهـم حججـه علـى مـن دونه وشهـداءه علـى من سـواه في جميـع مراتب وجودهم من الأفئدة والعقول والأرواح والنفوس والطبائـع والمـواد والأشبـاح والأجسـام والأجسـاد والاعتقـادات والمتيقنات والعلوم والأعمال والأقوال والأحوال».**

**الخاطـرة الثالثـة:** فاعل كلمة (**مـلأت**) ضمير متصل تقديره أنت يعود إلى الله سبحانه في إشارة إلى أنه غيب الغيوب والمجهول المطلـق مـن جميع الجهات الـذي لا تدركـه الأبصـار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير المستتر عن إدراكات العقول وتخيلات الأوهام وخطرات الظنـون، وإنما ظهر لمخلوقاته بمخلوقاته تجلى لها بها وبها امتنع منهـا، ولذلك ناسب إضافة الاسم الظاهر في كلمتـي (**سمـاءك وأرضـك**) إلى الضمير وهو الـكاف للدلالة على المغايرة بين الاسم الظاهـر وهو المضاف وبين الضمير المتصل به وهـو المضاف إليه وأن الإضافة تكون إلى الاسم أو ما يتعلق به من ضمائـر وأسماء إشارة ونحوها وليس إلى الذات كما توهمه من لا بصيرة له من صدور الأشياء عن الذات وتعلقها بها وعودها إليها، بل إن جميع مخلوقاته وآثاره هي صفاته وأسماؤه وتجلياته صفات تـدل عليه ولا تكشف عنه، فلا يوجد اتحاد وتلازم بينه وبين خلقه

كما لا يوجد بين المضاف والمضاف إليه في قولك على سبيل المثال (كتابة علي) و(قلم زيد) فعلي منفصل عن الكتابة وزيد منفصل عـن القلـم ولا يوجد اتحاد بينهمـا وتلازم ذاتي بحيـث إذا عدم أحدهما عـدم الآخر معه وإنما هو ارتباط بياني للدلالة على تعلق الكتابـة بعلي والقلـم بزيد تعلقاً خارجياً بعيـداً عن حدود كونهما ومشخصـات وجودهمـا، واعلـم أن هـذه الإضافة وهـذه النسبة هي مـن أقسام الربـط الأربعة التـي أجمع الحكمـاء على تعلقها بالحـوادث فقط وأنها مـن صفات الخلق ولا دخـل لها في الذات المقدسـة جل ربي وعلا، وهذه النسب الأربع هي القيام الصدوري كقيام الأثر بفعـل مؤثره كما في المثال الأول الذي أوضحناه حيث أن نسبة الكتابة إلى علي نسبة الأثر إلى فعل مؤثره والقيام الثاني هو القيام الركني كقيام المركب بأجزائه كقولنا سطح الدار وبابها وجدارها وخشبها وهكذا فالدار متقومة بأجزائها هذه كلها قياماً ركنياً، والقيـام الثالث هو القيام الظهوري مـن قبيل انعكاس نور الشمـس على الأجسـام الكثيفة كالأرض وغيرهـا، والقيام الرابع هـو القيـام العروضي من قبيـل قيام الأعراض بالجواهر كقيام الألـوان بالأجسام، فكل هذه الإضافـات من شؤون الخلق وحدوده فلا تجري على الله سبحانه وتعالى.

# اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله

هـذه الفقرة الجميلة «**اللهم إني أسألك مـن جمالك بأجمله**» وردت فـي دعـاء السحـر لشهر رمضـان المبارك وهو مـن أدعية الإمـام الباقر عليه السلام وقد حفل الدعـاء من أوله إلى آخره بفقرات مماثلة لهذه الفقرة التي جاءت جميعها على صيغة أفعل التفضيل كقوله أيضاً عليه السلام في نفس الدعاء: «**اللهم إني أسألك من نورك بأنـوره وكل نـورك نير اللهـم إني أسألك بنـورك كله، اللهم إني أسألـك مـن رحمتـك بأوسعهـا وكل رحمتـك واسعـة، اللهم إني أسألـك برحمتـك كلهـا**» وهكذا وهي كما ترى مـن صيغ المفاضلة التـي يبحثها النحويون في كتبهم وهي من المشتقات الإسمية التي تصاغ على هذا الوزن (أفعل) للدلالة على اشتراك شيئين أو أكثر في صفة معينة وزيادة أحدهم على الآخر فيها.

فـي هـذا الدعـاء تجد هـذه الصيغة ماثلـة أمامك فـي جميع فقراتـه كما مثلنا لك من قول الإمـام عليه السلام فتأمل قول (بأجمله) و(أنـوره) و(أوسعهـا) وهكـذا، وهـذه الصيغـة أينمـا وردت في كتـاب الله كقولـه تعـالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[1]،

(١) سورة المؤمنون: آية ١٤.

وكقولـه جلـت عظمتـه ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾[1] أو فـي كتـب الأدعيـة والزيـارات إضافـة إلى هذا الدعـاء كقول الإمـام الحجة عجل الله فرجه الشريف أيضـاً فـي دعاء السمات «**اللهم إني أسألك باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم**»، وكقـول النبي صلى الله عليه وآله في دعاء الجوشـن الكبير: «**يا أحكم الحاكمين يا أعدل العادلين يا أصدق الصادقين يا أطهر الطاهرين يا أحسن الخالقين يا أسرع الحاسبين يا أسمع السامعين يا أبصر الناظرين يا أشفع الشافعين يا أكرم الأكرمين**»، وغـير ذلك فإنها تدل علـى الصفـات الفعلية دائماً وتشـير إلى التجليات الإلهيـة والإشراقات الحادثة بحدوث الخلق ولا تشـير إلى الذات المقدسة لا من قريـب ولا من بعيد ولا تكشف عنهـا، إذ لا يوجد معه تبارك وتعالى في رتبة ذاته أحد حتى يقال أنه أفضل منه حيث أن مقتضى هذا التفضيل أن يكون المتفاضلان فـي رتبـة واحدة مـن الخلـق وفي سنـخ واحد من الوجـود والله سبحانـه ليس له في مقام ذاته اسـم ولا رسم ولا صفة ولا إشارة إذ أنهـا كلهـا من خلقه ولا يجـري عليه ما هو أجـراه، فظهر إذن

(١) سورة الأنعام: آية ٦٢.

أن المقصـود من هذه الصفات ومـن هذه الأسماء والمشتقات كلها إنمـا هو التجليات الإشراقية الحادثة لـه ومظاهر لطفه وجماله، وإذا علمـت أن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام هم صفاته وأسمـاؤه وظهوراتـه الكلية وكلماته التامة كمـا ورد عنهم صلوات الله عليهـم فـي غـير موضع كقول الإمام الصـادق عليه السلام: «**نحن الأسمـاء الحسنى التي أمركم الله أن تدعوه بها**»[1]، وكقول أمير المؤمنـين عليه السلام فـي شأن الحقيقـة المحمدية: «**تجلى لها بها وبها امتنـع منها**»[2]، وكقولـه عليه السلام عن نفسه: «**معرفتـي بالنورانية معرفـة الله ومعرفـة الله معرفتـي بالنورانيـة**» فحصـر معرفة الله فـي معرفتـه إذ كان لا يعرف من نحو ذاتـه فجعله وأهل بيته وصفـه الذي وصف به نفسه للخلق فمن عرف ذلك الوصف عرف الموصـوف ومعنى ذلك الوصف في عـالم الأعيان الهياكل الأربعة عشر عليهـم السلام، فحصر معرفته تعالى فـي معرفتهم لأنهم صيغـوا على وفق حروف كلمة التوحيد فـي الألفاظ فكما أن لفظ كلمة التوحيد تدل عليه تعالى باللفظ كذلك هذه الهياكل تدل عليه بالعـين فالكفر بالله في الحقيقة كفر بهـذا الوصف العنواني لأن

(١) بحار الأنوار: ٢٥/٤.
(٢) الاحتجاج: ١/٢٠٤.

وصفه هذا عبارة عـن جميع أسمائه وصفاته وتجلياته وإشراقاته ومحل لها ووجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء.

وأمـا كونهم مظهـر الجمال الإلهي فـلأن المخلوقات ما اكتست حلة الوجود ولا ظهرت تامة الخلق ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[1]، إلا مـن فيض أنوارهم وأشعـة إشراقاتهم التي هي مـادة إيجاد الخلق وأما صورتهم فهي قبولهم لولاية الأئمة عليهم السـلام كل حسب استعداده وقابليته فهـم عليهم السلام يعطون كل مخلـوق حقه ويسوقون لكل مـذروء رزقه بدءاً من نعمة الوجود وانتهـاء بكافة شؤونه وأحواله مما يتعلق بالمبـدأ والمآل في عوالمه الوجوديـة المختلفة واعتقاداته وتصوراته وحواسه وأفعاله وأقواله وتقريراته إلى غير ذلك، فلا تخرج الممكنات من عالم الإمكان إلى عالم الكون إلا مقتدية بهم حيث أنهم هم لسان الله الناطق الذي يترجم لها لفظة الوجود فيتحقـق بذلك وجودها وإلا لظلت قابعة فـي زوايا العمق الأكبر وهو عالم الإمـكان ولما استطاعت بنفسها أن تقفـز هذه القفـزة الوجوديـة المناسبة لقابليتهـا واستعدادها فالأشجـار اختار الصورة الشجريـة والحيوانات اختارت الصورة

(١) سورة التغابن: آية ٣.

الحيوانيـة والكواكب اختـارت الصورة الفلكيـة والملائكة اختارت الصورة الملائكية والشياطين اختارت الصورة الشيطانية والإنسان اختار الصـورة الإنسانية وهكذا بقية الموجـودات فكل واحد منها وجد تـام الخلق سـوى الظهور جميـل القوام بعـد أن تلقى منهم عليهـم السلام ترجمـة وجوده الخاص به ضمـن مراتبه المتعددة وفـق قبوله لولايتهـم التي هي ولاية اللّٰه تبـارك وتعالى، وهذا سر خضوع جميع المخلوقات لهم عليهم السلام وتعلقها بهم وانقيادها التام لأوامرهم ونواهيهم.

فقـد روي عـن الإمام الحسـين عليه السلام في ترجمـة عبد اللّٰه بن شـداد حين عاده وهـو مريض فهربت الحمى مـن عبد اللّٰه فقال: قـد رضيت بما أوتيتم حقاً والحمـى لتهرب منكم فقال عليه السلام له: «**واللّٰه ما خلق اللّٰه شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا يا كبّاسة**» فإذا نحـن نسمع الصـوت ولا نرى الشخص يقـول: لبيك، قال عليه السلام: «**أليس أمـرك أمـير المؤمـنين عليه السلام ألا تقربي إلا عـدواً أو مذنباً لكي يكون كفارة لذنوبه**»[1].

وكذلـك في الخبر عن الإمـام الهادي عليه السلام حـين أمر صورة

(١) رجال الكشي: ٨٧.

السبع التــي في مسند المتوكل فقام سبعاً فـأكل الساحر الهندي، أمـر الرضا عليه السلام لصورتي السبع اللتين في مسند المأمون فقاما سبعين فـأكلا خادم المأمون حين سب الرضـا عليه السلام[1]، إلى غير ذلـك من الأخبار التي يستفاد منها انقيـاد الأشياء لهم وامتثالها لأوامرهم عليهم السلام.

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ٤/٦٦.

# الإمام زين العابدين عليه السلام

حفلـت حياة الإمام زين العابدين عليه أفضل الصلاة والسلام بالكثير من الإنجازات المميزة في سبيل خلق الشخصية الإنسانية السويـة وصقل سلوكياتها المختلفة بمـا يتوافق مع مبادئ الإسلام وقواعد الشريعة المقدسة من خلال ما أتيح له من وسائل في تلك الفـترة الغاشمة التي قدر له أن يعيشهـا عليه السلام في ظلال الحكم الأموي الجائر.

الـذي أحكم قبضته علـى الإمام وشدد رقابتـه عليه ومنعه من مزاولـة أي عمـل كان الحكـم الأموي يظن أنه يشـكل على وجوده واستقراره خطراً حقيقياً وقلقاً مستمراً وخاصة بعد أن قامت هذه السلطة الغاشمة بقتل سيد الشهداء عليه السلام والكوكبة الطاهرة من أهـل بيته وأصحابه وسبي حريمه ونساءه فـي تلك الوقعة الأليمة التي لم يشهد لها التاريخ نظيراً وكانت الشرارة التي اشتعلت منها الثورات فـي كل مكان وأخذت تحرق الظالمـين بلهبها حتي قضت عليهم جميعاً على يد المختار.

في ظل هذه الظروف الحرجة رأى الإمام اعتماد المنهج العبادي كوسيلة مناسبة ينطلق منها في أداء مهمته الرسالية والتي نعتقد

بـكل يقين أنهـا كانت مخططة له من قبل السمـاء، ولعل من أبرز ملامـح هذا المنهج العبادي الذي أشرنا إليه هو الدعاء الذي أخذ عند الإمام منحى فريداً مميزاً لم يعهد له الناس نظيراً أو يعلموا لـه مثيلاً فلم تكن هـذه الأدعية مجرد كلمات يتفـوه بها صاحبها فـي محنته فيستجـدي بها عطف خالقـه أو يستنزل بهـا شآبيب رحمتـه ثم ينصرف عنهـا انصراف الجاهل بهـا الزاهد فيها لا يـرى لها من شـأن ولا يحس لها من أثر غير مـا توديه في مكانها وزمانها المحددين لهـا فقط، بل كانت هذه الأدعية بحق عطاءات فكريـة ومعرفيـة متفجرة وينابيـع من العلم لا ينضـب معينها ولا ينال غورهـا تعرض لشتى مناحي الحيـاة والعلاقات الاجتماعية المختلفة وتغوص في الأعماق البعيدة لأحوال هذه النفس الإنسانية وشؤونهـا المعقدة فتصف لها العلاج الأكيد لـكل مشاكلها وآفاتها وتحـدد لها الطريق الصحيح الذي ينبغي لهـا أن تسلكه وتلج فيه إذا أرادت الراحـة والأمـان والاستقـرار، استمع إليـه مثلاً كيف يحـدد الأسبـاب التي تمنع من إقبال العبد علـى ربه ومن التوفيق لطاعتـه وعـدم استجابة الدعاء وقبـول دعوة الداعـي واحداً تلو الآخـر بأسلوب العارف الخبير المحيـط بجميع أسرار هذه النفس العليم بجميع أدوائها وأمراضها وما يصلح لها من دواء ناجع في دعائه العظيم المعروف بدعاء (أبي حمزة الثمالي) حيث يقول:

**«مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني أو لعلك رأيتني معرضاً عنك فقليتني أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم خليتني أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني».**

وكذلك دستوره الخالد المنسوب إليه والمسمى باسمه (الصحيفة السجادية) الذي أرسى فيه القواعد الصحيحة لطبيعة العلاقة القائمة بين العبد وربه من ناحية وبين العبد وباقي الناس من ناحية أخرى ورسم فيه صوراً كثيرة لملامح السلوك الأدبي الخالص الذي ينبغي على العبد أن يسلكه من خلال تعامله مع هذين المحورين.

أما المحور الأول فقد امتازت أدعية الإمام عليه السلام بما فيها من

أفانـين التضرعـات وإظهار التذلل والخضـوع والمسكنه للّه تعالى مما ليس في غيرها كما أنها تمتاز بكمال الانقطاع إليه سبحانه والزهد عما في أيـدي الناس والاعتراف بالعجز التام والتقصير الكامل من العبد تجاه خالقه، استمع إليه في بعض أدعية صحيفته السجادية المباركة وهو يتضرع إلى خالقه ويناجيه فيقول:

**«رب أفحمتني ذنوبي وانقطعت مقالتي فلا حجة لي فأنا الأسير ببليتي المرتهن بعملي المتردد في خطيئتي المتحير عن قصدي المنقطع بي قد أوقفت نفسي موقف الأذلاء المذنبين، موقف الأشقياء المتجرئين عليك المستخفين بوعدك سبحانك أي جرأة اجترأت عليك، وأي تغرير غررت نفسي، مولاي ارحم كبوتي لحر وجهي وزلة قدمي وعد بحلمك على جهلي وبإحسانك على إساءتي فأنا المقر بذنبي المعترف بخطيئتي، ارحم شيبتي ونفاد أيامي واقتراب أجلي وضعفي ومسكنتي»**.

وأما المحور الثاني والخاص ببيان علاقة العبد مع إخوانه المؤمنين وباقي الناس في مجتمعه فقد بين الإمام في هذا الصنف من أدعيته الشريفة مختلف الحقوق والواجبات التي يوجب على الإنسان المؤمن أن يلتزم بأدائها وكيفية التعامل مع الناس في

ضبط كامل للنفس وفق الضوابط الشرعية التي حددها الباري عز وجل، اقرأ هذه من أحد أدعيته حيث يقول:

«**اللهم صل على محمد وآل محمد، وسددني لأن أعارض من غشني بالنصح وأجزي من هجرني بالبر وأثيب من حرمني بالبذل وأكافي من قطعني بالصلة وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة وأغضي عن السيئة**».

انظر إليه عليه السلام كيف يحثك أيها المؤمن على التحلي بالأخلاق الفاضلة والتعالي عن صغائر الأمور وغض الطرف عن إساءات الآخرين ومقابلتها باللطف والإحسان ونشر حسناتهم وفضائلهم وطي إساءاتهم وتقصيراتهم، وينمي في نفسك روح المبادرة إلى فعل الخير والابتعاد عن الشرور والموبقات، ومن إبداعاته القيمة أيضاً عليه السلام في مجال حفظ الحقوق وأداء الواجبات ورسم المناهج الحية لسلوك الإنسان وتطوير حياته وبناء حضارته على أسس تتوفر فيها جميع عوامل الاستقرار النفسي ووقايته من الإصابة بأي لون من ألوان القلق والاضطراب.

لقد نظر الإمام بعمق وشمول إلى الإنسان وأحاط بجميع أبعاد حياته النفسية والاجتماعية وعلاقاته مع الله ونفسه وأسرته

ومجتمعه ومعلمه وغير ذلك فوضع له هذه الحقوق والواجبات وجعله مسؤولاً عن رعايتها وصيانتها لضمان استقرار المجتمع وتطوره وازدهاره، استمع إليه على سبيل المثال كيف يحدد في هذه الرسالة المسماة برسالة الحقوق حق الله تعالى قائلاً: «**فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ويحفظ لك ما تحب منهما**»، وأما حق النفس فيقول فيه: «**وأما حق نفسك عليك فأن تستوفيها في طاعة الله فتؤدي إلى لسانك حقه وإلى سمعك حقه وإلى بصرك حقه وإلى يدك حقها وإلى رجلك حقها وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقه وتستعين بالله على ذلك**» وأما حق الأم فاستمع إليه يقول: «**فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة مقبلة محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ وتظلك وتضحى وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها**»، وهكذا راح الإمام بأبي

هـو وأمي يعـدد باقي الحقوق ويبـين مزاياها فـي أسلوب عجيب وبلاغـة معجـزة وفصاحة فريـدة يعجز عن إتيانهـا باقي الناس مهما اختلفـت مذاهبهم وتكاملـت عقولهـم وأحلامهم مما يدل علـى أنها من علامـات الإمامة وعبقات النبـوة ورشحات ولايتهم المقدسة عليهم السلام.

# فاطمة أم أبيها

من الألقاب الخاصة بالزهراء عليها السلام هو لقب (أم أبيها) الذي لقبها به أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله كما روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «**إن فاطمة عليها السلام تكنى أم أبيها**»[١].

وقد يكون من المعاني الواردة في هذا الباب والتي يمكن أن تصدق على هذه اللفظة هو كون المراد من الأم في هذا المقام الإشارة إلى مبدأ الوجود الإمكاني والوجود الكوني المتقوم بالمادة والصورة حيث يطلق على المادة في أخبار أهل بيت العصمة عليهم السلام لفظة (الأب) ويطلق على الصورة لفظة (الأم) كما هو الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم من رحمته.. فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة**»[٢]، فيكون المقصود من الأب هو النور وهو المادة ويكون المقصود من الأم هي الرحمة وهي الصورة فلعل المراد من قوله صلى الله عليه وآله (أم أبيها) أنها مخلوقة منه ومضافة إليه كما أن الصورة خلقت من المادة لا العكس والأم خلقت من الأب

(١) البحار: ٤٣/١٩.
(٢) بصائر الدرجات: ٨٠.

كما قال تعـالى ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[١] ، ولهذا قـال صلى الله عليه وآله وسلم : «**فاطمـة بضعة مني مـن آذاها فقـد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**»[٢] ، أو لعل المراد من قوله أم أبيها أنها هي الصورة المتقومة بالوجود وهو الأب تقوماً ركنياً وهي مبدأ الظهور والانتشار والتمايـز فيها يعرف السعيد من الشقـي كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**السعيـد مـن سعد فـي بطن أمه والشقـي من شقي في بطـن أمـه**»[٣] ، ولهذا وردت الأخبار عنهـا عليها السلام: «**أنها في يوم القيامـة تلتقط شيعتهـا كمـا يلتقـط الطيـر الحـب الجيد من الحـب الرديء**»[٤] ، وإنما يحكم على الأشياء بالشقاوة أو السعادة بعد تلبسها بالصورة وظهورها تامة الخلقة إذ أن الصورة هي التي تحـدد شقاوتها أو سعادتهـا تماماً كما الخشب فإنـه قبل تصوره بصـورة الباب أو الصنم لا يحكم عليه بالسعادة أو الشقاوة وإنما جـاء هذا الحكم بعد تصوره بصورة البـاب وحكم عليه بالسعادة أو تصـوره بصورة الصنم فحكـم عليه بالشقـاوة فالصورة إذن هـي عنوان التمايـز والظهور في جميـع العـوالم الوجودية ولهذا

(١) سورة النساء: آية ١.
(٢) البحار: ٣٥٣/٣٠.
(٣) متشابه القرآن: ١٧٨/١.
(٤) البحار: ٥١/٨.

وردت الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة التي تشير بوضوح إلى كونها عليها السلام مبدأ الظهور والانتشار والكثرة وانبساط النور كما أوضحت لك:

١- تسميتها بالزهراء ومن متعلقات هذا الاسم هو الإشراق والانتشار والإحاطة والامتداد، روي في علل الشرائع عن جابر قال: «**سألت أبا عبدالله عليه السلام لم سميت فاطمة الزهراء بالزهراء؟ فقال: لأن الله عز وجل خلقها من نور عظمته، فلما أشرقت أضاءت السموات والأرض من نورها وغشيت أبصار الملائكة وخرت الملائكة لله ساجدين**»(١).

وقال عليه السلام في رواية أخرى: «**أنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض**»(٢).

٢- قوله تبارك وتعالى ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾(٣) ففي تفسير فرات الكوفي قال حدثنا علي بن عتاب والحسين بن سعيد وجعفر بن محمد الفزاري معنعنا عن جعفر الصادق عليه السلام

---

(١) عوالم العلوم: ٦١.

(٢) العوالم: ٦٣.

(٣) سورة الرحمن: آية ١٩-٢٢.

قـال: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ علـي وفاطمـة، جاءهمـا النبي ﷺ فأدخل رجليه بين فاطمـة وعلي، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين.

٣- قولـه تبارك وتعالى ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾(١) عـن صالـح بـن سهـل الهمـداني قـال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول فـي قول الله ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ المشـكاة فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المصبـاح الحسن والحسـين ﴿فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ كأن فاطمـة عليها السلام كوكـب دري بين نساء أهل الأرض ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ يوقد من إبراهيم عليه وعلى نبينـا وآلـه السـلام ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعنـي لا يهوديـة ولا نصرانيـة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ يـكاد العلم يتفجـر منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يهـدي الله للأئمة من يشاء أن يدخلـه فـي نور ولايتهم مخلصاً ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾(٢).

(١) سورة النور: آية ٣٥.

(١) مسند فاطمة: ٢٣٠.

فانظر كيف صرح عليه السلام بأن جدته فاطمة عليها السلام منبع العلم ومبدأ انتشار أنوار الذرية الطاهرة من أولادها الأئمة المعصومين إضافة إلى كونها هي عليها السلام مشكاة الوجود وقنديل السموات والأرض.

٤- قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[1] في تفسير فرات قال حدثنا محمد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ **الليلة فاطمة والقدر الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر وإنما سميت فاطمة لأن الخلق فطموا عن معرفتها، قوله** ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ **يعني خير من ألف مؤمن وهي أم المؤمنين** ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ **والملائكة المؤمنون الذين يملكون علم آل محمد والروح القدس هي فاطمة** ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ **يعني حتى يخرج القائم**»[2]. فقد أبان عليه السلام بأنها أم المؤمنين وأنها هي روح القدس تهبط مقدرات الخلق وفيوضات الرحمن إلى العباد بواسطتها على قلوب الأئمة الطاهرين إلى أن يرث الله

(١) سورة القدر: آية ١.

(٢) مسند فاطمة: ٢٦٣.

الأرض ومن عليها ولهذا قال الإمام عليه السلام: «**نحن حجج الله على الخلق وأمنا فاطمة حجة الله علينا**».

٥- قوله تبارك وتعالى ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾[١]، عن المفضل بن محمد الجعفي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية قال: «**الحبة فاطمة صلى الله عليها والسبع السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم، فقلت قوله ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾ قال يولد الرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه وليس ذاك إلا هؤلاء السبعة**»[٢].

٦- قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[٣] وهو الخير الكثير إذ ورد في بعض معاني هذه الآية أنها تشير إلى كثرة نسله وذريته صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته فاطمة، روى أبو محمد الخراساني عن أبي بكر بن أبي العوام عن أبيه عن حريز بن عبدالحميد عن شيبة بن نعامة عن فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى عليها السلام قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم**»[٤].

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٦١.

(٢) مسند فاطمة: ٢٣٩.

(٣) سورة الكوثر: آية ١.

(٤) عوالم العلوم: ٥٤٠.

إلى غير ذلك من الأدلة الكثيرة والبراهين المتعددة الساطعة التي تدل بوضوح على أنها هي عليها السلام مظهر التمييز والانتشار والرحمة الواسعة والتجلي الإلهي وتمام الخلق ومحل نزول الفيوضات الربانية وعنوان المعرفة والظهور، وليس أدل على ما نحن فيه مما ورد في حديث الكساء حينما سأل الأمين جبرئيل الرب الجليل قائلاً: يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال عز وجل: هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها فجعلها سبحانه مركز التعرف والظهور وأنار بجمالها صفحة الوجود وشق بسناها ظلمات الجهل والجحود.

# وليد الكعبة عليه السلام

ولد عليه السلام في الثالث من شهر رجب في وسط البيت الحرام فأضاء بمولده عالم الإمكان، ومن أحق من علي إذ ولد في هذا البيت ومن قبل أن يولد ومن بعد رحيله عن هذه الدنيا أن يكون مظهراً للنور الإلهي الجلي ومنبعاً للفيوضات الرحمانية والعنوان الأوحد للحقيقة «**علي مع الحق والحق مع علي**»، أليس هو ولي الله الأعظم وحجته البالغة على خلقه ونعمته السابغة على عباده في جميع الأكوار والأدوار أليس هو الذي فرض الله طاعته على كل الخلائق وجعل ولايته طريقاً إلى نيل رضاه والابتعاد عن سخطه وفرق بمحبته بين الحق والباطل وبين الجنة والنار ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»، وقال صلى الله عليه وآله فيما روى عنه ابن عباس: «**لو اجتمع الناس كلهم على ولاية علي ما خلقت النار**»[(1)]، ولا غرابة في ذلك فإن حبه وولايته عليه السلام هو من مقتضيات المادة والوجود التي هي التوجه إلى الله تعالى ومن توجه إلى الله تعالى بكليته فقد أدبر عن النار وابتعد عن الباطل إذ هما من مقتضيات الصورة والتوجه إلى

(١) شرح حياة الأرواح: ٢٨٢.

النفس والماهية، فمن تلبس بولاية علي عليه السلام التي هي ولاية الله فقد اندك بذلك توجهه إلى نفسه التي هي الابتعاد عن الحق أو هي النار، في وجوده المبارك الذي هو توجهه إلى خالقه وأصبح خاضعاً لوجوده ومنقاداً إليه لا أنه يعدم بالكلية فلم يعد يلمس لماهيته أثراً أو يجد لها ذكراً في ولاية علي عليه السلام.

وعلى هذا كانت محبته وولايته عليه السلام هي الهدى إلى طريق الحق وهي النور الذي يهدي الله له من يشاء من خلقه كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾[1]، قال الهادي هو علي عليه السلام، ومن شأن الهادي أن يدلك على الخير وأن يأخذ بيدك إلى الجنة وأن يبعدك عن النار، وعلى العكس من ذلك كانت عداوته والرد عليه من مقتضيات الشقاق الموجبة لصاحبها غضب الجبار والدخول إلى النار، روى حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لو أن كل ملك خلقه الله عزّ وجلّ وكل نبي بعثه الله وكل شهيد وكل صديق شفعوا في ناصب لنا أهل البيت أن يخرجه الله عز وجل من النار ما أخرجه الله أبداً والله عز وجل يقول** ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾»[2]، واعلم أن لهذه المحبة

(١) سورة الرعد: آية ٧.

(٢) صحيفة الأبرار: ١/١١٤.

لوازم يجب أن يلتزم بها المؤمن ليستكمل حقيقة الإيمان في نفسه فيؤدي جميع ما فرض الله عليه وينتهي عن جميع ما نهاه عنه فإن إتيانه الواجبات ومواظبته على الطاعات بل أن جميع العبادات هي حدود المحبة فليس شيء في جميع مراتب الوجود من الخيرات إلا وهو من حدود المحبة، والمؤمن هو الذي يفعل الخيرات الموصلة إلى أعلى الدرجات وكل ما يفعل فهو من لوازم المحبة فليس شيء في صحيفته إلا حب علي عليه السلام، وهذه المحبة التي هي عنوان الولاية قد فرضها الله على جميع أنبيائه ورسله وسائر الأوصياء والصديقين بل حتى على أئمة أهل البيت عليهم السلام صفوة الخلق حتى قال الإمام الصادق عليه السلام: «**ولايتي لعلي بن أبي طالب أحب إلي من ولادتي منه لأن ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض وولادتي منه فضل**»(١)، وإنما فرضها على الخلق أجمعين لأن الولاية هي التوحيد في الحقيقة وعنوان العبودية علي الوجه الذي أراده الله عز وجل، فكلما كان العبد تاماً في محبة الله كلما كان أقرب إلى الله تعالى وليس هناك من ينطبق عليه هذا الوصف غير المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام لما ثبت أنهم هم التامون في محبة الله ولا يصدق عليهم هذا الاسم على

(١) شرح حياة الأرواح: ٢٩٧.

الحقيقـة إلا بعد القيام بأداء لـوازم المحبة وفروضها وسننها كما ذكرنا سابقاً كانـوا هم المصطفون الأخيار والمقربون الأبرار، وإلا فـإن مجرد الإتيان بهذه الفرائض والسنن من غير التلبس بالمحبة التي هي عنوان الولاية وجهة العبد إلى ربه وادباره عن نفسه وعدم التوجـه إليها غير منج على الإطلاق بل على العكس من ذلك فإنه كلما زاد فـي إتيانها وحرص على أدائها بعـداً عن المبدأ الفياض لأنـه يـؤدي ذلك كله على وفـق ماهيته التي هي عنـوان نظره إلى نفسه الأمارة بالسوء، وليس وفق وجوده الذي هو عنوان نظره إلى خالقـه تبارك وتعالى، روى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي لو أن عبداً عبد الله مثل ما قام نوح في قومه وكان له في مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومد في عمره حتى حج ألف حجة ثم قتل بين الصفا والمروة ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها، أما علمت يا علي أن حبك حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضك سيئة لا تنفع معها طاعة يا علي لو نـثرت الدر علـى المنافق ما أحبك ولو ضربـت خيشوم المؤمن ما أبغضـك لأن حبـك إيمان وبغضك نفاق لا يحبك إلا مؤمن تقي ولا يبغضك إلا منافق شقي**»[1].

(١) البحار: ٣٩/٢٨٠.

فالأعمال الصالحة الصادرة عن الكافر والمنافق والناصب إنما صدرت بواسطة مخالطته بالمؤمن وينبغي أن يلحق هذا العمل بأصله ويعطي للمؤمن وكذلك العمل السيء الصادر عن المؤمن إنما صدر عنه بواسطة مخالطته بالكافر فينبغي أن يرد هذا الفرع إلى أصله لأنه لا يقوم إلا بأصله، فلو أن الكافر أفنى عمره في طاعة الله لم تك تنفعه أبداً لأن الطاعة ليست من حقيقته وقبوله لأن حقيقته الإدبار عن الله والطاعة عبارة عن الإقبال إليه وهما ضدان لا يجتمعان في رتبة واحدة، وبعبارة أخرى فإن العلة المادية والعلة الغائية للأعمال الصالحة هي ولايته عليه السلام ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتقوم أي عمل صالح بغير مادته التي هي ولايته كما لا يمكن أن يتقوم الباب بغير مادته وهي الخشب، ومن هنا كانت ولايته عليه السلام هي المحك والفارق بين الحق والباطل، روى أبو ذر قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم في منزل أم سلمة ورسول الله يحدثني وأنا أسمع إذ دخل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أبا ذر هذا الإمام الأزهر وباب الله الأكبر فمن أراد الله فليدخل الباب يا أبا ذر وهذا القائم بقسط الله والذاب عن حرم الله والناصر لدين الله وحجة الله**

على خلقه أن الله تعالى لم يزل يحتج به على خلقه في الأمم كل أمة يبعث فيها نبياً يا أبا ذر وأن الله جعل على كل ركن من أركان عرشه سبعين ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلا الدعاء لعلي وشيعته والدعاء على أعدائه يا أبا ذر لولا علي ما بان الحق من الباطل ولا المؤمن من الكافر ولا عبد الله لأنه ضرب رؤوس المشركين حتى أسلموا وعبدوا الله ولولا ذلك لم يكن ثواب ولا عقاب ولا يستره من الله ستر ولا يحجبه من الله حجاب وهو الحجاب والستر»(١).

(١) شرح حياة الأرواح: ٣٠٨.

# الكوكب الدري

سيدي المبجل أيها المهذب الخائف والإمام الغائب، أيها الشمس الطالعة والأنوار اللامعة يا حجة المعبود وقطب دائرة الوجود، أزف إليـك مولاي أجمل بسمات آبائـك الطاهرين وأنوار قسمات وجوه أجـدادك المنتجبين وأرق تحياتهم وأعمق أشواقهم وأحب خلجات قلوبهم عليهم السلام بمناسبة مولدك الحبيب وإطلالتك المقدسة فــي هذا الشهر الشريف وأقول لك السلام عليك عني وعن جميع شيعتك ومحبيك.

أيهـا العزيز لقد مسنـا وأهلنا الضر وجئنـاك ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين وتقبل منا متاعنا هــذا القليل بأحسن قبولك فمن مثلـك تشد إليه الرواحل وتحط عنده الركائب «**روي في حديث عن النبي ﷺ ليلة أسري به إلى السماء قول الجليل جل جلاله له: يا محمد إني خلقتك وخلقـت علياً وفاطمة والحسن والحسـين والأئمة من ولده من سنـخ نوري وفرضـت ولايتكم على أهـل السمـوات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافريـن يـا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع**

**أو يصير كالشن البالي ثم أتاني جاحداً ولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم يا محمد تحب أن تراهم قلت نعم يا رب فقال لي التفت عن يمين العرش فالتفت وإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ابن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قيام يصلون وهو في وسطهم -يعني المهدي- كأنه كوكب دري، فقال يا محمد هؤلاء الحجج وأنه -أي المهدي- الحجة الواجبة لأوليائي والمنتقم به من أعدائي»**[1].

فتأمل قوله ﷺ في ضحضاح من نور فقد يكون المعنى الصقالة أو الشفافية الموجودة في نور العرش كالصور المنبعثة من صقالة المرآة وشفافيتها تبعاً لمقابلة الشاخص لها ما دام ثابتاً في وضعه هذا حتى إذا تحول عنها اختفت هذه الصورة، فتظهر صورهم عليهم السلام في ضحضاح من نور العرش لأن العرش حقيقتهم هنا كما يصرح بذلك شيخنا الأوحد أعلى الله مقامه في شرح الزيارة الجامعة إذ أن للحقيقة المحمدية المتبلورة في هذه الأنوار

(١) الزيارة الجامعة: ٣١٨/٢.

القدسية عدة مراتب فالمرتبة الأولى للحقيقة المحمدية هي نفس المشية وصورتها حيث إن المشية قائمة بالحقيقة المحمدية قيام ظهور وهي قائمة بها قيام تحقق ولما كان كل ممكن زوج تركيب من مادة وصورة كانت مادة المشية هي نفسها أي انفعالها الذاتي كقول الإمام عليه السلام: «**خلق الله الأشياء بالمشية وخلق المشية بنفسها**» وكانت صورتها هي الحقيقة المحمدية ولذا كانت مشيئتهم هي عين مشيئة الله تعالى والمرتبة الثانية للحقيقة المحمدية هي عالم الإمكان المعبر عنه بالهواء أو العمق الأكبر أو القلم أو الماء الأول الحامل للعرش أو الدواة الأولى أو أرض الجرز على اعتبار أن عالم الإمكان هو مكان انفعال المشية مع الحقيقة المحمدية وزمانه السرمد.

والمرتبة الثالثة للحقيقة المحمدية هي العرش وهو معنى ما ورد في هذه الرواية الشريفة، وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم عن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف: وهو في وسطهم كأنه كوكب دري، فقد يراد من الوسطية هنا القطبية حيث أنه عجل الله فرجه الشريف في مقام إحياء معالم دين جده وبيان أحكامه وشرائعه كما أنزلت من السماء وكما أرادها الله، بعدما أصابها من التشويه والتحريف

والزيغ والضلال حتى يظن الناس أنه أتى بدين جديد، وأنه سوف يلاقي من المصاعب مثل ما لاقاه جده المصطفى بل أشد منها كما روي عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**إن قائمنا عليه السلام إذا قام استقبل من جهل الناس أشد مما استقبله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهال الجاهلية قلت وكيف ذاك قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتي الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وإن قائمنا عليه السلام إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله ويحتج عليه به**»[1].

وتكون سيرته عجل الله فرجه الشريف أشبه ما تكون بسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما روي عن عبدالله بن عطا قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت: «**إذا قام القائم عليه السلام بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويستأنف الإسلام جديداً**»[1]، حتى قيل أن درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تستوي إلا على ولده المهدي عليه السلام ولو لبسها أحد من الأئمة قبله لفاضت عليه كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه إلى أبي بصير قال: «**يا أبا محمد إن أبي لبس درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت تسحب على الأرض وإني لبستها فكانت وكانت وإنها**

(١) حلية الأبرار: ٢/٦٣٠.
(٢) حلية الأبرار: ٢/٦٢٩.

**تكون من القائم كما كانت من رسول الله ﷺ مشمرة كأنه يرفع نطاقها بحلقتين وليس صاحب الأمر من جاز الأربعين»**[1].

ولما كان رسول الله ﷺ هو صاحب الشريعة المنزلة وقطب رحاها ناسب أن يكون المهدي عجل الله فرجه الذي سيحيي شريعة جده هو ركن الإسلام وقطب رحى الإيمان في آخر الزمان، وقد يراد من الوسطية أيضاً الأفضلية لما ورد من أنه عجل الله فرجه الشريف أفضل من الأئمة الثمانية عليهم السلام كما يدل عليه قول النبي ﷺ تاسعهم قائمهم أفضلهم وهذا المعني يتضح من وصف النبي ﷺ له في الرواية السابقة بأنه بينهم عليه السلام كالكوكب الدري من باب التمييز والتفضيل، كما أن هذا المعنى وارد في القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] ويقول تعالى في موضع آخر ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[3] فإذا ربطنا الآيتين ببعضهما البعض وجدنا أنه لا مشاحة في استعمال هذا

(١) حلية الأبرار: ٢/٥٧٨.

(٢) سورة البقرة: آية ١٤٣.

(٣) سورة آل عمران: آية ١١٠.

المصطلح وهو (الوسطية) في معنى الخير والأفضلية، وقد يراد من الوسطية أيضاً في هذه الرواية الزينة والجمال والبهاء فيكون المعنى -وهو في وسطهم- أي أكثرهم زينة وجمالاً وبهاءً، وهذا المعنى لا يبعد كونه مستفاداً من الحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في كتاب الفردوس لابن شيرويه الديلمي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**المهدي طاووس أهل الجنة**»، فكما أن الطاووس يتميز عن غيره من الطيور بالجمال والزينة، فكذلك المهدي عليه السلام يتميز عن الأئمة المعصومين التسعة عليهم السلام بالجمال والزينة والبهاء، وفي بعض الأخبار تضيف الرواية أن وجهه كالقمر الدري عليه جلابيب النور مما يؤكد تميزه عن غيره بحسن الصورة وبهاء المنظر، ولذلك كانت العرب تسمي الجوهرة الكبيرة التي تكون في وسط العقد بواسطة العقد وعادة ما تكون أجودها وأثمنها وأغلاها، قال الشاعر ابن الرومي يرثي ولده محمداً:

**توخّى حِمامُ الموتِ أوسط صبيتي**

**فلله كيف اختار واسطة العِقد**

فتكون به عجل الله فرجه الشريف خاتمة مرحلة القوس النزولي وبداية مرحلة القوس الصعودي وهي مرحلة تهذيب النفس وتصفية الباطن وتقوية الإيمان للسفر إلى الله تعالى والتوجه إليه بالكلية، ولذا ورد في البحار عن أبي خالد الكابلي

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم**»[1]، وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال في ضمن حديث له عن القائم: «**أن له اسمان اسم يخفى واسم يعلن فأما الذي يخفى فأحمد وأما الذي يعلن فمحمد فإذا هز رايته أضاء لها ما بين المشرق والمغرب ووضع يده على رؤوس العباد ولا يبقى مؤمن إلا صار قلبه أشد من زبر الحديد**»[2]، فينتفع العباد بما يترتب على نضج عقولهم التي يمسح عليها صاحب العقل الكلي فيخلصها مما شابها من كدورات ويرفع عنها الحجب التي تلبست بها نتيجة بعدها عن المبدء من خلال سفرها في جميع العوالم الوجودية، ونتيجة تلوثها بشتى المعاصي والموبقات بسبب اللطخ الذي أصابها في هذا السفر أيضاً فتعود صافية نقية نورانية محيطة مشابهة تماماً لمبدئها الذي خلقت منه وهو أشعة أنوار العقل الكلي للإمام عجل الله فرجه الشريف، أقول فينتفع الناس بما يترتب على نضج عقولهم وتهذيب نفوسهم وصفاء باطنهم وتوجههم بكليتهم إلى خالقهم من آثار، ويا لها من آثار عجيبة يقتطف ثمارها الشيعة ويستطعمون جناها ويستروحون نسيمها.

(١) البحار: ٣٣٦/٥٢.
(٢) حلية الأبرار: ٥٨٦/٢.

اسمــع إلى إمامك الصــادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يصف لـك هذه الآثار فيقول: «**إذا قام القائم استنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه ويشويه ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه ثم يقول له: أحي بإذن الله تعالى فيحيى ويطير وكذلك الظباء من الصحاري ويكون ضوء البـلاد ونورهـا ولا يحتاجون إلى شمس ولا قمر ولا يكون على وجـه الأرض مـؤذي ولا شر ولا سم ولا فسـاد أصلاً لأن الدعوة سماوية ليست بأرضية ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ولا حسد ولا شيء من الفساد ولا تشوك الأرض والشجر وتبقى الـزروع قائمـة كلما أخـذ منها شيء نبتت من وقتـه وعاد كحاله وأن الرجـل ليكسـوا ابنـه الثـوب فيطول معه كلما طـال ويتلون عليه أي لون أحب وشاء**»[1].

اللهـم اجعل صلاتتـا به مقبولة وذنوبنا به مغفـورة ودعاءنا به مستجاباً واجعل أرزاقنا به مبسوطة وهمومنا به مكفية وحوائجنا به مقضيــة واقبل إلينا بوجهك الكريم واقبـل تقربنا إليك وانظر إلينــا نظرة رحيمة نستكمل بها الكرامة عندك ثم لا تصرفها عنا بجـودك واسقنا من حوض جده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكأسه وبيـده رياً روياً هنيئاً سائغاً لا ظمأ بعده يا أرحم الراحمين.

(١) حلية الأبرار: ٢/٦٣٥.

# خديجة الكبرى عليها السلام

هي أم السيدات وسيدة الأمهات هي أجمل ما في روضات الدنيا من زهور حين ينساب رحيقها في قارورة عطر، وأنفس ما تضمه جوانح البحار من درر يتيمة ولئالئ ثمينة وهي تتربع بكل كبرياء على خزائن الملوك والأباطرة، وأرهف ما تحمله النفس الإنسانية بين جنباتها من أحاسيس ومشاعر وهي تضم إليها قلب العالم النابض وعقله المدبر، إنها خديجة بنت خويلد عالم محمد الخاص معينه الصافي من الحب الهادر والحنان المتدفق، تلك المرأة الشريفة العفيفة التي استطاعت وبكل كفاءة واقتدار أن تعوض زوجها الحبيب إلى قلبها ما فاته من حنان الأم وشفقة الوالد حين ذاق مرارة اليتم وهو لم يزل بعد طفلاً صغيراً وظل يكابد أشجاناً ملحة دهراً طويلاً فيهيج به الشوق وتنتابه اللوعة كلما ألم به طيف أمه أو مثلت صورتها أمام ناظره.

ولم تستطع مشاهدة الحياة الزاخرة الحافلة حول (البيت العتيق) في (أم القرى) أن تطوي في متاهة النسيان ذلك المشهد الفاجع لاحتضار أمه وموتها، عبثاً حاول عمه أبو طالب أن يلهيه فيما يشتغل به الناس من أمور الحياة ليذود عنه هذه الرؤي

الحزينـة التـي لا تفتأ تلح عليـه بين الفينة والأخـرى، فاصطحبه معـه مـرة إلى المدينة المنورة لزيارة أخـوال أبيه من بني مخزوم، واقترح عليه مرة أخرى مشاطرة خديجة تجارتها إلي الشام ففعل وكانـت هذه فاتحة الأسبـاب التي عادت عليـه ﷺ وعلي رسالته فيمـا بعد بالخير الكثير وانتهت بالزواج الميمون المبارك بين أجمل نسـاء مكة وأشرفهن منزلة وأكثرهن جاهاً ومالاً وبين صادق مكة وأمينهـا وأشرف الناس حسباً ونسباً ومنزلةً ومكانةً وكفاها فخراً أن اللّه تعـالى قدر لها هذا الـزواج من صفوة خلقه وأشرف بريته واختارهـا لتكـون وعاء للعصمـة والإمامة ومـا ذاك إلا لأنها أهل لذلـك فقد كانت بحق الصدر الرؤوف الذي يؤوب إليه النبي كلما عصفت به المصائب وتراكمت عليه الصعاب فيجد عندها الراحة والطمأنينـة وتبعث فـي نفسه الهدوء والسكينة فينسيه ذلك بعض مـا يلاقيه ويعينه على استقبـال أمره في ثقة وعزيمة فها هي ذي عندمـا جاءه وحـي السماء وهـو يتعبد فـي غار حـراء وألقى على مسامعه كلمات السماء الأولى كر راجعاً في ساعات الفجر الأولى إلى دار خديجـة فاستقبلته باسمة وضمته إلى صدرها حانية وقد أثـار مرآه أعمق عواطف الأمومة فـي قلبها وهتفت في ثقة ويقين: «**اللّه يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن العم، واللّه لا يخزيك اللّه**

**أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»**[1] ولا صحة لما ورد في أكثر كتب التاريخ من أنه صلى الله عليه وآله عندما هبط عليه الوحي خاف وارتعد وذهب إلي دار خديجة وهو في أشد حالات القلق والاضطراب حتى ظن في نفسه الظنون والعياذ بالله فإن هذا كله من تدليسات المغرضين وأباطيل الأعداء الشانئين وقد حرص علماء الشيعة أعلى الله كلمتهم على دحضها وتكذيبها منذ القدم.

سأل زرارة الإمام الصادق عليه السلام كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون مما ينزغ به الشيطان؟ قال الإمام عليه السلام: **«إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار فكان يأتيه من قبل الله عز وجل مثل الذي يراه بعينه»**[2]، ومنذ ارتبطت هذه السيدة الطاهرة بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله باشرت مهمتها الرسالية في حفظ صاحب الدعوة ورعايته فقد كانت له عليه السلام بمثابة الزوج الوفي والأم الرؤوم والأب الشفيق والصاحب المخلص في وداده لم تأل جهداً في أن تبذل له من حبها وحنانها وتظهر له من شوقها ولهفتها الدائمين ما ينبئ عن إيمان عميق وعقيدة

(١) سيرة ابن هشام: ٣٥٢/١.
(٢) بحار الأنوار: ٢٦٥/٨١.

راسخــة بحقيقــة ما جاء به زوجها ولهذا صــدرت في مواقفها معه فــي مستقبل الأيام عن هــذا الإيمان العميق واليقــين الثابت فكان لها شرف السبق إلى التصديق به والإيمان برسالته فكانت أول من أظهــرت إيمانها به من النساء مع التنبيه على أنها لم تكن يوماً قط مشركة أو عابدة للأوثان أو متلبسة بما يتلبس به أهل الجاهلية من الأنجاســ والأرجاس وإنما كانت منذ خلقها الله تعالى نوراً متلألئاً في عالم الوجود وقبساً وهاجاً يشع في جميع الأكوار والأدوار لأنها زوجة النبي وأم الزهراء المعصومة وجدة الأئمة الطاهرين الميامين وهذه الطاهرة تحتاج إلى وعاء طاهر وقلب نقي مؤمن موحد إذ أن قوله تعــالى ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(١)، ليس وقفاً على نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وإنما يسري حكمه أيضاً على ابنته الزهراء والأئمة المعصومين من حيــث أنهم نور واحد وطينتهم واحــدة طابت وطهرت بعضها من بعض فوجب أن يكون وعاء المعصوم كما ذكرنا طاهراً موحداً ولذلــك تقرأ في زيــارة الحسين عليه السلام: **«أشهد أنـك طهر طاهر مـن طهـر طاهر طهرت وطهـرت بك البـلاد»**، وفي موضع آخر: **«أشهـد أنك كنت نوراً في الأصـلاب الشامخة والأرحام المطهرة**

(١) سورة الشعراء: آية ٢١٩.

**لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها**»، ولا عجب إذ أشرق وجه خديجة نوراً حين حملت بفاطمة الذي أضاء نورها السموات والأرض فضلاً عن وجه أمها خديجة وأخذت تحدثها وتسليها وهي حمل في بطنها وتذهب عنها الهم والحزن بعد أن هجرتها نسوة مكة لأنها تزوجت بيتيم فقير لا مال له، فسرى الفرح والسرور في جميع جوانب خديجة بهذه البضعة الطاهرة وما ظنك بامرأة أولتها السماء بالغ عنايتها وعظيم اهتمامها فلا تجد فرصة سانحة حتى تقلدها وشاحاً قدسياً يزين جيدها ويكللها بهالة من نور تجلل وجودها المبارك، فعندما أمر الله رسوله الكريم بأن يصدع بالدعوة رماه أبو جهل قبحه الله بحجر فشج بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فالتجأ إلى الجبل فسمع علي وخديجة بذلك، فراحا يلتمسانه صلى الله عليه وآله وهو جائع عطشان مرهق ومضت خديجة تبحث عنه في كل مكان في الوادي وهي تناديه بحرقة وألم وتبكي وتنحب فنظر جبرئيل إلى خديجة تجول في الوادي فقال: «**يا رسول الله ألا ترى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقرأها مني السلام وقل لها إن الله يقرئك السلام ويبشرها أن لها في**

**الجنة بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب»**[1]، كما أخبرها النبي الكريم ﷺ بأمر الله بالاعتزال عنها أربعين صباحاً قبل أن تحمل بفاطمة وقال لها: «**يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى ولكن ربي عز وجل أمرني بذلك لينفذ أمره فلا تظني يا خديجة إلا خيراً فإن الله عز وجل ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً**»[2].

وحسبك من تعظيم السماء لها أنها حين حضرتها الولادة ورفضت نساء قريش المجيء إليها تكفلت السماء بالقيام بكافة الواجبات المفترضة في مثل هذه الأحوال فأرسلت إليها صفوة نساء البشر وأرفعهن مقاماً وأشرفهن منزلة ليلين منها ما تلي النساء من النساء وهن سارة زوجة إبراهيم وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وهذا وإن دل على شرف المولود القادم وسطوع نوره في السماء والأرض فإنه يدل كذلك وفي الوقت نفسه على عظم الوالد وخطر أمرها عند السماء وإلا فهذا الأمر وهو نزول هؤلاء النسوة أو غيرهن من نساء الجنة على أمهات الأئمة والمعصومين لم يكن معهوداً في جميع ولاداتهم عليهم السلام إلا ما استثنته النصوص التاريخية الموثوقة من ذلك.

(١) بحار الأنوار: ٣٤٢/٨١.
(٢) عوالم العلوم: ١٤.

وأخر تكريم من السماء لهذه السيدة الجليلة في ختام حياتها الطاهرة هي اتحافها بكفن من الجنة نزل به جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله ليكفن به خديجة عليها السلام، ولهذا أولاها أهل البيت أيضاً عناية فائقة وأظهروا مكانتها السامية ومنزلتها الرفيعة عند الله وطالما افتخروا بأن خديجة منهم وأنهم ينتسبون إليها، فقد خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر فذكر علياً عليه السلام فنال منه ثم نال من الحسن فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذه الحسن بيده وأجلسه ثم قام فقال: «**أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة وجدتي خديجة وجدتك قتيلة فلعن الله أخملنا ذكراً وألأمنا حسباً وشرنا قديماً وحديثاً**»، فقال طوائف من أهل المسجد آمين[1]، وقيل أن الحسين عليه السلامساير أنس بن مالك فأتى قبر خديجة فبكى ثم قال اذهب عني قال أنس: فاستخفيت عنه فلما طال وقوفه في الصلاة سمعته يقول:

**يا رب يا رب أنت مولاه فارحم عبيداً إليك ملجاه**
**يا ذا المعالي عليك معتمدي طوبى لمن كنت أنت مولاه**

(١) شرح النهج: ٦١/٦٤.

**طوبى لمن كان خادماً أرقا يشكو إلى ذي الجلال بلواه**[1]

بل وجعلوا من بنود بعض زياراتهم عليهم السلام المهمة والتي أوجبوا على شيعتهم المداومة عليها والالتزام بها نسبتهم إلى جدتهم خديجة عليها السلام حيث لا يكتمل السلام عليهم إلا بنسبتهم إليها فتقرأ مثلاً في زيارة الحسين عليه السلام المعروفة بزيارة وارث: «**السلام عليك يا بن محمد المصطفى، السلام عليك يا بن علي المرتضى، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء، السلام عليك يا بن خديجة الكبرى**»، ومثله في زيارته عليه السلام في النصف من رجب وفي ليلة عرفة ويومها وكذا في زيارة أولاد الأئمة فتقول في زيارة الواحد منهم: «**السلام على جدك المصطفى، السلام على أبيك المرتضى، السلام على السيد ابن الحسن والحسين، السلام على خديجة سيدة نساء العالمين، السلام على فاطمة أم الأئمة الطاهرين**»، وأيضاً في زيارة فاطمة المعصومة عليها السلام فتقول: «**السلام عليك يا بنت رسول الله، السلام عليك يا بنت فاطمة وخديجة، السلام عليك يا بنت أمير المؤمنين، السلام عليك يا بنت الحسن والحسين**».

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٣٩١.

# ورثة الأنبياء

وردت هـذه الفقـرة الشريفـة فـي الزيـارة الجامعـة الكبيرة لإمامنا الهادي عليه السلام كمـا وردت بشكل خاص في زيارة الحسين المطلقة المعروفة بزيارة وارث ولكن بصيغة مختلفة حيث ورد فيها: «**السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ آدَمَ صَفْوَةِ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ نُوحٍ نَبيِّ اللهِ السَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَارثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ..**» فهذه الكلمة وإن وردت فــي كتــب اللغة بمعناها الدارج وهـو انتقال تركة الميت إلى أولاده وأقربائـه إلا أنها لا تقتصر في مضامينها المتكثرة على هـذا المعنى فحسب بل تتعداه لتحتل في عـالم اللغة الواسع مكاناً فسيحاً لها في كل ركن من أركانه مخرجاً لا يخلو من فائدة.

من كتـاب (شذا العرف في فن الصـرف- للشيخ الحملاوي) فمن معاني هذه الكلمة التي قد تكون مراده هو مجيؤها على صيغة اسـم الفاعل وليس على صيغـة اسم المفعول فقـط أي أن الوارث هنـا قد تأتـي بمعنى المورِث (بكسر الراء) وهـو الذي يورث غيره وليـس فقط بمعنى المورَث (بفتـح الراء) وهو الذي يرث من غيره إذ أن هـذه الكلمة تأتي في اللغة علـى وزن آخر من شأنه أن يأتي على صيغة اسم الفاعـل ومن شأنه أيضاً أن يأتي على صيغة اسم

المفعول وهو وزن (فعيل) فيقال وريث كما تقول قدير كما في قوله تعـالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]، أي قـادر وهو اسم فاعل هنـا، كما يأتي هذا الوزن على صيغة اسم المفعول كما تقول (هذا رجـل جريـح، وذاك رجل قتيـل) بمعنى مجروح ومقتـول وهكذا، فيكون المعنى في الزيارة المذكورة أي يا مورث آدم ما جعله صفوة الله ويـا مورث نـوح ما جعله نبي الله ويا مـورث إبراهيم ما جعله خليـل الله ويا مورث عيسى ما جعلـه روح الله ويا مورث محمد ما بـه إحيـاء دينه ودوام شريعتـه لقوله صلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا من حسين**»، ويا مـورث أمير المؤمنـين ما به دوام الخلافـة واتصال الإمامة إذ جعل الله الشفاء في تربته والأئمة من ذريته واستجابة الدعـاء تحـت قبته إلى آخـر الزيارة وهي قبـول ولايته عليه السلام هو الأئمة من ذريته وتحمل آثارهم ومقاماتهم والاعتراف بدرجاتهم العاليـة، وبخاصة أن هذه الزيارة وضعـت لزيارته عليه السلام بها بعد شهادتـه وبعـد انتهاء إمامتـه الظاهرية الحسية التـي يكون فيها مكلفـاً بالأخـذ بالأسبـاب الطبيعيـة التي منها وراثـة العلم ممن سبقه مـن الأنبياء والأوصياء ويرجع إلى مقـام قطبيته الوجودية

---

(١) سورة البقرة: آية ٢٠.

السابـق وجوده فيهـا على جميـع الأنبياء والمرسلين مـا عدا جده النبـي وأبيه الولي وبسبب سبقه الوجودي يكون هو المورث لما بعده عليه السلام، إذ أن الأنبيـاء جميعاً قد خلقوا مـن فاضل أنوارهم وإنما اختلفت مراتبهم وتفاوتت درجاتهم وفضل الله بعضهم على بعض تبعـاً لذلك فمن كان منهم أقرب إلى نورهم وأشد تحملاً لآثارهم ومقاماتهـم وأكثر طاعة لأوامرهم ونواهيهم قربه الله إليه وجعله من المصطفين الأخيـار وجعله من أولي العزم ومن كان دون ذلك كانت مرتبته دون ذلك، ولذلك ورد في الأخبار أن ولايتهم عليهم السـلام قـد فرضت على جميـع الأنبياء والمرسـلين وقد أخذ الله عليهـم العهد والميثـاق بذلك فما بعث نبياً إلا وقـد دعاه إلى ولاية أمـير المؤمنين ففي بصائر الدرجات عن أبي محمد قال قلت لأبي جعفـر عليه السلام أخبرني عن الولاية التي أنـزل بها جبرئيل من عند رب العالمـين يوم الغدير فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: «**هي الولاية لأمير المؤمنين**»(١).

فهي أي الولاية ميراثهم الذي ورّثوه الأنبياء والمرسلين وجعلوهم

(١) البصائر: ٩٣.

بـه من المقربين في عالم الذر كل على حسبه وهم يورِّثون ولايتهم لأنها مُلكُهـم مَلَّكَهم الله إياها ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾ قال رسول الله ﷺ: «**ما تكاملت النبوة لنبي في الأظلة حتى عرضت عليه ولايتي وولاية أهل بيتي ومثلوا له فأقروا بطاعتهم وولايتهم**»[1]، واعلم أن جميع الأنبياء والرسل في إيصال التكاليف الشرعية والأحكام الإلهية إلى أممهم وأقوامهم إنما هم نواب عن الأئمة عليهم السلام إذ لا بد لأهل بيت العصمة من التنزل إلى جميع المراتب لتوصيل مختلف الشؤونات الإلهية والفيوضات الربانية إليها إلا أنهم يلبسون في كل مرتبة أحسن لباسها وألطف صورها بحيث لا يفوقهم في ذلك فائق من أهل تلك المرتبة مع أن هذه المرتبة عرضية بالنسبة إليهم ولكنهم القطب فيها والجامعين لشتى الأحكام الإلهية فيها وإلا لم يتمكن الخلق من الاستفادة منهم والأخذ عنهم وأما مرتبتهم الذاتية فهي مخصوصة بهم ليس لأحد في مثل الذي خلقوا منه نصيب والأثر لا يمكن أن يصل إلى مرتبة المؤثر على الإطلاق، ولما كانت صورة الأنبياء وهيئاتهم هي أفضل الصور وأشرف الهيئات لصفائها واستقامتها لقربها من المبدء فهم يتلبسون بها لأنها صورهم عليهم السلام منهم بدأت وإليهم تعود كالشمس حين تظهر بنورها في

(١) البصائر: ٩٣.

المرايـا المتعددة فـلا يوجد في المرايا غير نورهـا وظهورها فمنها صـدر هذا النـور وإليها يعود وما كان من المرايـا صافياً مستقيماً خالياً من الشوائب والكدورات كان أجدر أن يظهر فيه نور الشمس صافيـاً مستقيماً لا شائبة فيه فيحكي بذلك صفة مؤثره، ولذا قال مولانا أمـير المؤمنين عليه السلام في حديث النورانية: «**أنـا آدم أنا نوح أنا إبراهيم أنا موسى أنا عيسى أتقلب في الصور كيف أشاء ولو ثبت على صورة واحدة لقال الناس لا يتغير ولا يتبدل**»[1]، وقد يكون مـن معاني الوراثة أيضـاً الملك فيصير المعنـى هم المالكون لجميع مـا جاء به الأنبياء على وجه الحقيقـة وإليهم ترجع جميع مختصاتهـم ومعاجزهم ودلائل نبوتهم لأنهـا لهم بل أن كل شيء خلقـه الله تعالى لهم كما في الحديـث القدسي: «**خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك**».

روي في الكافي عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**وجدنـا فـي كتـاب علي عليه السلام أن الأرض لله يورثهـا من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض ونحـن المتقـون والأرض كلها لنـا، فمن أحيا أرضـاً من المسلمين فليعمرهـا وليـؤد خراجهـا إلى الإمام من أهل بيتـي وله ما أكل**

(١) مشارق أنوار اليقين.

**منهـا فإن تركها أو أخربهـا وأخذها رجل من المسلمين من بعده فعمرهـا وأحياهـا فهو أحق بها من الذي تركهـا، يؤدي خراجها إلى الإمـام مـن أهـل بيتي ولـه مـا أكل منها حتى يظهـر القائم مـن أهـل بيتي بالسيـف فيحويها ويمنعها ويخرجهـم منها كما حواهـا رسـول الله ﷺ ومنعها إلا مـا كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم على ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم»**(١).

وعـن أبي بصـير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلـت له أما على الإمـام زكاة؟ فقـال: «**أحلـت يا أبـا محمد، أمـا علمـت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله، إن الإمام يا أبا محمد لا يبيت ليلة أبداً ولله في عنقه حق يسأله عنه**»(٢).

فانظر إلى هذه الأخبار ما أصرحها في المدعى في كون الإمام هـو المالك الذي ملكـه الله كل شيء بإذنه فهو يـورث أي يهب من يشـاء ويمنع مـن يشاء ولا راد لحكمـه إذ أن مشيئتـه عين مشيئة الله تعـالى، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**نحـن صنائع الله والخلق بعـد صنائـع لنا**»، ولنا هنا تفيد الملـك أي ملك لنا والمالك مسلط

(١) أصول الكافي: ١/ ٤٧٤.
(٢) أصول الكافي: ١/ ٤٧٥.

علـى مـا في يـده يقلبه كيف يشـاء ويتصرف فيها بمـا يريد قال تعـالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1] أي المالكـين لكل ما يختص بهـم المسلطين على جميع شئونهم وأحوالهم ولا يفوتنا منها شيء، ومـن معاني الوراثة أيضاً العلم والإحاطة فيكون المقصود من قول الإمـام عَلَيْهِ السَّلَامُ «**وورثـة الأنبياء**» أو في زيـارة الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يا وَارثَ آدَمَ صَفْـوَةِ اللهِ السَّـلامُ عَلَيْـكَ يـا وَارثَ نُـوحٍ نَبـيِّ اللهِ**» هـو علمهم وإحاطتهم بجميع ما نزل على الأنبياء والمرسلين من الكتب السماويـة والأحـكام والشرائع وكيف لا يعلمونهـا وهي إنما نزلت عنهـم وبهم وإليهم وهـم يبلغونها إلى الأنبياء لأنهـا آثار ولايتهم ومظاهـر عصمتهم قال تعالى في محكم كتابه الكريم ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾[2]، أي أنهينـا علمـه إليهم، عـن أحمد بن عمر قال: سألـت أبا الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله عـز وجـل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآيـة فقال: ولد فاطمة عليهم السـلام والسابق بالخيرات الإمام والمقتصـد العارف بالإمام، والظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام، وقال الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

(١) سورة القصص: آية ٥٨.

(٢) سورة فاطر: آية ٣٢.

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ قال: هم الأئمة عليهم السلام فهم عليهم السلام يتوارثون العلم إماماً من بعد إمام.

وعن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «**إن في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ سنة ألف نبي من الأنبياء، وإن العلم الذي نزل مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يرفع وما مات عالم فذهب علمه، والعلم يتوارث**»(١)، فما كان مقسماً في غيرهم فهو مجموع ما عندهم مخزون في صدورهم لأنهم أصل كل خير وعنهم يتفرع إلى من سواهم، روى محمد بن الوليد قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعيسى وموسى أيهم أعلم؟ قال: قلت ما يقدمون على أولي العزم أحداً، قال: أما أنك لو حاججتهم بكتاب الله لحججتهم، قال قلت: وأين هذا في كتاب الله؟ قال: إن الله قال في موسى ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً﴾ ولم يقل كل شيء، وقال في عيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ولم يقل كل شيء، وقال في صاحبكم ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٢).

(١) أصول الكافي: ١/٢٧٩.
(٢) بصائر الدرجات: ٢٤٩.

# خادم الشريعة والشيخ الأوحد
# منهج مترابط

لقد ولد قدس الله سره أوحدياً وعاش أوحدياً واستشهد أوحدياً وسيبعث إن شاء الله أوحدياً، لقد كان يتنفس هواء الأوحد، ويلهج بذكـر الله بلسان الأوحـد، وكان يؤمن بالله بقلـب الأوحد ويتفكر في آيات الله بعقل الأوحد، لقد كان أوحدياً في أناء ليله وأطراف نهاره، في سفره وفي حضره، في مرضه وفي صحته، في سرائه وضرائـه، وباختصار كان الشيخ الأوحد أعلى الله مقامه هو قوام وجوده المبارك قدس سـره الشريف ولم يكن هذا العشق نابعاً من تقديس أعمى للأشخاص وتقليد أخرق للأفكار والمعتقدات وعبادة نكـراء للأهـواء والشهـوات ولكنه كان صـادراً عن وعـي متدفق وبصيرة متجذرة وهـدي متأصل بمعطيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأخبار أهل البيت عليهم السلام.

لقـد كان الأمر وبـكل وضوح وصراحة اتباعـاً للحق الذي اتبعه هـذا الشيخ المظلوم، ونصرة للنهج الذي انتهجه روحي فداه طوال حياتـه وسلـوكاً للطريق الـذي سلكه وهو طريق أهـل البيت ونشر فضائلهـم ومقاماتهـم العالية والذي هو فـي الحقيقة طريق الله

لأنهم عليهم السلام هم الأدلاء على اللّه والمستقرين في مرضات اللّه والتامين في محبة اللّه فمن عرفهم فقد عرف اللّه ومن جهلهم فقد جهل اللّه ومن اعتصم بهم فقد اعتصم باللّه ومن تخلي منهم فقـد تخلى من اللّه عز وجل، ومـن هنا فقد اصطبغت حياة خادم الشريعـة الغراء قدس سره بهذا الطابع الأوحدي المميز في جميع أبعادهـا فيمكنـك أن تلاحظه مثـلاً في دروسـه الحوزوية والتي كان يلقيهـا في حوزة النورين النيريـن عليهما السلام أمام جمع مبارك من المؤمنين والمؤمنات حيث كان يركز في دروسه هذه على النهـج الأوحدي في تناول مسائل التوحيد والحكمة ومقامات أهل البيت وفق ذوق خاص واستنباط عجيب وفهم مميز لآيات القرآن الكـريم وأحاديث وأخبار أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسـلام يختلـف عما كان متـداولاً بين أغلب العلمـاء في عصر الشيـخ الأوحد وما قبله الذين كانوا يتبنون في تأسيس نظرياتهم وأفكارهـم آراء الفلاسفة اليونانيين وغيرهم ممن كانوا يعتمدون بدورهم على العقل القاصر وحده ليدلهم على معرفة اللّه سبحانه وتعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وأحوال الغيب والشهادة.

فلمـا تبعهم هـؤلاء أدى بهم ذلـك إلى أن يقعوا فـي الشبهات ويرتطموا بالكفر أو الشرك ويبتعدوا عن التوحيد الحق الذي أراده

اللّه مـن العباد علـى ألسن أوليائه وخلفائـه الطاهرين فمن ذلك قولهم أن ذات اللّه تعالى لها اسم ولها رسم وأن لفظ الجلالة علم على الذات فذكر خادم الشريعة في أحد دروسه هذه تبعاً لمشايخه العظـام أعلى اللّه كلمتهم أن ذات اللّه ليس لها اسم ولا رسم لأنه إذا كان كذلك تكون ذاته محاطة لأن الاسم يحيط بالمسمى، ولكن الأسمـاء تكون للصفات والمقامات فـإذا قلنا يا خالق فهذا الاسم لا يكشـف عـن ذات اللّه بل عـن صفة الخالقية فـي اللّه وهي من صفـات الأفعال وكذلك عندما نقـول يا رازق ويا رحمن ويا شافي ويـا معافي ويا راحم وهكذا، وكل صفـة يدخل عليها حرف النفي تكـون من الصفات الفعلية لأنهـا لو كانت من الصفات الذاتية ثم دخل عليها حرف النفي لانتفت الذات ولعدمت وهذا كفر.

ولأن الاسم إنما يوضع للتعريف والتعرف من جهة حاجة الخلق إلى بعضهـم البعض ولما كان اللّه تعالى في مقـام ذاته فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ولم يكن معه في مقام ذاتـه شريك ولا وزير لم يحتج سبحانه إلى اسم كونه يعرف نفسه أنـه هـو هو وإنمـا يوضع الاسـم ليدعوك به غـيرك عند الحاجة إليـك وليس معه سبحانه في رتبة ذاته غيره حتى يحتاج إلى اسم ليدعوه به.

كما يمكنــك أن تلاحظ هذا النهج الأوحدي في منابره وخطبه في يوم الجمعة والأعياد والمناسبات الدينية المختلفة وفي أجوبته علـى أسئلة المؤمنين وبخاصة فيمـا يتعلق بالعقائد والمقامات فمن أجوبته المباركة عن سؤال لأحد المؤمنين حول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هـل له قدرة مؤيدة من اللّه علـى الخلق وهل له قدرة على الإحياء والإماتة فأجاب قدس سره ما هذا نصه:

ما نعتقـده في أمير المؤمنين أنه صلـوات اللّه عليه قد تمثلت فيه قـدرة اللّه تعالى وأنه سلام اللّه عليـه عبد اللّه كما وصف تعالى في محكم التنزيل ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ وهـذه القدرة لـه عَلَيْهِ السَّلَامُ شاملة عامة لكل شـيء لأن قـدرة اللّه تعالى شاملـة مستطيلة علـى كل شيء كما في الدعاء «**اللهم إني أسألك بالقدرة التي استطلت بها على كل شيء وكل قدرتك مستطيلة اللهم إني أسألك بقدرتك كلها**»[1].

وكذلـك جوابـه عن سؤال حـول أهل البيت عليهـم السلام هل خلقوا معصومين أم أنهم خلقوا كسائر البشر أعني في عالم الذر ولكـن بعد عرض الأمانة علـى الإنسان ووافق علـى حملها انفرد

(١) مستدرك أحكام الشريعة: ١٨.

المعصومون عليهم السلام عن بقية الأرواح وشرعوا بالتطبيق الفعلي والعملي لما وافقوا على حمله فاستحقوا درجة العصمة مكافأة لهم، فأجاب قدس سره ما هذا نصه:

أما ما نعتقده في المعصومين عليهم السلام فإنهم خلقوا معصومين والسر في ذلك أن أحكام الله وحدوده عظيمة في كثرتها ودقة مآخذ استنباطها وتحتاج في حفظها وضبطها إلى قلوب مشرقة وصدور منيرة لا يجوز عليها الغفلة ولا السهو ولا النسيان ولا يحوم حولها الشيطان إذ لو جاز عليها شيء من ذلك لما حصل الوثوق بما أخبروا به عن الله تعالى إذ أجاز عليهم السهو والنسيان والكذب والافتراء وإذا كان كذلك انتفت فائدة بعثهم فلا بد لمن جعل مبلغاً إلى العباد ما أمر الله تعالى به عباده من التكاليف ومؤدياً لذلك إليهم أن يكون معصوماً، والموجب له ذلك هو سبقه إلى إجابة الله وطاعته عن كمال البيان والمعرفة مع طيب طينته ونورية مادته واستقامة بنيته واعتدال صورته[1].

كما يمكنك أن تلاحظ هذا النهج الأوحدي في كتب خادم الشريعة قدس سره وتأليفاته وبخاصة كتابيه (تفسير الثقلين)

(١) نقل بتصرف من المستدرك: ١٩.

و(الولايـة) حيـث تصـدى فـي كتابـه الأخـير هـذا للـرد علـى الاعتراضات والشبهات الموجهة مـن قبل بعض الجهال والغافلين في خصوص الولاية الكلية للمعصومين عليهـم السلام فقال ما هذا نصه:

هنــاك بعض من ضعاف النفوس يتوسلون بأدلة واهية تدل على قلـة عقولهم كمـا تدل على أنهـم أطفال صغار لأنهـم يريدون أن ينفوا مسألة الولاية الكلية عن الأربعة عشر معصوماً ولا يدل ذلك إلا علـى عنادهم وعدائهم وحسدهم لأهـل بيت النبوة والقداسة ومقامهم الشامخ كما يدل على عدم علمهم وفهمهم لآيات القرآن وآثار الأئمة الأطهار عليهم السلام التي تثبت ذلك.

ثـم يشرع في تفنيد هذه الاعتراضات بعد ذكرها واحداً واحداً حتـى أنهاهـا إلي سبعـة أو ثمانيـة اعتراضات، ومـن جملة هذه الاعتراضات التي فندها قدس سره نذكره اختصاراً للفائدة حيث يقولون:

إنــه إذا كان للرسول الأكـرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام الولاية على كل شيء فلماذا لم يدفعوا الشر عن أنفسهم ويطلبوا من الله أن يدفـع عنهـم البلاء؟ فأجـاب رحمه الله: «يجـب أن يعرفوا أن

الولايـة الكلية والمطلقة للأئمة المعصومين عليهم السلام ليس لها ارتبـاط بأدعيتهم ولا تتنافى مع تلك الأدعية إلا إذا تصور المعاند أن الولاية الكلية المطلقة تجعلهم في غنى عن حاجتهم وانقطاعهم عـن اللّه تبـارك وتعالى، وبمعنى آخـر إنهم ينتظـرون من الأئمة الأطهار أن يقطعوا صلتهم باللّه تعالى وقضائه وقدره ولا يحتاجوا بالتـالي إليـه والعياذ باللّه، وفـي اعتقاد الشيعـة الإمامية الإثني عشريـة أن الأئمة ولو أنهم منصَّبـون أولياء من قبل اللّه عز وجل وأنـه شرفهم بالولاية المطلقة لكـن أي واحد منهم لم ولن يستغني لحظة واحدة عن اللّه تبارك وتعالى وأنهم دائماً يطلبون المدد منه جـل شأنه لأنه مصدر الفيض ولم يدع أحد منهم أبداً استقلاليته عن اللّه تبارك وتعالى»[(١)].

كمـا يمكنك أيضاً أن تلاحـظ التزامه بهذا النهج الأوحدي من خـلال نشره لآثار الشيخ الأوحد أعلـى اللّه مقامه وتجديد طباعة كتبه وتأليفاته ورسائله هو والكوكبة المقدسة من تلامذته وأتباعه كالسيـد كاظـم الرشتـي، والميرزا حسـن كوهر، وحجـة الإسلام المامقاني، والشيخ محمد بوخمسين، والميرزا محمد باقر، والميرزا

(١) نقل بتصرف من كتاب الولاية: ١/١٣٢.

موســى الحائري، وغيرهم أعلى اللّٰه كلمتهــم وتأسيسه في سبيل ذلـك لجنة خاصة تعرف بلجنة السيــد الأمجد تكون مهمتها نشر آثار هؤلاء.

كما قــام بتأسيــس مجلة الفجــر الصادق المكرمــة والتي جعل قدس سره على رأس أولوياتها نشــر فضائل أهل بيــت العصمة وذكـر مراتبهم ومقاماتهم العالية وفهــم أوامرهم ونواهيهم حق فهمهــا مستهدين في ذلـك بإفاضات المشايخ الكـرام وإفاداتهم وفهمهــم للأخبار وطريقــة عرضهم للمطالـب واستدلالهم عليها بالكتاب والسنة.

# يا سيد الشهداء

كلمـة الشهداء جمع مفردها شهيد وشاهـد أما شهيد فالغالب عليهـا مجيئها بمعنى القتيـل الذي قتله الكفار فـي المعركة وإنما سمي شهيدا لأن ملائكة الرحمة شهدت غسله أو شهدت نقل روحه إلى الجنـة أو لأن الله شهد له بالجنة[١]، وهذه الكلمة بهذا المعنى منطبقة علـى الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ تمـام الإنطباق فهو سيـد الشهداء بحق من الأولين والآخرين ممن دخل عرصة الإمكان والأكوان فلا شـك انه قتل فـي سبيـل الله صابرا محتسبا مسلّمـا أمره كله لله غير ناظر إلى نفسه طرفة عين أبداً.

وإنما سمي سيد الشهداء مع كون باقي الأئمة عليهم السلام كلهم شهداء وفيهم من هـو أعلى منه مقاما كأبيه أمير المؤمنين وأخيه الإمـام الحسن عليهما السـلام إضافة الى جـده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمـه فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بصريح قوله روحي له الفداء لأخته زينـب في يوم العاشر مـن محرم في مقام تسليته لها عَلَيْهَا السَّلَامُ «**يا أختاه اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهـل السمـاء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي**

(١) انظر المصباح المنير باب الشين مع الهاء.

**خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق ويعيدهم وهو فرد وحده، جدي خير مني وأبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني»** فليس هذا بالنظر الى مقامهم الحقيقي ونورهم الذي خلقوا منه اذ هم من هذه الجهة نور واحد وطينة واحدة كما صرحت بذلك الروايات المتكاثرة عنهم عليهم السلام وإنما جاء هذا التفضيل بينهم من حيث الجهة والرتبة والزمان والمكان لتقدم بعضهم على بعض وتولد بعضهم من بعض بحسب المقتضيات الإلهية والتقديرات الربانية ولظهور كل واحد منهم بصفة خاصة قدرها له رب السماء يستدعيها ظرف الزمان والمكان الذي وجدت فيه مع وجود هذه الصفة فيهم جميعا على حد سواء ولاشتمالهم على جميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة لأنها منهم بدأت وإليهم تعود فظهر أمير المؤمنين مثلا بصفة الصبر وظهر الإمام الحسن بصفة الكرم وظهر الإمام السجاد بصفة التهجد والعبادة وظهر الإمام الباقر والإمام الصادق بصفة العلم والفقه وظهر الإمام الكاظم بصفة كظم الغيظ التي اشتهر بها وهكذا ظهر الإمام الحسين عليه السلام بصفة الشهادة فكان سيد الشهداء من هذة الجهة كما كان الإمام الحسن كريم أهل البيت وكما كان الإمام السجاد راهب آل محمد وكما كان الإمام الرضا عالم آل محمد ليس بمعنى

انه أكرم منهم جميعا أو أعلم منهم جميعا أو أعبد منهم جميعا ولكن لتجليه بهذه الصفة وغلبة ظهورها عليه، ومن جهة ثانية إنما سمي سيد الشهداء لعظم مصبيته وفداحة خطبه وتتابع المصائب المفجعة عليه المقرحة للقلوب في وقت قصير مما لم يحصل لغيره من باقي المعصومين حيث قتل هو وعياله وأهل بيته وأصحابه وسبيت حريمه وأحرقت خيامه ورضت ضلوعه وجرد من ملابسه وظل مكبوبا على وجهه فوق واهجة الرمضاء ثلاثة أيام تصهره الشمس بحرارتها وقد قتل ظمآنا غريبا لم يغسل ولم يكفن. وأيضا للعلة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله عبدالله بن الفضل الهاشمي لم صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغم وجزع وبكاء دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله والیوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام واليوم الذي قتل فيه الحسن عليه السلام بالسم؟ فقال عليه السلام: «**إن يوم الحسين** عليه السلام **أعظم من جميع سائر الأيام وذلك أن أصحاب الكساء الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى كانوا خمسة فلما مضى عنهم النبي** صلى الله عليه وآله **بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان للناس فيهم عزاء وسلوة فلما مضت فاطمة** عليها السلام **كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس**

**عـزاء وسلـوة فلمـا مضـى منهم أمـير المؤمنـين عليه السلام كان للناس فـي الحسـن والحسين عليهمـا السلام عزاء وسلـوة فلما مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، فلما قتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عـزاء وسلـوة فكان ذهابـه كذهاب جميعهم كمـا كان بقاؤه كبقاء جميعهم فلذلك صار يومه أعظم مصيبة»**[1]، فإذا اجتمع عظم المصيبـة وفداحة الرزية مع عظم صاحـب المصيبة وجلالة قدره وعلو شأنه وقربه من الله لاجرم استحق أن يطلق عليه هذا اللقب دون منازع، وأما من تسمى بهذا اللقب غير مولانا الحسين عليه السلام كحمزة بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وآله وعم أمير المؤمنين عليه السلام بصريـح قوله عليه السلام في أبيات له مثبتة فـي ديوانه المنسوب إليه يذكر فيها بعض مناقبه وفضله على من سواه فيقول في ضمنها:

**محمد النبي أخي وصنوي — وحمزة سيد الشهداء عمي**
**وجعفر الذي يضحي ويمسي — يطير مع الملائكة ابن أمي**
**وبنت محمد سكني وعرسي — منوط لحمها بدمي ولحمي**

فهذا ليس من باب المتواطىء الذي تتفق أفراده في وحدة المفهوم وليـس من بـاب الحقيقة والمجـاز وإنما هو من بـاب الحقيقة من

(١) علل الشرائع: ١/٢٢٦.

بعـد الحقيقة كإطلاقك حكم الرؤية على العين بالحقيقة، وكذلك اطلاقك حكم الرؤية على القلب بالحقيقة أيضا فتقول رأيت بقلبي كما تقول رأيـت بعيني كلاهما على الحقيقة لا المجاز مع أن العين تابعـة فـي الرؤية للقلب حتما اذ لولا توجهـه لم تبصر العين شيئا وكذلـك اطلاقك حكم الكتابة على اليـد بالحقيقة، واطلاقه على القلم بالحقيقة ايضا فتقول كتبت بيدي وكتبت بقلمي مع أن حركة القلم تابعة لحركة اليد التي هي مؤثرة فـي حركة القلم وهكذا.

وأمـا إذا جـاءت كلمة الشهـداء جمعا لكلمة شاهـد فيمكن أن يراد بها جميع الشهداء من الأولين والآخرين باستثناء رسول اللّٰه وأمير المؤمنين والإمام الحسن لقوله تعالى ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[1] فهـم يشهـدون علـى الأنبيـاء والمرسلين بالتبليغ وعلـى الأمم جميعا بالطاعة والانقياد لأن الشهـادة هنا إما أن تأتي بمعنى الخبر القاطع اليقين وإما أن تأتـي بمعنـى الحضور والمعاينـة والمشاهـدة وكلا المعنيين صحيح وينطبـق على مـا نحن فيه بل تؤيـده الآيات القرآنيـة والأحاديث النبوية الشريفـة وأخبارهم المطهرة عليهـم السلام وكلمة الأمم

(١) سورة البقرة: آية ١٤٣.

تعنـي جميع الموجـودات لعموم قوله تعـالى ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾(١) ولقولـه تعـالى ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾(٢) وقد تكون الألـف واللام فـي الشهداء للتعريف والتخصيص لا للاستغراق فيكون حينئذ سيد الشهداء من ذريته وهم الأئمة من بنيه عليهم السـلام وهذا داخل في المعنـى الأول إذ جعلهم الله تعالى شهداء علـى الخلـق في مبدئهـم ومعادهم وكيـف لا يكونـون كذلك وقد افتتـح الله بهم بوابة الخلق وسطر بنورهم المقدس ملحمة الوجود فأشهدهـم أولا خلـق أنفسهـم ومن ثم أشهدهم خلـق هذا الكون حيـث اتخذهم أعضادا له تبارك وتعالى قـال عز شأنه في كتابه الكريم عن الكافرين ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا﴾(٣)، وأمـا ما يترتب علـى كونهم عليهم السـلام شهداء هو وباقـي المعصومين عليهم السلام فأمور كثيرة منها:

١- لـزوم عصمتهـم عصمـة مطلقـة وطهارتهم طهـارة تامة

(١) سورة الأنعام: آية ٣٨.
(٢) سورة الأعراف: آية ٣٨.
(٣) سورة الكهف: آية ٥١

لعموم موضوع الشهادة في حقهم إذ كان هو الكون كله ولا يجوز أن يشهد الشاهد بشيء لم يره ولم يعاينه ولم يحط به فهذا إن حصل كان نقصاً في الشهادة وطعناً في الشاهد فلزم عصمتهم عليهم السلام.

٢- عرض الأمور والأعمال عليهم في كل حين أو في أوقات مخصوصة وهذا من باب عدم انقطاع المدد والفيض عنهم لحظة واحدة وإلا فهم يعلمون كل مخلوق كيف خلق ومتى خلق وأين خلق وجميع متعلقاته الأولية، عن أبي طاهر بن هلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إذا أراد الله أن يحدث أمراً عرضه على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أمير المؤمنين عليه السلام وواحد بعد واحد إلى أن ينتهي إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ثم يخرج إلى الدنيا، وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله عزوجل عملا عرض على صاحب الزمان ثم على واحد واحد إلى أن يعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يعرض على الله فما نزل من الله فعلى أيديهم وما عرج إلى الله فعلى أيديهم وما استغنوا عن الله عز وجل طرفة عين أبداً**»[(١)].

(١) صحيفة الأبرار: ١/٧١.

٣- إجــراء أرزاق العبــاد على أيديهم وإيصــال الفيوضات إلى أصحابها بحكم كونهم شهداء عليهم عالمين بكل مخلوق ما يستحقه من الرزق، عن أبي حمزة قال: «**كنت عند علي بن الحسين عليهما السلام وعصافير على الحائط قبالته يصحن فقال يا أبا حمزة أتـدري مـا يقلن؟ يتحدثن أنهن في وقت يسألن فيه قوتهن، يا أبـا حمـزة لا تنامـن قبل طلوع الشمس فـإني أكرهها لك إن الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها**»[١].

٤- أنهم يعرفون شيعتهم ومواليهم ويعرفون من أطاع بما أطاع ومـن عصى بما عصى، عـن الأصبغ بن نباتة قال: كنت عند أمير المؤمنـين عليه السلام جالسـا فجاءه رجل فقال يـا أمير المؤمنين ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾ فقال علي عليه السلام: «**نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيـل معرفتنا، ونحن الأعراف نوقف يـوم القيامة بين الجنة والنـار فـلا يدخل الجنة إلا من عرفنـا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه**»[٢].

٥- أنهـم يـرون الأشيـاء في المنام كمـا يرونها فـي اليقظة لا

(١) صحيفة الأبرار: ١/ ٨٠.

(٢) صحيفة الأبرار: ١/ ١٠٨.

فـرق بين نومهم ويقظتهم إذ هما عندهم على حد سواء، عن زيد الشحـام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول طلب أبو ذر رضوان الله عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له أنه في حائط كذا وكذا فتوجه في طلبه فوجده نائما فأعظمه أن ينبهه فأراد أن يستبرء نومه فسمعه رسـول الله صلى الله عليه وآله فرفع رأسه فقال: «**يا أبـا ذر أتخدعني أما علمت أني أرى أعمالكم في منامي كما أراكم في يقظتي إن عيني تنام وقلبـي لا ينـام**»[1]. وعن أبي الجارود قـال: قال أبو جعفر عليه السلام: «**الإمام منا ينظر من خلفه كما ينظر من قدامه**»[2].

(١) صحيفة الأبرار: ١/٢٠٧.

(٢) بصائر الدرجات/٤٤١.

# كرم أهل البيت عليهم السلام

مناسبة حزينة تلك التي تمر علينا في هذا الشهر الشريف وهي استشهاد إمامنا الحسن بن علي عليهما السلام بالسم على يد زوجته اللعينة جعدة بنت الأشعث بن قيس وما لاقاه من ظلم بني أمية - بأبي هو وأمي - ومن أصحابه أولئك المتواطئين معهم في حياته حيث اتهموه بالكفر والمروق عن الدين وقابلوه بالشتم والسب واعتدوا عليه بالضرب والطعن حتى طعنه أحدهم بخنجر في فخذه فشقه وسحب البساط من تحته ولاقى مالاقاه من ظلمهم وأذاهم حتى إذا استشهد واستقبل من أمر آخرته ما استقبل لم يكتفوا بما أوردوه عليه من ألوان الظلم والعذاب بل تجاوزوا ذلك فأظهروا له مكامن أحقادهم وما تأصلت عليه جذورهم من كره وحسد لأهل هذا البيت فرموا جنازته المقدسة بنبال الحقد والضغينة ومنعوها من أن تدفن إلى جوار جده المصطفى صلى الله عليه وآله حتى أرجعوها فدفنوها في البقيع حيث موقعها المنور الآن.

اشتهر صلوات الله عليه بصفات كثيرة كان من أهمها وأشهرها كريم أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث تجلى بهذه الصفة وظهرت آثارها

علـى الخلق في زمانه، وبـودي أن أشير إلى نقطـة مهمة وهي أن كرم أهل البيت عليهم السلام جميعا لا يقتصر على الجانب المادي فقـط المتمثل في الانفاق ومساعدة الفقـراء والمحتاجين ومواساة الضعفاء والمعوزين فإن هـذا مظهر ضيق ومحدود لكرمهم بل إن كرمهم عليهم السلام يتجاوز هذا بكثير ويتسع مداه اتساع الكون الرحيـب ليتمثل في مظاهر كثيرة وصور متعددة تحكي عن تأصل هـذه الصفة فيهم وتجليها في كل جزء مـن أجزاء هذا الوجود، وسـوف أعرض بعض مظاهر كرمهـم الفياض عليهـم السلام ليتضح لنا هذا المعنى:

١- **الكرم الوجودي**: وهو أن الله تعـالى كان متفردا في ملكه متوحـدا في سلطانـه لا شريك له ولا وزير فـأراد أن يخلق الخلق إظهارا لقدرته وإثباتا لجبروته فأوجدهم من العدم الإمكاني إلى الكون وعالم الصلوح أو العمق الأكبر وهو عالم يصلح أن يكون فيه كل شـيء أي شـيء فالمخلوقات فيه غير متمايـزة بعد عن بعضها البعض لا بالمعـاني ولا بالصـور لأن حقائقها لم تتعـين ولم تتقيد بحسب قابليتها وصلوحها لأي شيء تختار فلا يوجد في هذا العالم سوى الحقائق بقطع النظر عن أي اعتبار آخر من معنى أو صورة أو جسم تماما كالحروف في الدواة أو المحبرة فإنها غير متمايزة عن

بعضها البعض وكل حرف منها يصلح أن يكون أي حرف إذ لا يوجد في هذه الدواة أو المحبرة سوى حقائق الحروف فقط، ولما أراد الله سبحانه إخراج حقائق الموجودات من هذا العالم حتى تتشخص وتتميز عن بعضها أخرجها بقوله (كن) وهو أمره الفعلي وذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، ولما كانت قابلية هذه الموجودات قاصرة عن قبول هذا الأمر الإلهي وترجمته إلى وجود لها وفق صلاحيتها في عالم غير هذا العالم الذي كانت فيه وهو عالم الإمكان، تفضل الله عليهم بتكليفهم بالتكليف الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عليا والأئمة الأحد عشر من ولدهما والصديقة الطاهرة عليهم السلام أولياؤه وأمناؤه وجعل سبحانه هذه الأنوار سببا وواسطة لتكميل قابلية هذه الموجودات وترجمة الأمر الإلهي لها حتى تتمكن من الانتقال إلى ساحة الوجود وفق قابليتها وصلاحيتها فمن أجاب إلى هذا التكليف بالقبول والإيجاب ظهر تاما سويا وفق الفطرة السليمة ومن أجاب بالسلب والإنكار ظهر ناقصا معوجا مظلما ويسمى هذا العالم بعالم العقول وقد تمايز فيه الخلق واستبان فيه الشقي من السعيد ولكن بالمعنى فقط لا بالصورة ولا بالشكل

(١) سورة يس: آية ٨٢.

لأن عـالم العقول هو عالم المعاني المجردة عـن العناصر الزمانية والصور النفسية وذلك لقلة روابط الكثرات في هذا العالم وعدم ظهـور الحيثيات واللوازم المقتضية للتوجه إلى اللّه سبحانه بشكل تام فكانوا هم عليهم السلام المتممين لقابليات الخلق والمترجمين لهم أمر اللّه الفعلي بالوجود حتى استطاعوا أن يخرجوا من ذلك العـالم السيال والبحر المتلاطم إلى هـذا العالم النوراني الجميل البسيط وهو عالم العقول وهو أول موجود فـي عالم الكون وما زالوا يتعاهدون الخلق في تنقلاتهم في عوالمهم المختلفة منذ بدأوا الى أن يـرث اللّه الأرض ومن عليها إلى أن يدخلوا إلى جنة الخلد فإن إمدادهـم لهم لا ينقطع أبدا إذ هـم بوابة الفيض الوحيدة وكيف يتخلـف المعلول عن علته لحظة واحـدة أو يتأخر المؤثر عن أثره إن هذا لا يكون أبدا.

٢- **الكرم التشريعي:** وهو أن الخلق بعد أن أوجدهم اللّه بحسب قابلياتهم بواسطة ترجمة الأئمة المعصومين عليهم السلام أمر اللّه لهم بالوجود، أراد اللّه أن يتم نعمته عليهم وأن يظهر ما لأجله خلقهم وهـو معرفته وعبادتـه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[١]

(١) سورة الذاريات: آية ٥٦.

ولا يكـون ذلك إلا بعد إتمام أسباب الإدراك والشعور بالنسبة لهم حتـى يكونوا قادريـن على الخضوع والانقيـاد والاستجابة لتكليفه لهم سبحانه فيما أراد فأنزلهم إلى العالم الثاني وهو عالم الأرواح وهو برزخ بين عالم العقول وعالم النفوس وكلفهم بالتكليف الثاني ثـم أنزلهم بعد ذلـك إلى عالم النفوس وهو عـالم الصور وبذلك تشخص كل مخلوق تشخصـا كاملا وأصبح تام الشعور والإدراك حيـث اجتمعت فيـه آلاته وهي العقـل والروح والنفـس فكلف في هـذا العالم بالتكليف الثالث المفصل مـن التوحيد والعدل والنبوة والولايـة والغيبـة والرجعـة والمعـاد وتفاصيـل أحوالـه وأوضاعه وتهذيب الأخلاق من مساوئ الصفات من البخل والحسد والبغض والنميمة والكذب والجحود والقسوة والالتزام بمكارم الأخلاق من الصـدق والرأفة والرحمة والتعـاون والإخلاص والشجاعة والعفو عن الناس وكظم الغيظ وصلة الأرحام والنهي عن المنكر وغيرها، وهـم وإن لم يكونوا مكلفـين بالعمل بهذه الأمـور إذ لم تخلق لهم الآلات الجسمانيـة بعد في ذلك العالم وإنمـا كانوا مكلفين فقط بالاعتقـاد بهـا على نحو الجـزم واليقين حتى إذا نزلـوا إلى هذا العالم ووجدت لديهم الآلات الجسمانية توجه التكليف إليهم للعمل بهـا، وكما أن الله تعـالى جعل في هذا العـالم أدلاء على صراطه

ومعلمين يرشدون الناس إلى طاعة اللّه واجتناب نواهيه والالتزام بأوامـره وهم الأنبياء والرسل والأوصيـاء، كذلك في ذلك العالم جعل اللّه للخلـق معلمين ومرشدين يرشدونهـم إلى معالم دينهم وهـم المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام لأن الخلق كما كانوا قاصريـن عـن ترجمة أمـر اللّه لهـم بالوجود لقصـور قابلياتهم عـن ذلك، كذلك كانـوا قاصرين عن ترجمـة التكاليف الشرعية التـي كلفهـم اللّه بها منذ ذلك العالم فـكان لا بد لهم من مكملين يتممـون قابلياتهم ويأخذون بأيديهم لفهـم هذه التكاليف والعمل بهـا وفق ما أراده اللّه سبحانه وتعالى إذ أن اللّه أشهد المعصومين خلق أنفسهـم وأشهدهم خلق الموجـودات وجعلهم الحجج عليهم والأدلاء عليه سبحانه فـي كل عالم فمن اقتدى بهم واتبع نهجهم وطريقتهم وأظهر لهـم الخضوع التام والانقياد الشامل فاز ونجا ومن أظهـر لهم العناد وجحد طريقتهم وأنكـر فضلهم ومكانتهم غـرق وهوى فكان قبول ولايتهم في هــذا العالم والتزام طريقتهم سببـا للفوز والنجاة «**فبكم يسلـك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضـب الرحمـن**»[1]، روى علي بن معمر عـن أبيـه قال سألت أبا عبد اللّه عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول اللّه تبارك وتعالى ﴿**هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ**

(١) الزيارة الجامعة.

﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾[1] قال: «**يعني محمدا حيث دعاهم بالإقرار بالله في الذر الأول**»[2].

٣- **الكرم الأخروي:** وذلك بدء من ساعة احتضار المؤمن حيث يحضرون عند عبدهم الموالي لهم فيبشرونه بكرامة الله له وفوزه بنعيم الجنة معهم عليهم السلام، فعن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يموت موال لنا مبغض لأعدائنا إلا ويحضره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم فيرونه ويبشرونه، وإن كان غير موال لنا يراهم بحيث يسوؤه، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام لحارث الهمداني: «**يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا**»[3].

إلى ارتوائه بكف أمير المؤمنين عليه السلام في يوم القيامة حيث يسقيه من حوض الكوثر بيده الشريفة كرامة له، عن المفضل عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أراد أن يتخلص من هول القيامة فليتول وليي وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب فإنه صاحب**

(١) سورة النجم: آية ٥٦.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٤.

(٣) البحار: ٦/١٨٠.

**حوضـي يذود عنه أعـداءه، يسقي أولياءه فمـن لم يسق منه لم يـزل عطشانـا ولم يرو أبـدا، ومن سقي منـه شربة لم يشق ولم يظمـأ أبـدا»**[1]، إلى تكرمهـم بأبي هم وأمي عليـه بالشفاعة في ذلك اليوم المهول فيدخل الجنة بشفاعتهم بتصفيته من موجبات العقـاب والعذاب عن طريق تعريضه لبعضـ الشدائد والمحن إما فـي الدنيـا أو في الـبرزخ أو في الآخـرة مع بقـاء الموجب لثوابه وثباتـه له وهو الإيمان بالله وولاية أهل البيت عليهم السلام، فعن سماعة قال: كنت قاعـدا مع أبي الحسن الأول عَلَيْهِ السَّلَامُ والناس في الطـواف في جوف الليل فقال: «**يا سماعة إلينـا إياب هذا الخلق وعلينـا حسابهم فما كان لهـم من ذنب بينهم وبين الله عز وجل حتمنـا علـى الله في تركه لنـا فأجابنا إلى ذلك، ومـا كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوضهم الله عز وجـل**»[2]، وعن حمران بـن أعين قال: قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس**» ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[3] [4].

(١) البحار: ١٩/٨.
(٢) البحار: ٥٧/٨.
(٣) سورة الشعراء: آية ١٠٠-١٠١.
(٤) البحار: ٤٣/٨.

# الفهرس

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| – كلمة وإهداء | ٣ |
| – شاء الله أن يراني قتيلاً | ٥ |
| – الحسن المجتبى عليه السلام | ١٧ |
| – الحسنات والسيئات العرضية | ٣٧ |
| – اعرف نفسك | ٦٣ |
| – عارفاً بحقكم | ٩٣ |
| – نور على نور | ١٠٧ |
| – غيبيات | ١٤١ |
| – كلمة في الزهراء عليها السلام | ١٦٣ |
| – من نور فاطمة الزهراء عليها السلام | ١٦٧ |
| – مظلومية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام | ١٧١ |
| – الإمام الصادق عليه السلام مظهر العلم الإلهي | ١٧٧ |
| – الإمام الرضا عليه السلام شمس الشموس | ١٨٣ |
| – سر المباهلة آل محمد عليهم السلام | ١٨٩ |
| – خصائص الحسين عليه السلام | ١٩٧ |
| – فاطمة المعصومة عليها السلام | ٢٠٥ |
| – الولاية حقيقة التوحيد | ٢١٣ |
| – عظمة الحوراء زينب عليها السلام | ٢١٩ |
| – الخصائص الفاطمية | ٢٢٥ |
| – أنوار الولاية | ٢٣٣ |

# الفهرس

| الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|


- وأشرقت الأرض بنور ربها ........ ٢٤١
- أبو طالب عليه السلام ........ ٢٤٧
- معجزة رد الشمس ........ ٢٥٥
- يسألونك عن الروح ........ ٢٦١
- من وحي الطف ........ ٢٦٩
- فبهم ملأت سماءك وأرضك ........ ٢٧٧
- اللهم إني أسألك من جمالك بأجمله ........ ٢٨٣
- الإمام زين العابدين عليه السلام ........ ٢٨٩
- فاطمة أم أبيها ........ ٢٩٧
- وليد الكعبة عليه السلام ........ ٣٠٥
- الكوكب الدري ........ ٣١١
- خديجة الكبرى عليها السلام ........ ٣١٩
- ورثة الأنبياء ........ ٣٢٧
- خادم الشريعة والشيخ الأوحد منهج مترابط ........ ٣٣٥
- يا سيد الشهداء ........ ٣٤٣
- كرم أهل البيت عليهم السلام ........ ٣٥٣